الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة ماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب الإسلامي والمذاهب الغربية الحديثة

تحت عنوان:

ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إعداد الطالب:

محمد درق

إشراف الأستاذ :

أ.د/ زين الدين مختاري

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ رضوان النجـــار	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيســـا
أ.د/ زين الدين مختاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د/ محمـــد طـــول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضـــوا
أ.د/ بومديـــن كروم	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضـــوا
د/ محمـــد بـــاقـي	أستـــاذ محـــاضر	جامعة سيدي بلعباس	عضـــوا

السنة الجامعية: 2009-2010/ 1430-1431

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

إن الشكر لله وحده، وهو خير الشاكرين، بيد أن ذكر فضل الآخرين ينحو منحى الواجب أيضا، وإني وإن ذكرت فضل أحد فلا بد أن أذكر فضل أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور زين الدين مختاري الذي شرف هذا العمل بالإشراف عليه ورعايته بالرغم من مسؤولياته الجمة، فكان خير معين لي، وجزاه الله عني خير الجزاء. كما أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث من كان فكرة إلى أن خرج إلى النور.

الإهداء

إلى والدي الكريمين أهدي هذا البحث.

المقدمة

إن الحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عن تاريخها، نضالها، وفكرها... هو حديث عن الجزائر في أصالتها التاريخية وفكرها الحضاري ونضالها التحرري، وهذا لما قدمه رجالات الجمعية من أعمال جليلة خلال حقبة تاريخية تعد من أكثر الحقب حرجا وأشدها حساسية وأعظمها أحداثا، وقد لعبت الكتابة الأدبية الدور الأكبر في معركة الجمعية ضد فساد الواقع و فساد المفاهيم، وذلك من أجل نفض غبار الجهل والأمية عن هذا الشعب وإيصاله إلى بر الأمان من خلال تشبيته بقيم هويته الناجزة تاريخيا (الإسلام – العروبة – الجزائر) .

وقد أثنى بعض الكتاب الغربيين، ومنهم المؤرخ الفرنسي "شارل أندريه جوليان" والكاتب الروسي" بليكوف" و غيرهما ... على جمعية العلماء ودورها الريادي في إيقاظ الرأي العام الجزائري وتفعيله في العمل الثوري، في إطار الحركة الوطنية الجزائرية، فكانت بذلك لجمعية العلماء وأعمال كتابها أثر قوي في تحسيس الرأي العام بقضايا الوطن الكبرى ، ألا وهي الوعي والنهضة والاستقلال .

وفي هذا البحث محاولة لاستجلاء قيمة أخرى من قيم النضال لدى جمعية العلماء ، وهي قيم مرتبطة بالأدب والفكر والمنهج، وهي محاولة لرفع اللثام عن منطلقات أخرى أساسية لهذه القيم التي تعتبر مجالا حيويا في كتابات ذلك الجيل، وهذا نظرا لتأثيره الفعال في مجريات الأحداث التي عاشتها الجزائر حينئذ.

فقد تحدث الكثيرون عن جمعية العلماء وفكرها ونضالها ، بيد أن تركيزهم كان في الغالب موجها نحو الجوانب التربوية والتاريخية، واهتمت دراسات أخرى بالفكر الإصلاحي، وتناولت دراسات غيرها أعمدة جمعية العلماء ومشايخها من جوانب كتاباتهم الأدبية البحتة ، غير أن كثيرا منها اتجه نحو دراسة زاوية واحدة أو جوانب متعددة من أدب كل كاتب على حدة، واتسمت بعض الدراسات بالافتقاد إلى الشمولية والإلمام بكل الجوانب الفكرية عند كتاب جمعية العلماء المسلمين، وكثير منها نحا منحى الدراسات الفنية لهذا الأدب، والتي لا تخرج، في عمومها، عن إطار الإسقاطات النقدية

التي تهتم أحيانا بالشكل وبالقوالب الأدبية (مقال – قصة – مسرحية ...)، أو أن تحكم على إنتاج هذا الرعيل بأنه يدخل تحت طائلة فن المقال الصحفي ، والذي يختلف شكلا ومضمونا عن صنوه الأدبي، وهذا دون أن تتعمق في بحث المضمون واستقراء ما في جوهر العمل الأدبي من قيم كبرى كالقيم الإنسانية والوجودية وغيرها..

ولما كان الأدب تعبيرا عن القيم ، قيم الحياة و الجمال ، وتصويرا للحياة وللإنسان والوجود ، و لما كان البحث الأكاديمي يتوخى الجدة والإضافة ما أمكن ، فقد قصدت أدب جمعية العلماء ، وخصوصا منه أدب المقال ، بحثا عن هذه القيم الكبرى ، لتكون موضوعا لبحثي هذا، والموسوم بـــ " ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" ، محاولا، ما استطعت، الإفادة من المنحى التنظيري لمفهوم الاتجاه الإسلامي للأدب الذي شهدته الساحة النقدية العربية، من أجل قراءة مقالات أدباء جمعية العلماء قراءة تنأى بها عن القراءات التجريدية التي تتوخى فقط تعداد الأغراض والموضوعات التربوية والإصلاحية في ثنايا المقالات، دون أن توسّع دائرة النظر لتشمل الموضوعات الكبرى لهذا الأدب، كموضوع الإنسان والوجود، وكثيرا ما أصدرت أحكام لا نراها تستوفي أدب كتاب جمعية العلماء حقه ، فقد صنف هذا الأدب على أنه أدب إصلاحي وأحيانا تربوي ، وهو ما يجعله أدبا مناسباتيا لا يتجاوز حدود الظروف التي طالت الكتّاب وبيئتهم، وقصر بذلك عن حمل رسالة الأدب السامية، ألا وهي "الإنسانية" و " الشمولية " التي تعد من أهم خصائص الأدب الإسلامي، باعتباره أدبا إنسانيا يتصف بالعالمية .

وقد حركتني نحو الموضوع دوافع عدة منها ما كان ذاتيا متعلقا بميولاتي المعرفية وفضولي العلمي، الذي طالما راودني عن خوض تجربة الإفادة من المناحي النظرية لمفهوم الأدب الإسلامي ومحاولة دراستها تطبيقيا في الفنون الأدبية الجزائرية، ومنها ما كان موضوعيا مرتبطا بالموضوع ذاته ، وهو " إسلامية التوجه الأدبي لأدب المقال عند كتاب جمعية العلماء " ، بالمفهوم الشامل لمصطلح إسلامية الأدب، إذ لا يزال الأدب الجزائري

في حاجة ملحة إلى كثير من الدراسة والبحث والتحليل في معظم جوانبه الفنية والمضمونية (الموضوعاتية) ، فقد مرت حقب عدة على هذا الأدب بيد أن كثيرا من الأعمال الأدبية الجزائرية بقيت تتراوح مابين البعد عن التناول، لأسباب ذاتية وموضوعية، فلحقها الإهمال النقدي والسيب القرائي، وما بين التناول السطحي الذي لا يتراوح دراسة الأشكال الأدبية وبعض القضايا الفنية المتعلقة بلغة هذا الأدب أوتصويره ، أو بعبارة أخرى ظل يتأرجح بين الدراسات الأسلوبية والدراسات الجمالية، وأحيانا اتخذ هذا الأدب مطية للأيديولوجيا التي تضيّق أفق الأدب ولا تخدمه بقدر ما تشله وأحيانا تصادره .

وقد التزمت في بحثي هذا خطة منهجية رسمت على ضوئها مراحل البحث وخطواته التي جعلناها أربعة فصول وثماني مباحث ومدخل، ومقدمة منهجية ناقشنا من خلالها خطوات هذا البحث والدوافع التي دفعتنا نحوه والمنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة، فالمدخل ناقشت من خلاله المقاصد الإسلامية ومفهوم الأدب عند كتاب جمعية العلماء المسلمين، وقد تفرع إلى عناصر ثلاث، كان أولها مفهوم الأدب الإسلامي ، لأعرج في ثانيها على خصائص الأدب الإسلامي، وتوقفت في ثالث هذه العناصر على الرؤية الإسلامية ومفهوم الأدب عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

ثم بعد ذلك جاء الفصل الأول من هذه الدراسة خاصا بالرؤية الإسلامية وثقافة الإصلاح عند جمعية العلماء، وانقسم إلى مبحثين فرعيين، أما أولهما فتناول إسلامية الاتجاه الاجتماعي في أدب المقال، أما المبحث الثاني فخصصته لإسلامية التوجه السياسي.

أما الفصل الثاني فقد عالجت فيه المضامين الإسلامية لأدب المقال عند جمعية العلماء، وقد تضمن مبحثين اثنين، أما الأول فكان خاصا بتجليات العقيدة في هذا الأدب، وأما الثاني فكان حول الإنسان والكون في مقالاتهم .

وأما الفصل الثالث من هذه الدراسة، فقد تحدثت من خلاله عن الخصائص الإسلامية لأدب المقال عند جمعية العلماء، وتفرع بدوره إلى مبحثين اثنين، ناقشت من خلال الأول خاصية الالتزام والواقعية ، لأجعل الثاني يناقش خاصية الإنسانية و الشمولية .

وأما رابع هذه الفصول وآخرها فقد خصصته لجمالية التشكيل الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين، وتقسم إلى مبحثين اثنين، أما أولهما فتحدثت فيه عن أثر القرآن الكريم في أدبهم ، والثاني فقد بينت فيه جمالية الأسلوب في مقالاتهم .

وقد أنهيت هذه الدراسة بخاتمة أجملت فيها ما توصلت إليه من نتائج وما أحطته من ملاحظات في هذا الموضوع .

ولقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التكاملي الذي يجمع بين مناهج عدة، وهذا تبعا لخصوصيات الموضوع التي تفرض المنهج التاريخي حينا، ووجدت نفسي ملزما على استخدام المنهج التحليلي أحيانا،و أحيانا أخرى فرضت الدراسة استعمال المنهج الوصفي.

و لم تكن مسيرة هذا البحث ميسورة المسالك سهلة الدروب، فقد واجهتني مصاعب ومتاعب كان أبرزها شساعة الموضوع و سعته ، وهذا ما تطلب مني استقراء ووقوفا عند جل ما كتبه أدباء جمعية العلماء في مضمار أدب المقال، وقد وجدت نفسي في أحايين عدة أعتمد بشكل كبير على آثار الشيخ البشير الإبراهيمي ، وذلك باعتباره أبرز كتاب الجمعية وأغزرهم إنتاجا. كما وجدت أن كثيرا من الدراسات التي أنشأت حول أدب جمعية العلماء تحدثت عن الشيخ الإبراهيمي ، فيما أهمل الآخرون ، اللهم مؤلف الأستاذ محمد ناصر حول الشيخ أبي اليقظان و الموسوم بـــ " أبو اليقظان وجهاد الكلمة " وكذا دراستين جامعيتين بقسم اللغة والأدب العربي بجامعة باتنة، أولاهما رسالة ماجستير للباحث خالد أقيس والتي درس من خلالها مقالات الشيخ العربي التبسي ، وعنونهـــا بـــ " آثار الشيخ العربي التبسي ، دراسة فنية "، والثانية رسالة دكتوراه للباحث كمال عجالي بعنوان " الطيب العقبي أديبا " .

وختاما لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور زين الدين مختاري الذي شرفني بقبول الإشراف على هذا البحث، وتتبعه بالعناية والتوجيه مذ كان مجرد فكرة إلى أن خرج للنور وأصبح على ما هو عليه، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر

الجزيل لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، والذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث وتقويمه وتقييمه.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني من قريب أومن بعيد في إعداد هذا البحث.

وختاما فإني لا أدعي لعملي هذا كمالا ولا تنزيها عن مناحي النقص ومواطن الزلل ، ولا أقول إني استوفيت الموضوع من كل جوانبه وأحطت بكل زواياه ، ولكنها محاولة باحث لا زالت لم تثبت قدماه على سبيل البحث العلمي، ولا يزال يراود خطواته الأولى في طريق الألف ميل .

و الله من وراء القصد

مغنية /20-12-2009

المدخل

المقاصد الإسلامية للأدب عند جمعية العلماء المسلمين

يعد مفهوم الأدب الإسلامي من المفاهيم التي حاولت بلورة اتجاه و تعديل مسار ، وذلك من خلال تحديد منهج إسلامي فطري للأدب متعلق بالفطرة الإنسانية نابع عنها ، إن سويت سوي الأدب و إن انحرفت و تمزقت شذ الأدب و فسد ، فالأدب النظيف هو الذي "ينطلق من هذه الفطرة السوية غير المنحرفة و هو أدب يلتقي مع الإيمان الذي غرسه الله سبحانه وتعالى في فطرة الإنسان ، بل هو ثمرة من ثمار هذا الإيمان ، ونفحة من نفحاته و خفقة من خفقاته "[1]. إنه وعاء الأفكار و التصورات ، وعاء الذات و الوجود ، فهو " ينمو مع الإنسان و الجماعة و الأرض و البيئة حتى يصور الأمة كلها "[2]

أمة تصنعها الفطرة السليمة ، تلك الفطرة النابعة من تصور حقيقي للرؤية الإسلامية، ومن هنا يلتقي الأدب كوعاء بالإسلام كرؤية و تصور للوجود .

إن الأدب الإسلامي ، كما يعرفه محمد قطب ، هو " التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان ، من خلال تصور الإسلام للكون و الحياة و الإنسان "[3] ، و يذهب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا إلى أن " الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون و الإنسان على وجدان الأدب ، تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل و مخلوقاته، و لا يجافي القيم الإنسانية "[4] .

و كما يتأثر الأدب بالفطرة فهو يؤثر فيها ، بل و يعدل من مسارها ، تأثير الدين ، وما تتريه القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه و سلم عن صفة الشعر إلا دليل على عظيم تأثير الشعر في النفوس لا قدحا فيه[5] ، فالأدب و الدين متعانقان – كما تقول ثريا ملحس[6] و الفن شأنه

---

[1] – عدنان رضا نحوي :الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته ، دار النحوي للنشر والتوزيع ،الرياض المملكة العربية السعودية ، ط3،1415هـ/1994م،ص26.

[2] – المرجع نفسه ، ص 26.

[3] – محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ،دار الشروق ،بيروت ،ط6،1403هـ/1983م،ص06

[4] – عدنان رضا نحوي :الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته،ص33-34.

[5] – أشارة إلى الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿وماهو بقول شاعر﴾،بعد أن قال مشركوا قريش أن الأثر الذي يتركه القرآن في نفس متلقيه إنما هو كأثر الشعر،فرد عليهم القرآن الكريم أن ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم وماله من أثر،إنما هو حقيقة هذا الدين .

[6] – ثريا ملحس :القيم الروحية في الشعر العربي ،ص 96

شأن الدين ، كما يعبر عن ذلك الأستاذ لخضر عرابي ، " فكلاهما يثيران في النفس ، عن طريق السمو في اللب و الأسلوب ، إحساسا علويا و يستدران عطف الإنسان على جميع المخلوقات و الكائنات ، و يملآن القلب بالمشاعر النبيلة الرحيمة ، و يستلبان الإعجاب بصورهما الفنية الرفيعة "[1] ، و الشعر الإلهي هو أرقى درجات الإبداع الإنساني عند أرسطو ،كما طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته إلا من كان شعره يزخر بروح الآلهة ،فقد أجمع مؤرخو الأدب أن " البدايات الأولى للأدب كانت في أحضان العقيدة ، وأن الأديب الأول كان هو الكاهن نفسه ، و أن الشعر – أعرق الأجناس الأدبية قاطبة – نشأ في محاضن العقيدة في آداب الأمم كافة [2].

إن الأدب أيديولوجيا و رؤية و تصور ، و العقيدة كذلك، يلتقيان في الهدف و الغاية؛ صنع الإنسان و رسالة الإصلاح و التقويم ، وهما كذلك يلتقيان في كونهما شعورا و إيمانا، لأن طبيعة الدين هي ذاتها طبيعة الشعر ، " فكلاهما شخصي و عاطفي ، و في هذا يقول دوننللي :" إن الشعور في الدين يكون عبادة ، و في الفن يكون مجسدا للمثل ... و كلاهما شخصي يتخللهما الشعور و الإحساس "[3] ، و كما يقول محمد قطب فـــ :"الدين يرتبط في حقيقة النفس بالفن،فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة ، و كلاهما شوق مجنح لعالم الكمال... و كلاهما ثورة على آلية الحياة . فحين تتلبد النفس ، فيمر الإنسان على هذا الكون مروراً آليا لا يراه ولا يحس به في أعماقه ... لا يثير فيه الشوق العلوي ، لا يتفتح لغاياته و أهدافه وروابطه ، ولا يستجيب استجابة حية لما يربطه بالله و الكون و الحياة و الناس من صلات ... ولا تنطلق نفسه في الأفق الأعلى الذي تلتقي فيه كل هذه الصلات .. فإنه يكون قد ضيق على نفسه المنافذ ، و حصر عالمه في نطاق ضيق محصور . و يكون قد أغلق نفسه دون عالم

---

[1] – لخضر عرابي : أغراض القصص القرآني عند سيد قطب ، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب (مخطوط) جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،قسم اللغة والأدب العربي،1422هـــ/2001م،ص408.

[2]– عبد الباسط بدر :مقدمة في الأدب الإسلامي، دار المنارة للنشر،جدة، المملكة العربية السعودية،ط1405،1هـــ/1985م،ص25.

[3] – محمد البشير:الأدب الإسلامي والمنحى النفسي،ص157.

العقيدة . و من هنا يلتقي الفن و العقيدة في أعماق النفس، كما يلتقيان في أعماق الوجود "[1]

وهكذا تتجلى علاقة الأدب باعتبار " رسالة الأدب تهذيب السلوك الإنساني ، و الدين والأدب فعاليتان إنسانيتان من حيث الممارسة و الأداء ، لا سبيل للاستغناء عنهما"[2] ، والأدب باعتباره فنا ، فهو " تعبير رائع عن النفس و الكون و الحياة ، ينماز بالأصالة والصدق ، ويبتعد عن الزيف و التزوير "[3] ،و مادته " هي الحياة و النفس الإنسانية ومقوماته هي الصدق و الأصالة الفنية و المضامين السليمة "[4] .

ولعلنا ندرك مما سبق أن العلاقة بين الدين و الأدب علاقة وطيدة لانفصام لها، إذ يقوم الأدب بتثبيت أركان المعتقد الديني ، و من هنا ظهر اصطلاح الأدب الإسلامي كمفهوم لأدب ذي مرجعية إسلامية ، و لقد اتسعت دائرة الاهتمام به في السنوات الأخيرة بالرغم من أن الجهود المبذولة في هذا الميدان لا تزال دون الآمال الكبيرة التي تخفق في الصدور ، و لا يعني هذا انتقاص مبادرات الرواد الذين حاولوا جاهدين التأسيس لمفهوم الأدب الإسلامي ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ أبو الحسن الندوي – رئيس رابطة الأدب الإسلامي السابق – و الأخوين سيد قطب و محمد قطب و الأستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا و الدكتور عماد الدين خليل و مصطفى الغماري ، و الدكتور أحمد بسام ساعي و نجيب الكيلاني ، وغيرهم من الكتاب و الشعراء و النقاد ... فكيف قدم هؤلاء تصورهم لإسلامية الأدب ؟

مفهوم الأدب الإسلامي :

إن التوجه الإسلامي للأدب ليس وليد الدراسات النقدية الحديثة وإنما ارتبط بتاريخ الإسلام منذ عصوره الأولى ، ففي عهد النبوة ، ظهرت الخصائص الإسلامية في الأدب عن طريق توجيهات النبي صلى الله عليه و سلم للشعراء ، بل إن النص القرآني حمل رسالة توجيه هذا الأدب من خلال قوله تعالى ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ

---

[1] – محمد قطب: منهج الفن الإسلامي ، ص05.

[2] – لخضر عرابي : أغراض القصص القرآني عند سيد قطب ،ص406.

[3] – نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط4،1985م،ص13.

[4] – المرجع نفسه ، ص 13

يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [1].

فالشعر إذن مرتبط بالعقيدة الإسلامية خادم لها ينهل منها وإليها يؤول، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ يمثل توجيهاً صريحاً لمقصدية الإسلام في الشعر وارتباطه به (يبرز بلا شك حقيقة لفن إسلامي أصيل لأنه لا يستمد مقاييسه وكيانه من واقع فلسفة منحرفة وإنما من واقع تصور إسلامي للوجود)[2]

فالأدب الإسلامي (ليس وليداً اللحظة الراهنة وقصة العقل المسلم مع الإبداع بشكل عام ليست فكرة لقيطة رمت بها صيرورة الأحداث إلى الواجهة كحالة رد فعل عكسي اتجاه الممارسات والاستفزازات اللاإنسانية التي ووجه بها المثقف المسلم طيلة الحقب المنصرمة، بل هو على العكس وليد شرعي لأزيد من ثلاثة عشر قرناً من المخاض والفكر والعطاء الإنساني المتدفق في شتى ميادين المعرفة ومن بينها الأدب ، بدءًا بحسان بن ثابت وكعب بن مالك – رضي الله عنهما – حينما حررا القصيدة العربية من الرجس والمعصية والهراش العشائري إلى صراع من أجل أثبات الحق وإبراز المثل السامية التي جاء بها الدين الجديد متجاوزين بذلك حاجز القبيلة والآصرة و اللون إلى وشيجة أقوى هي وشيجة العقيدة[3]

فالشعر – حسب تعبير محمد إقبال عروي – حقق نقلة نوعية ، إذ " كان الشاعر يلج سوق عكاظ ، و مع تلك الحضارة الجديدة أصبح يلج بيوت الله ، و بعدما كان يحتضن بالمال والشهرة و القبيلة صار يحتضن ببردة النبي صلى الله عليه و سلم"[4]

وهكذا حمل الأدب رسالة هذا الدين ، بل قاوم ونافح عن العقيدة معلنا تصورها لله والكون و الإنسان، فارتفعت مترلة الأدب إلى ذروة الشرف و قمة التكريم ، حين حمل البيان رسالة الله إلى الناس قرآنا معجزاً ، و آيات بينات ووحياً يترل من السماء ، ليمثل أعلى

---

[1] – سورة الشعراء / الآيات من 224-227.

[2] – محمد بلبشير:الأدب الإسلامي والمنحى النفسي ،ص160

[3] – أحمد الاشهب :حاجة الأدب العربي إلى الأخذ بالتصور الإسلامي ،مجلة المسلم المعاصر ،السنة 23، ع89،ص113،114

[4] – محمد إقبال عروي : جمالية الأدب الإسلامي ، المكتبة السلفية ، الدار البيضاء،ط1،1986م،ص 25.

مستوى للبيان والأدب ، والتعبير والصورة والفكر والتصوير،ليظهر حياة الإنسان كلها عبر العصور،ويكون آية الأزمان و إعجاز العصور ، وظل الأدب العربي بين مد وجزر ،يرتمي في حضن العقيدة أحيانا ويتراح عنها أحيانا أخرى ،وتؤثر فيه الهزات التي تعرضت للأمة ، فنراه أدب للمجالس والطرب ونلفيه أدب لمجالس التذكير والوعظ، يرنو إلى نور الخلاص الإنساني، ويتعثر بأوحال مادية الإنسان والحضارة،لكن رسالته ضلت دائماً تحمل تباشير الحلم بعودة الإنسان إلى إنسانيته ، وتلكم رسالة الأدب في إنسانيته وإسلاميته ،في شموليته وعالميته[1]

فسمات الأدب الإسلامي-حسب الكيلاني-"سمات إنسانية عالمية ترتبط بالنفس الممتزجة بموضوعات الوحي والمبادئ الدينية القومية وان هذا الشمول والعموم يجعل العالمية اقرب إلى الكمال وادعى إلى الإتباع والاعتناق"[2].رسالة تأبى التقوقع في الدوائر الضيقة والانحصار في مفاهيم الشعائر والطقوس ،فرسالة الأدب الإسلامي"لا تنحصر فقط في التعبير عن الإسلام وتعاليمه،بل تتعدى ذلك إلى التعبير عن أفكار الإنسان وتجاربه الفلسفية،ومعاناته اليومية،وما تجيش به النفوس من وجدان وشعور وانفعال ، مهمة تعبر عن النفس الإنسانية وعن الطاقة الكونية الضخمة،وعن الحركة الحية في هذا الوجود،أوتعبر عن حب الإنسان لطبيعة وعن حقيقة الحياة"[3].

إن الأدب ذا التوجه الإسلامي إنما ينأى عن الأيدلوجيات المرتبطة بالصدامات العقدية والمذهبية ، والتي ضل الأدب يضطرب بين اتجاهاتها المتعاكسة والمتنافرة، "ينتقل من عقيدة إلى أخرى ليحل فيه المعتقد البديل ، وكل ما يحويه هذا المعتقد من حيرة وتخبط لبعده عن صوت السماء فنظرية إسلامية الأدب إنما خلصته ربقة المعتقد والمعتقد البديل ومن سلطة المكان والزمان،انه الإنسانية بكل امتداداتها التاريخية والحضارية والوجودية،وعالميته إنما تجسد حقيقة هذا الدين وأزليته،ورسالته التي جعلها:" ملكاً للناس أجمعين وعدم تشبثها بالنفوس المريضة

---

[1] – عدنان رضاً نحوي:الأدب الإسلامي إنسانيته عالميته،ص24.

[2] – نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية،ص69.

[3] – لخضر عرابي: الأدب الإسلامي:ماهيته ومجالاته ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر،2003،ص63.

المنحرفة ، وهبها الله صفة التعميم والموائمة لبني البشر كلهم"[1]،

وخصوصية هذا الأدب نابعة من خصوصية العقيدة الإسلامية،فالإسلام دين أزلي خالد، ينهل خلوده من خلود منبعه ، وهو " دين شامل لا يعرف حدود الزمان والمكان وإن تلاءم معهما وتمشى مع منطقهما المتطور المتجدد الأشكال، الثابت الجوهر،ولذا فالإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية أرحب من المذاهب وأوسع من القيود"[2]

وصفة الإسلامي لا تعني البتة أنه ذاك الأدب الصادر فقط من الأديب الملتزم بدين الإسلام ،بل أنه لا يشمل كل أدب تتحقق فيه خصائص"الإسلامية"،"دون النظر إلى من قال ، لأن الاعتداد هنا إنما يكون بما قيل "[3] .

وعبارة الأدب الإسلامي إنما تتضمن"كلما نتصوره من أدب لحمته وسداه الإسلام بقيمه ومبدئه ، و تفيض منه العاطفة الدينية لتوجهها و إخلاصها "[4]،ومنه يمكن القول إن الأدب الإسلامي هو عبارة عن " صياغة التجربة الحياتية صياغة جميلة معبرة موحية من خلال التصور الإسلامي له "[5]، وهو ليس تقوقعاً بلذات أو انغلاق وإنما ضرورة وجودية ورسالة حضارية دعامتها إخراج الإنسان من دائرة قلقه ألعدمي إلى معيشة موصولة لحرث الآخرة، باعتبار انه ليس حركة من داخل الإنسان تستجيب من تجربة شعورية ،أو موقف عقلي وإنما هو "حركة من خارج الإنسان تمده بالصواب وتخرجه من التوتر و الفوضى .نتيجة لهذا الأدب فإن الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الذي يستلهم الوحي الثابت ويحقق انسجام حركتين و تطابق الإرادتين "[6].

إن الأدب الإسلامي اكبر من أن يسعه المذهب ، أو تحويه الايدولوجيا، بل هو أدب إنساني ينبع من فطرة الله التي فطر الإنسان عليها ، شامل شمولية الرسالة الإسلامية ، وعلى حد

---

[1] – عبد الباسط بدر:مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي،دار المنارة للنشر،جدة،السعودية،ط1،1405هـ/1985م،ص31-32

[2] – نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية،ص69.

[3] – عماد الدين خليل : في النقد الإسلامي المعاصر،مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط1 ،1971،ص40/41.

[4] – سعد أبو الرضا:الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح ،مجلة الأدب الإسلامي س2،ع7،محرم –صفر–ربيع الأول،1416هـ/حزيران –تموز–أغسطس ،1995م،ص95.

[5] – المرجع نفسه،ص95

[6] – سعد أبو الرضا:الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح ،مجلة الأدب الإسلامي ص95

تعبير نجيب الكيلاني ،فـــ"من هنا كان الأديب المسلم ملتزما بمنهج شامل في الحياة ،يعبر عنه بالقول والعمل ويتمثل في وحدته مع نفسه ،في اندماجه مع أفراد مجتمعه ... وهذا المنهج الشامل ليس محصوراً في نظرية اقتصادية مغلقة ، ولا في مدرسة فلسفية مقفلة،ولا يرتبط بأية بقعة على وجه البسيطة دون غيرها ، ولا بدولة ذات مذهب بعينه وإنما يتسم هذا المنهج بسمات إنسانية عالمية تتسع لبني البشر أجمعين ، وتمجد الفضائل البشرية من حب وأخوة وشجاعة ورحمة "[1]

فهو أدب موجه لكن منهجه الذي يلتزمه في كل مجالاته لا يكون موجها على طريقة التوجيه الإجباري عند أصحاب التفسير المادي للتاريخ – على حسب تعبير سيد قطب- وإنما لتكييف النفس البشرية أو الإنسانية لتصور الإسلامي ، وهو حينئذً سيلهمها ألوانا من الفنون وصوراً لا يلهمها إياه التصور المادي أو أي تصور آخر[2]

فالأدب الإسلامي- وفق شموليته هذه – ينظر إلى الحياة نظرة إيجابية مشرقة،"الكون فيها جميل حي متناسق متعاطف مع الإنسان ، والمخلوقات كلها أصدقاء للإنسان ، والإنسان مكرم ذو إرادة وطاقة ، والغاية واضحة ، والحياة ممتدة ... هذا كله يمنح الإنسان قوة دافعة واستبشاراً بالحياة و إقبالاً على العمل والنتاج على النقيض من النظرات السود التي ترى في الحياة لعنة الوجود أو تراها خالية من الغاية،تملا بانتهاب للذات "[3]، وهو إضافة إلى نظرته التفاؤلية للحياة،إنما يرصدها لنظرة جمالية واسعة،نظرة "تجاوز بها الأدب الإسلامي النظرات الجمالية المادية المحدودة ، لشمول النظرة الإسلامية التي تضم أطراف الوجود مادة ومعنى ، شكلاً جميلاً وقيماً جميلة من خلال كلية تعد الجمال أصلاً في بنية الكون ، وفي خلق الإنسان والمخلوقات،صفات ومعاني ومشاعر ، بما يرفع من شأن النظرة الجمالية و يغنيها "[4].

---

[1] – عبد الحفيظ بورديم .في مصطلح الأدب الإسلامي، مجلة كلية الأدب ،ع1، المجلد الثاني،نوفمبر2000 ،ص57.

[2] – نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية،ص31.

[3] – ينظر : سيد قطب:في التاريخ...فكرة ومنهاج، دار الشروق.القاهرة،ط5،1402هـ/1992م،ص 20،21،27،28.

[4] – محمد عادل الهاشمي:في الأدب الإسلامي-تجارب ومواقف-دار القلم ، دمشق،دار المنارة،بيروت،ط1 1407هـ/1987م،ص40-41

إن الأدب الإسلامي بشموليته ورقيه تجسيد لحماية الإنسان،وملاذه وتمثيل للدور الإنساني،وهو بهذا يمثل التصور الإنساني للغاية والهدف الذي يعيش لها الإنسان في هذه الحياة. إن الأدب الإسلامي – وعلى حد التعبير محمد عادل الهاشمي – بإمكانه " إن قدرة له المواهب الفنية الراقية،إن يحرر البشر على المستوى الأدبي من نزعات الضياع والشتات والقلق والاغتراب،وان يكون فتح جديدً للنفوس البشرية، بما يمنح من عالمً أنساني راق يرسي قواعد إنسانية الإنسان،على نحو لا نرى له نظيرا في النظرات الأخرى [1]

2– خصائص الأدب الإسلامي :

تتجلى خصائص الأدب الإسلامي من مفهومه ، فهو أدب يجسد الحياة بمفهومها الشامل ، انه يمثل الحياة كلها بأنه يصدر عن تصور شامل للحياة بأسرها، الحياة بكل ما فيها من صوراً ونشاطات وأمم وثقافة وأجناس ،كما انه أدب ملتزم "يجمع بين الفردية والجماعية ، ولا يتحرج من إن يتسع مجال القول فيه ، فيعالج قضايا متعددة كأن يتحدث الأديب فيه عن ذاته وهمومه أو يتغنى بآلام المستضعفين من البشر"[2].

إن الأدب الإسلامي ملتزم بقيم رسالته الحضارية التي تهدف إلى تحقيق إنسانية الإنسان وسعادته في هذا العالم "[3]. وقد نوقشت قضية الالتزام في الأدب حين رآها أحد الباحثين ، بأن الأدب الملتزم هو " كل أدب يقف إلى جانب الإنسان لا فرداً منعزلاً وإنما ممثلاً للإنسانية كلها في تاريخها الطويل في كل زمان ومكان ليحسم صراعه الرهيب ضد الاستغلال والعبودية للوصول إلى الحرية الكاملة الشاملة في ظل مجتمع عادل انعدم فيه تمايز الناس حسب

---

[1] - محمد عادل الهاشمي:في الأدب الإسلامي–تجارب ومواقف ص 41.

[2] – الإنسان في أبجديات العقيدة الإسلامية خليفة الله في هذه الأرض وهو مؤتمن على منهج لله السماوي وشريعته الربانية ، إما في المفهوم الفلسفي المذهب الإنساني،يجعل الإنسان هدف ومثال يستحق الإعجاب وهو يعتبر إن رفعت الإنسان وتميزه يتمثلان في قدرته على امتلاك الحرية، تلك الحرية التي كالحرية التي تعني ممارسة الإنسان لاختياره النير–على حد تعبير رالف باتون يري.(ينظر: بن مصطفى أبو بكر:البعد الإنساني في روايات نجيب = =الكيلاني:عمالقة الشمال – عذراء جاكرتا و الظل الأسود، رسالة ماجستير في الأدب(مخطوط)،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان–كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،قسم اللغة والأدب العربي،2000م-2001م،ص16-21(بتصرف)

[3] – د. محمد عادل الهاشمي :في الأدب الإسلامي ،ص41.

الطبقات وتخلص فيه الإنسان من الاستغلال والظلم. وبهذا يمكن للإنسانية إن تحافظ على كيانها ووجودها واستمرارها في أحسن الظروف شريطة إلا يبتعد بذلك عن أصالته وطبيعة فنه ، في سبري غور النفس البشرية واستنباط ما يمكنها من عولمة غامضة وإسرار تحمل في طياتها معنى السعادة أو الشقاء"[1]

كما ناقش الأستاذ لخضر عرابي منحا الالتزام في الأدب الإسلامي بأنه لا يمكن إن يحيى هذا الأدب بمنأى الالتزام ، لكن هذا لا يعني البتة انه أدب دعوى وحسب ، لأن أي أدب يحصر نفسه في الدعوى لأمر ما أو في أيدلوجيا معينة يجيء أكثر دون المستوى المطلوب،هذا من جهة ،ومن جهة أخرى إذا كان الأدب الإسلامي–كما يعتقد البعض محصوراً بالدعوة ، فأين نضع مثلاً الأدب الذاتي يتحدث عن هموم الفرد وعواطفه؟وفي أي خانة نضع أدب الرثاء وشعر الطبية؟ومن هنا لا نريد للأدب الإسلامي الملتزم إن يهتم بمضامين دون غيرها و إنما نريد له إن يهتم بكل الإغراض،يهتم بكل الأجناس الأدبية "[2].

والأدب الإسلامي تجسيداً لغايتي الحق والجمال،فغاية الحق عند الدين "الوصول إلى الخير في الدنيا والآخرة والفضائل الإنسانية ثمرة من ثمار دين الحق،الإخوة ركن من أركانه الوطيدة،والعاطفة فيه سمة من سماته المشاعة والحب شريعة من شرائعه ، قائم على أساس الحق.حب الإنسان للإنسان حب العاطفة التي تربط بين الرجل والمرأة بلا انحدار بها أو سقوط في وحلها ، وفي راية شاسعة للحياة بلا انحباس في زاوية ضيقة مادية أو عاطفية"[3]

ووسيلة الدين في ذلك كله"تحقيق الجمال ، الجمال في خلق السموات والأرض وإجمال في خلق الإنسان بأحسن تقويم،والجمال في محو الإنسان من مخلوقات خدمة للإنسان وإتقان،هذا الخلق دليل على قدرة الله وعظمته وتنزيهه من كل نقص واتصافه بكل كمال و لم يتوقف الحمال في الدين إلى هذا الحد،فكل أوامر الدين و نواهيه تقود إلى الجمال في المعتقد والحركة و لم يتوقف الجمال عند هذا الحد بل دعا إليه القران ورغب فيه كما رأينا إكمالا

---

[1] – محمد حسن بريغش : الأدب الإسلامي–أصوله وسماته –مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1416،2هـ/1996م،ص133.

[2] – المرجع نفسه،ص168.

[3] – المرجع نفسه،ص171.

للعقيدة وتسليم لخالق الجمال لأنه يدل عند العبد على إتقان العبودية،وكما كان الجمال في هو منهج الدين في المعجزة الكبرى وهي القران،كلمات من الله ابلغ غاية الجمال في نصه وحرفه التزم الله سبحانه بالمحافظة عليه استمراراً لإعجازه مدى الحياة"[1].

ومن خصائص الأدب الإسلامي و سماته انه أدب يضع بحسابه الغايات البعيدة في الحياة الإنسانية ويدرك أنها مرتبطة بحياة أخرى تتعدى حدود الدنيا إلى الآخرة،ولذلك فهو يدرك إن لكل عمل أنساني،ولكل نشاط بشري غاية وهدفاً ومردود اًن فهو أدب غائي بعيد عن العبث باسم الفن ،والشرود والسخرية من الإنسان والتلاعب بعواطف الناس، ولذلك كان من غايته ووظائفه القيام بمهمة التربية بصورة غير مباشرة وبطريقة تتناسب مع الشكل الفني أو الجنس الأدبي واختار لان الأديب كما يعبر عنه سيد قطب يرغب في إن ينفعل جمهوره بالموضوع الذي يعرضه ، ويقف منه مثل موقفه وينحاز إلى صفه ولذلك يندمج التأثير الفني والتوجيه التربوي مع بعض ليؤدي غاية مشتركة نحو المتلقي[2].

ومن سماته أيضا إن يختار الأديب مضامينه وقضاياه في أصالت وحرية وتميز،يطرح مضامينه الكبرى وهو حراً طليق من قيود المدارس الأدبية الأوربية التي فرضت نفسها على العصور،فمنطلق الأصالة في الإبداع الأدبي ينبثق ابتداء من منظور الأمة الأصيل ووجهة نضرها في الحياة، وهو ما يعبر عن شخصية الأمة الحضارية ودورها المتميز في الحياة، مع الانفتاح على المعطيات الأدبية في العالم فيما لا يتنافى مع منظور الأمة الأصيل أو سهر ما يفد من هذه المعطيات بطابعه[3].

---

[1] – أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة –في الفترة ما بين 1931م/1976م،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د.ت،ص23.

[2] – د.لخضر العرابي :الأدب الإسلامي:ماهيته ومجالاته ،ص167.

[3] – طاهر محمد علي : الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،جمهورية مصر العربية ،ط1،1989م،ص58.

3- الرؤية الإسلامية و مفهوم الأدب عند جمعية العلماء المسلمين :

إن الرؤية الإسلامية في النقد لا تعني حتما ظهور كلمة (إسلام) أو ما يعادلها أو ما يومئ إليها كما يتبادر إلى بعض الأذهان ، بل هي كالرؤية الإسلامية لسائر الأنشطة البشرية ، والنقد الإسلامي هو في مفهومه العام " وزن الأعمال الأدبية بميزان الأدب في صورته النموذجية للتعرف على مكانه من تلك الصورة تمهيدا لتقويمه ، و هذا يعني أن النقد الأدبي عملية مزدوجة ، يعنى شقها الأول بالتعرف على الصورة المنشودة إنسانيا للعمل الأدبي ، ويقوم شقه الثاني على مطابقة ما بين يديه من واقع أدبي على ما يطمح إليه الإنسان السوي من ذلك العمل ، لبيان أوجه التوافق و أوجه التخالف والنقص"[1] .

وجمعية العلماء لم تكن تلك الجمعية التي تهتم فقط بالوعظ و الإرشاد ، بل إنها كانت تنحو مناحي أدبية جمالية ، و قد أدلى كتابها بدلوهم في القضايا الأدبية و النقدية المطروحة على ساحة الدرس النقدي و الجمالي آنذاك ، في الجزائر و في العالم العربي على حد السواء . فهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس – رحمه الله – يكتب مقالا بعنوان "الفن الأدبي في الحديث النبوي " ، محاولا تعريف الفن بأنه " إدراك صفات الشيء على ما هي عليه من حسن و قبح إدراكا صحيحا و الشعور بها كذلك شعورا صادقا ، والتصوير لها تصويرا مطابقا بالتعبير عنها بعبارات بليغة في الإبانة و المطابقة للحال ، ذلك هو الفن الأدبي "[2].

فابن باديس يرى أن الفن الأدبي يتكون من عناصر إدراكية شعورية و تعبيرية ، والفنان هو ذلك الإنسان الذي يدرك صفات الشيء الحسنة و القبيحة إدراكا صحيحا ، وهو الذي يشعر بتلك الصفات و ينفعل بها بصدق ، ثم يعبر عن إدراكه و تجربته الشعورية تعبيرا مبينا بليغا ، على أن يكون ذلك مطابقا للحال ، و على حد تعبير الأستاذ طالبي ، فإنه يمكن القول بأن ابن

---

[1]- فرح مجاهد عبد الوهاب : من مكتبة الأدب الإسلامي ، فن الأدب الإسلامي للدكتور إبراهيم عوضين ، مجلة الأدب الإسلامي ، م04 ، ع03 ، رجب – شعبان – رمضان 1417هـ / تشرين الثاني (نوفمبر) – كانون الأول (ديسمبر) 1996م – كانون الثاني (يناير) 1997م ، ص 48.

[2]- د/ عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند ابن باديس ، مجلة الأصالة ، س02 ، ع07 ، ربيع الأول 1392 هـ / ماي 1972 م ، ص 39.

باديس ذهب في الفن مذهبا منطقيا يتصل بالحق أكثر من اتصاله بالإبداع الفني ؛ لأنه اعتبر الفن إدراكا لصفات الشيء على ما هي عليه في الواقع الخارجي ، فكأن الصورة الفنية نسخة مما هو واقع في العالم الخارجي ، على نحو ما يتصور الفلاسفة الحقيقة التي يرون أنها مطابقة ما في عالم الأذهان لما في عالم الأذهان ، و لم يكن بهذا الاعتبار مثل شيء جديد أبدعه الفنان سوى التعبير الذي يمتاز بالإبانة والبلاغة ، و لكننا نجد ابن باديس يضيف إلى عناصر الصورة الأدبية الفنية عنصرا آخر يتوجها و هو اللذة التي تحصل للمتذوق ، لأن اللذة في نظر ابن باديس تدفع عن الإنسان ما يجده من متاعب الحياة و أوصابها و آلامها لأن الآثار الفنية تدخل على النفوس انشراحا و بهجة وصفاءا[1] .

وهذا ما عبر عنه أيضا نجيب الكيلاني – بعد الشيخ عبد الحميد بن باديس – في رؤيته للآثار الفنية باعتبار " غاية الفن الإمتاع و الإفادة و التحريض على بناء مجتمع أفضل "[2] .

والرؤية الإسلامية لها هدف و غاية مقصودة من ورائهما ، هي – كما يعبر نجيب الكيلاني – " تغيير الحياة و تطويرها و ترقيتها إلى إلى المستوى الأسمى عن طريق بذر العقيدة وترسيخها في الصدور ، وغرس مبادئ الخير و الجمال في النفوس "[3].

كما أدرك ابن باديس حقيقة التواصل في الفن أو المشاركة الوجدانية ، حين ذهب إلى أن " أكثر الفن الأدبي في تصويره الحسن و عرضه على الناس ليشاركوا الفنان في إدراك ذلك الحسن و الشعور به ، و التذوق للذة ذلك الإدراك و الشعور "[4] ، و الإسلام في نظره حقيقة قائمة على عناصر ثلاث : الحياة و العلم و الفن ، فقال " الإسلام دين الحياة و العلم و الفن ، و الحياة قوة و إيمان و جمال ، و العلم يمثل القوة ، و الفن يمثل الجمال "[5]

---

[1]- د/ عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند ابن باديس ، ص 40-41.

[2]- نجيب الكيلاني : الإسلامية و المذاهب الأدبية ، ص 14.

[3]- نجيب الكيلاني : مدخل إلى الأدب الإسلامي ، مطابع الدولة الحديثة ، الدوحة ، قطر ، ط01، 1403 هـ / 1974 م، ص 75-76

[4] - د/ عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند ابن باديس، مجلة الأصالة ، س02 ، ع07 ، ص43

[5] – المرجع نفسه، ص44.

كما ربط بين القيمة الجمالية و القيمة الخلقية ، فذهب إلى أن الدعوة إلى الجمال والتحبيب فيه في جميع مظاهر الحياة يجب أن يكون في إطار العفاف و الفضيلة، و يرى أن القرآن نفسه استخدم الصور الجمالية في الدعوة إلى الهداية و إلى التأمل ، إذ يقول : "يعرض علينا القرآن صورا من العالم العلوي و السفلي في بيان بديع جذاب يشوقنا إلى التأمل فيها والتعمق في أسرارها. إن الجمال في نظره يصبح أحيانا فتنة إن لم يحط بسياج من الأخلاق ، وإذا كان العالم ينطوي على جمال فإنه قد يصير بلاء و شرا على من اتبع هواه و استبعد عقله"[1].

كما أن ابن باديس بين دور تربية الذوق الجمالي ، و ضرورة غرسه في النفوس لتتمكن من الشعور بما في هذا الكون من آيات الجمال ، وذكر أن الحديث النبوي يشتمل على روائع من الفن الأدبي و خوالد من الآثار الرفيعة ، كما أنه استشهد بقصيدة كعب بن زهير الذائعة الصيت التي ألقاها أمام النبي صلى الله عليه و سلم ، " فوصف المرأة والماء الذي مزجت به الخمرة و الناقة و صورها تصويرا فنيا ، و لم ينكر عليه لأنه لم يصف شخصا معينا يؤدي وصفه إلى إثارة الشهوة البهيمية نحوه ، و إنما للنفوس البشرية صورها الجمالية ، و تنمي فيها قوة الشعور و الذوق "[2] .

و لم يخف على ابن باديس أن ينبه إلى ما في الحديث من فقه نفسي ، فحلل الحديث تحليلا فقهيا نفسيا ، و أوضح أن فيه تنبيها على نبذ التشديد و التنطع فيما لا عيب فيه و لا قبح في معناه و لا فحش في لفظه من جهة ، و فيه أيضا التنبيه على قلوب النساء وعواطفهن ، ليدوم ودهن و سلامتهن و يدوم الهناء معهن و الاستمتاع بهن ، لأنهن ضعيفات القلوب رقيقات العواطف شديدات الإحساس ، يصبرن على كل شيء من الرجال إلا على كسر قلوبهن ومس عواطفهن .

وينكر ابن باديس – في موقف آخر – على بعض الكتاب ما ذهبوا إليه ، انطلاقا من رؤيته الإسلامية للأدب و التاريخ و الوجود عموما و ثقافته الدينية و التراثية ، ففي مقاله " ما

---

[1]- د/ عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند ابن باديس – ، ص44.

2- المرجع نفسه،ص44

هكذا عهدنا أدب صروف " ، يحاول الشيخ أن يرد شبهة من جملة الشبهات التي أثيرت حول هلاك الأقوام التي ذكرت في القرآن ، حيث يتصدى لمزاعم الأديب اللبناني (صروف) الذي كتب مقالا في مجلة " المقتطف " بعنوان " مفاخر أور الكلدانيين " الذي جاء فيه " لقد جاء في بعض الخرافات العربية القديمة أن عاصفة من الرمل طمرت مدينة عاد ، فأصبحت بعد العاصفة و لا عين و لا أثر " فأنكر الإمام على صاحب المقال ادعاءه هذا الذي لم يؤسس له الكاتب من الناحية التاريخية و المعرفية[1].

و قد بذلت جمعية العلماء جهودا جبارة في توجيه القرائح و تقويم سرائر الإبداع ، ومن ذلك ما كانت تقوم به جريدة (المنتقد)[2] التي يقول عنها ابن باديس و عن فضلها في تنشيط الحركة الأدبية : " الحقيقة التي يعلمها كل أحد أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة (المنتقد) ، فمن يوم ذلك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل ، ثم ظهرت بعد ذلك صحف أخرى كانت تشجع المبادرات و تصقل المواهب و توجه الحركة الشعرية توجيها قائما على إحياء اللغة العربية ، و الرجوع بالشعر إلى عصوره الذهبية ، و تحث الناشئة على تشربه و احتذائه، و عدم الركون إلى السهل و الضعيف منه ، و الذي لا يساعد على تفتيق الأذهان و تجويد الأسلوب "[3] .

وفي تقييم النصوص التي وجدت في هذه الفترة يقول الشيخ البشير الإبراهيمي : "وقد اطلعنا على أكثرها فإذا هي من لون واحد ، مصروفة في الغالب إلى مدح المشائخ والكبراء ، وإذا هي أخت الأشعار الملحونة الرائجة في السوق ، لأنها منقطعة الصلة بالشعر في أعاريضه وأضربه ، و منقطعة الصلة بالعربية في ألفاظها و معانيها ، ومنقطعة الصلة بالخيال في تصرفه واختراعه "[4] .

1- أنظر : عبد الحميد بن باديس : الآثار 16/3.

2- تأسست سنة 1925 ، على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس – رحمه الله –

(أنظر : محمد ناصر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص 52 وما بعدها)

3- محمد ناصر بوحجام : أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1925-1976) ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ط01 ، 1992م ، ص19.

4- المرجع نفسه، ص 20.

فالبشير الإبراهيمي قد سلب عن هذه الأشعار كل ما يمت إلى الأدب بصلة ، و وصمها أولا بالرتابة و الابتذال ، و ثانيا بالتكلف و المصانعة المقيتة ، و ثالثا بالركاكة و الضعف، حتى كانت أخت الأشعار الملحونة ، لمخالفتها للقواعد المطلوبة في نظم الشعر الفصيح ، ونعتها رابعا بالرطانة اللغوية و الابتعاد عما يزين الأدب ، و هو الخيال الذي ينتج ابتكار الصور ، وفي النهاية يحكم عليها بأنها منقطعة الصلة بالعربية[1].

أما مفهوم الشعر عند أدباء جمعية العلماء المسلمين فهو لا يختلف في عمومه عن مفهومه لدى النقاد القدامى ، إذ يعد محمد الهادي السنوسي أن " الوحي " هو الخطوة الأولى لتحديد مفهوم الشعر ، و الوحي مصطلح قديم " لا يبعدنا كثيرا أو قليلا عن مفهوم الإلهام ، و هو من هذه الناحية طريق من طرق التعريف ، يشتمل على ما به الاشتراك وما به التمييز ، أي أنه ينطوي بداهة على تحديد الخصائص النوعية التي تجعل الشيء المعروف ينشأ مع غيره أويتميز"[2]

ومن هذه الزاوية يتابع محمد السنوسي الزاهري إنجازات النقاد السابقين عليه ؛ ويسير على هدى من تقاليدهم ، فينظر إلى الشاعر على أنه إنسان غير عادي تنتابه انفعالات خاصة ، فينقلب من عالم الواقع إلى عالم الإلهام ، فيتخذ امتداده المتميز في العمل ، مما جعله ذا صلة وثيقة بالآلهة الذي يقابله ما أثر عن العرب من فكرة شياطين الشعر الذين يلهمون الشعراء في إبداعاتهم[3].

ويذهب الأستاذ خذري إلى أن السنوسي الزاهري و إن لم ينجح في حل أزمة الشاعر والشعر ، لكنه على الأقل ، نجح في تقديم المحاولة الأولى لإقامة مفهوم الشعر، و لا شك أن محاولته رغم محدوديتها كانت سبيلا يسر الأمر على من جاء بعده، ممن حاولوا المضي في طريق التأصيل النظري لمفهوم الشعر[4].

---

[1]- محمد ناصر بوحجام : أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص 20.

[2]- د/ علي خذري : مفهوم الشعر في نظر نقاد الحركة الإصلاحية الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، (جامعة باتنة) ، ع11 ، ديسمبر 2004 م ، ص 54.

[3]- المرجع نفسه ، ص 55.

[4]- د/ علي خذري : مفهوم الشعر في نظر نقاد الحركة الإصلاحية الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،ص 58.

وقد قدم أبو اليقظان وظيفة الشعر و رسالته في الحياة أكثر مما عني بالتعريف من خلال الماهية ، وهو الأهم إلا في إشارته عن كون الشعر نورا في نفس الشاعر و بقية التعريفات الأخرى هي في الحقيقة تحديدا لوظيفة الشعر، فالشعر عند أبي اليقظان أسمى فن عرفه الإنسان، فالشعر في رأيه عالم مرآوي ، أو هو بمثابة انعكاس في المخيلة لعالم واقعي تظهر فيه مشاعر الأمة و أحوالها و تتراءى فيه نفسيتها و مستواها العقلي في شيء من التلاحم والتوافق، يتوازن فيه الانفعال مع الواقع في انعكاسات داخلية لمعطيات خارجية فيصوغها معطيات من الحس ، كما لو كانت معاني النفس تنطبع في الخيال انطباع الصورة في المرآة ،و محصلة ذلك أن الشعر مرتبط بما تشعر به النفس ، فهو من خواطر القلب إذ أفاض عليه الحس من نوره انعكس على الخيال فانطبعت فيه معاني الأشياء كما تنطبع الصورة في المرآة ، و بتعبير آخر فإنه يرى نفسه في الواقع و يرى الواقع في نفسه ، و من ثم يغدو الشعر عنده مرآة للحياة يمثلها تمثيلا حقيقيا يمثل حياتها العقلية و النفسية و الاجتماعية أصدق تمثيل ، فالتماس هذه الحياة في الشعر أنفع وأجدى من التماسها في أي نشاط إنساني آخر . إذ لا يمكن إدراك الحياة ومعرفتها إلا من خلال الشعر الذي هو عنده بمثابة المرآة المصقولة التي تطل منها و يطل منها الشاعر بروحه المتسامي و نفسه الكبيرة ، هو مرآة لأننا من خلاله نرى الحياة و نحس بها كما تخيلها الشاعر و أحس بها ، و من هنا كان الشعر و الشاعر رسولي الحياة الحقة إلى الإنسان الكامل [1] .

ويرى الدكتور خذري أن نظرة أبي اليقظان للشعر كانت استجابة نابعة من الفكر العربي آنئذ الذي كان ينادي بضرورة الربط بين الشاعر و نفسيته و بين الموضوع والذات و بين الإنسان و الحياة كنظرية طه حسين التي سادت هذه الفترة بالذات[2] ، و التي ترى أن الشاعر ينبغي أن يكون مرآة صادقة تعكس تجاربه و تجارب بيئته[3].

---

[1]- د/ محمد مصايف : جماعة الديوان في النقد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 م ، ص 215.

و ينظر كذلك : د/ علي خذري : مفهوم الشعر في نظر نقاد الحركة الإصلاحية الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، (جامعة باتنة) ، ع11 ، ديسمبر 2004 م ، ص 54.

[2]- أنظر ذلك في : طه حسين : مرآة الضمير الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

[3]- د/ علي خذري : مفهوم الشعر في نظر نقاد الحركة الإصلاحية الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، (جامعة باتنة) ، ع11 ، ديسمبر 2004 م ، ص 59.

ويرى الدكتور محمد مصايف أن موقف أبي اليقظان من الشعر موقف رومنسي محض ، إذ يرى أن للشعر قوة هائلة تفعل في الأمم و الأفراد ما لا تفعله قوة البخار والكهرباء ، وأن هذه القوة هي الروح التي يودعها الشاعر في خلال بيته لقوة بيانه الساحر، فيدخل بدون إذن في أذن السامعين ، فينفذ إلى قرارة نفوسهم ، فيكون فيها إحساسا رقيقا و شعورا حيا ، فتدرك ما فاتها من عز و سؤدد[1].

أما أحمد الأكحل فيرى أن الشعر هو " الكلام الموزون المقفى ، السهل العبارات ، ذو الخيال البديع و الاستعارات البليغة الفائقة،والمعاني الرقيقة الشائعة دون الغريبة ، و هذه العناصر السابقة ترتبط بالتراث النقدي العربي ، بل إن الناقد يكاد ينقل تعريفه عن كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر "[2]. و الشعر عند أبي اليقظان " وحي يوحيه الخيال على النفس، فينطلق به اللسان فينشده الدهر قرونا ، و هو تعريف يبدو منذ الوهلة الأولى قريبا من النظرة الوجدانية ، لكن الشاعر يعود به إلى النظرة التقليدية حين يعتبر الشعر قالبا وخزانة و ميزانا و ديوانا ، وهي النظرة التي يبدو فيها تأثره واضحا بابن طباطبا في عيار الشعر"[3].

---

[1]- د/ محمد مصايف : دراسات في النقد و الأدب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 م، ص 96.

[2]- محمد كناي : الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث ، قضاياه المعنوية و الفنية ، (1925-1962) ، رسالة ماجستير في الأدب العربي ، جامعة الجزائر ، معهد اللغة و الأدب العربي ، 1993-1994 ، ص 230.

[3]- المرجع نفسه ، ص 230.

الفصل الأول :

الإصلاح و الرؤية الإسلامية في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الأول :

إسلامية التوجه الاجتماعي في أدب المقال عند جمعية العلماء

تعد المقالة الصحفية قالبا نثريا يعالج فيه الأديب موضوعا أو يعرض رأيا أو يقرر فكرة، أو يحاول رصد ظاهرة ما بالتحليل و التعليق ، سواء كانت سياسية أو ثقافية أو دينية أواجتماعية، وهذا ما يهمنا في هذا المقام ؛ فالمقالة الاجتماعية في مفهومها العام والشامل عرض موضوعي لشؤون المجتمع ، يعتمد فيها على الإحصاءات و المقارنات، و على التحليل والتعليل و التنبؤ في بعض الأحيان[1]، أو هي تناول للعادات والتقاليد و أسلوب الحياة و العيش ، و ما ترسب عبر الزمن التاريخي و الأدبي في مجتمع من المجتمعات ، "ليسلط الأديب الأضواء من خلال قضاياها على عادات المجتمع و تقاليده ، لتغيير ما أمكن تغييره من الفساد و إحلال ما هو مناسب محلها"[2].

فالمقالة الاجتماعية بهذا المفهوم عرض للظواهر الاجتماعية و علاج مشكلات العصر والمجتمع و أضراره الخفية و السلوكية ، باعتبار الكاتب عنصرا له كينونته الاجتماعية لا عنصرا خارجا عن المجتمع ، يرى بمنظار الراصد و حسب ، لأننا " حين نناقش الكاتب الصحفي في هذا المضمون الاجتماعي إنما نناقشه بحكم كوننا أعضاء في مجتمع ، نناقش واحدا نصّب نفسه للحديث عن المجتمع لا فنانا خالقا ... و الموضوع الاجتماعي هنا يستمد من موقف الكاتب من مجتمعه ، و حكمنا عليه إنما يعني فهمه لمشاكل مجتمعه أم عدم فهمه لها ، و نحن نأخذ عليه معرفته لطريقة حل هذه المشكلات أو أنه ضل الطريق"[3].

وهي – أي المقالة الاجتماعية – تمس محيط الكاتب و قضايا عصره المختلفة فيتفاعل معها على قدر انفعاله و تجربته بالموضوع و بالحدث . لأن من خصائص المقالة أنها تعبر عن تجربة تمثل انفعالات و إحساسات في نفسية الكاتب ، فتخرج التجربة مقرونة بهذه الانفعالات ،كما تصور جوانب واقعية من عصر الكاتب و شؤون مجتمعه ، و نحن إذا ما عدنا إلى واقع الأمة الجزائرية – اجتماعيا –أثناء فترة الاحتلال الفرنسي ، وجدناها – كما وصفها الشيخ البشير الإبراهيمي – تعاني " و جاراتها ، المتحدة معها في الدين والجنس، المقاربة لها في العادات ...

---

[1]- ينظر : محمد يوسف نجم : فن المقالة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، بيروت ، ص 133

2- د/ محمد زغينة : أبو اليقظان ونثره ، رسالة دكتوراه دولة في الأدب الحديث ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 1997-1998 م ، ص 106.

[3]- فاروق خورشيد : بين الأدب و الصحافة ، منشورات إقرأ ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 176

عدة مشاكل اجتماعية لم يكن يسع المصلحين إغفالها و السكوت عليها بعد ظهور آثارها وتحقق أضرارها "[1].

فانبرت جمعية العلماء ، و باتخاذ الصحافة وسيلة ، لإصلاح الواقع الاجتماعي باعتبارها رائدا للإصلاح الوطني آنذاك ، فكانت رسالتها " السعي في تكوين الأمة تكوينا صحيحا من حيث الأخلاق الفاضلة و التفكير الصحيح، وذلك بمقاومة الأوهام والرذائل، و بث روح الوئام و التفاؤل بين المتساكنين على خطة الإسلام ضمن الكتاب والسنة وأثر السلف الصالح"[2].

كما كان الطيب العقبي يهدف بدعوته الإصلاحية في الشعب الجزائري إلى أهداف بعيدة ، ويرمي إلى مرام عميقة ، فغدا " يعالج ذلك المجتمع في عمقه ، و لم يكتف بتصحيح الصلاة وبيان نواقض الوضوء ، بل استهدف تكوين مجتمع جزائري أصيل "[3]، سنده في ذلك و عماده الدين ، الذي أصبح ذا وظيفة اجتماعية صريحة ، اتخذت أحيانا شكل الوظيفة السياسية الخالصة أيضا . و من ثم كان يعمل على تحقيق و إيجاد كل الوسائل وخلق كل الظروف التي تمكنه و رفاقه بالحركة الإصلاحية تحقيق هدفهم المنشود[4]؛ هدف تتوق إليه أفئدتهم ، و هو إعادة مجد الإسلام ، إما بالتزود من تراث الدين المعروف بقوته الخلاقة و بخصبه الثقافي ، أو عن طريق تقدم اجتماعي و مادي يستعير من الغرب أحسن ما عنده من تقنيات و نماذج ثقافية ما دامت لا تتصادم مع العقيدة الإسلامية و قيم الإسلام[5].

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : عيون البصائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، مطابع الشرق ، بيروت ، ص 323.

[2]- إبراهيم أبو اليقظان : وادي ميزاب ، ع103 ، 10 أكتوبر 1928م .

نقلا عن : د/ محمد ناصر بوحجام : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، ص42.

[3]- أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1991-1992م ، ص 72.

[4]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث ، جامعة قسنطينة ، معهد اللغة و الأدب العربي ، 1997-1998 م ، ص 362.

[5]- المرجع نفسه ، ص 362.

فموقف جمعية العلماء المسلمين اتجاه القضايا الاجتماعية كان نابعا من اهتمامها بالمسائل المرتبطة بالمجتمع الإنساني ، ذلك الاهتمام النابع من اهتمام الفكر الإسلامي به، لأن " الإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى للإسلام "[1]،

ومن هذا المنطلق فإن العلاقة بين الإصلاح الديني و الإصلاح الاجتماعي هي علاقة تلازم، فلا يتم الأول إلا بوجود الثاني ، و هذا ما يعبر عنه البشير الإبراهيمي إذ يقول : "إن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي ، و لهذا الارتباط بين القسمين فإن جمعية العلماء – و هي الجمعية الرشيدة العالمة بحقائق الإسلام – عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين"[2].

ويرجع اهتمام جمعية العلماء بالإصلاح الاجتماعي ، إلى تلك العناية الخاصة التي منحها الإسلام للشؤون الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، هذا الأمر الذي دفع بجمعية العلماء إلى تسخير أقلامها لهذه الغاية النبيلة و الرسالة السامية ، فسما أعضاؤها و كتابها بفكرهم ليهتموا بالقضايا الاجتماعية ، انطلاقا من واقع الشعب الاجتماعي ، مستلهمين ذلك من المنهج الإسلامي في معالجته للقضايا الاجتماعية ، و جعله نموذجا يحتذى به لأمهات القضايا في المجتمع الجزائري حينئذ .

ولعل الجمعية في نضال الكلمة هذا ، إنما كانت تروم إلى تكوين مجتمع إسلامي مماثل لما كان عليه المجتمع الإسلامي في عهد السلف ، خصوصا لما لمسته من واقع اجتماعي مزر كان يتخبط فيه المجتمع الجزائري في عهد الاحتلال الفرنسي ، حيث " كان المجتمع الجزائري في القرن العشرين ، و بالتحديد في الفترة الممتدة بين العشرينيات والأربعينيات ، كأنه مجتمع خارج لتوه من مجتمعات القرون الوسطى "[3]،

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 م ، ط2 ، ص 103.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي : الآثار 215/1.

[3]– سعد فهمي : حركة عبد الحميد بن باديس و دورها في يقظة الجزائر ، دار الرحاب ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1983 ، ص 90.

وهذا مرده إلى عاملين أساسيين ؛ أما الأول منهما فيعود إلى ابتعاد أبناء الجزائر عن القيم النبيلة و المبادئ الإسلامية و الأخلاق السامية التي جاء بها الإسلام ، أما ثانيهما فراجع إلى تلك الهمجية الاستعمارية التي عملت على تفكيك الروابط الاجتماعية وفقا لسياسة " فرق تسد"؛ فانتشرت الآفات الاجتماعية في المجتمع الجزائري ، ضعف انسجام و تلاحم أفراده ، وكثرت المشاكل الأسرية ، و ساءت أحوال الشباب الجزائري، وتدهورت وضعية المرأة ، فعمّت الفوضى في المجتمع و كثر الانحلال الاجتماعي والأخلاقي ، واستفحلت العادات والتقاليد البدعية في المجتمع ، فانبرت جمعية العلماء – بكل ما تيسر لها من إمكانات – تنافح وتناضل من أجل إصلاح اجتماعي حقيقي حتى يسمو المجتمع الجزائري إلى حظيرة المجتمعات الراقية .

ومن أهم النقاط التي توقفت عندها مقالات أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تركيزهم على أهم القضايا التي استدرجت فكرهم ، كالدعوة إلى الوحدة والتكافل الاجتماعي ، و قضايا الأسرة و مشكلاتها ، و نظرتهم إلى المرأة وقضاياها ، و التعليم ، لنقف أخيرا عند موقف أدباء جمعية العلماء من قضايا الشباب ، مؤسسين ما نذهب إليه وفق ما كتبه الأدباء أنفسهم ، متناولين هذا و ذاك بشيء من الشرح و التحليل .

1–الدعوة إلى الوحدة و التكافل الاجتماعي :

إن من أهم القضايا الاجتماعية التي عالجها فن المقال عند أدباء جمعية العلماء المسلمين ، واهتم بها اهتماما بالغا هي قضية شبكة العلاقات الاجتماعية و ما آلت إليه من فساد و تمزق بسبب الخلافات التي دبت في المجتمع الجزائري ، بفعل تغذية السياسة الاستعمارية لهذه الخلافات و الصراعات بين أبناء الوطن الواحد بغية كسر شوكة الجزائريين و منعهم من الاتحاد، لأن الاتحاد قوة ضده ، و كذلك تعود هذه الوضعية إلى طغيان المصلحة الشخصية على المصلحة العامة .

وانطلاقا من هاته المعطيات حاول أدباء جمعية العلماء من خلال مقالاتهم و نشاطهم الصحفي أن يقووا شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الجزائري من خلال دعوة أبنائه إلى الوحدة و التكافل الاجتماعي، فصبّوا جل اهتمامهم على معالجة هذا المجتمع من الفرقة التي يعيشها ، و كانوا في كل مناسبة يدعونهم إلى الوحدة الاجتماعية وأن يكونوا وحدة متماسكة، و في نفس الوقت حذروهم من سياسات الاستعمار الفرنسي التي تستهدف ضرب وحدة الشعب الجزائري ، " لأن الفرنسيين أرادوا أن يضربوا نقاط القوة في المقاومة الجزائرية لهم ، و في مقدمتها الوحدة الوطنية "[1] .

فكان أدب المقال وسيلة للدعوة إلى الوحدة و نبذ الخلافات الشخصية و تجاوز المصالح الذاتية في سبيل توحيد الكلمة و الصف ، ولمّ شمل الجزائريين استعدادا للدفاع عن القضايا المصيرية ، و في مقدمتها مقاومة الاحتلال الفرنسي ، فإنه – و حسب تعبير الشيخ الإبراهيمي – " لا يماري في لزوم الاتحاد إلا قصير النظر في العواقب ، أو خادم لركاب الاستعمار من حيث يدري أو لا يدري ، أو مدخول النسب في الوطنية ، أو مغطى البصر في العصبية الحزبية، أو سيء العقيدة في الإسلام و العروبة ، اتهم في إخلاصه لهما "[2] .

كما أشاد أدباء جمعية العلماء – من خلال مقالاتهم – بفضائل الاتحاد على الأمم والشعوب، مستمدين هذا و ذاك من نصوص قرآنية تدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [3]،وكذلك قوله تعالى﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[4] ، فالإسلام في دعوته إلى توحيد الأفراد يسعى إلى إيصال المجتمعات الإسلامية إلى درجة من الوحدة و القوة و التماسك[5] ، و الإسلام في دعوته إلى الوحدة والاتحاد " نهى عن التفرد و أمر بإتباع الجماعة ، و العمل على التأليف بين القلوب المتباعدة ، لأن في الوحدة

---

[1]– أسعد السحمراني : مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط02 ، 1986م، ص 34.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي : دعوة مكررة إلى الاتحاد (مقال منشور في جريدة البصائر ، ع 15 ، سنة 1947) ، عيون البصائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص 337-338.

[3]– سورة الأنبياء / الآية 92.

[4]– سورة آل عمران/ الآية 103.

[5]– منير حميد البياتي : النظم الإسلامية ، دار النشر ، عمان ، الأردن ، ط01 ، 1994 م ، ص 130.

قوة تساعد على ممارسة الدور الإسلامي ذي البعد التقدمي ، من أجل الخير العام الشامل "[1] ، فالإسلام دين وحدة واتحاد ، وهو المبدأ القادر على تقوية شبكة العلاقات بين المجتمعات الإنسانية ، " هذا هو الإسلام متجليا في آيات القرآن ؛ دين واحد جاء به نبي واحد عن إله واحد . و ما ظنك بدين تحفظه الوحدة من جميع جهاته ؟ ... أليس حقيقا أن يجمع القلوب التي فرقت بينها الأهواء ، و النفوس التي باعدت بينها النزاعات ، و العقول التي فرق بينها تفاوت الاستعداد ، بلى والله إنه لحقيق بكل ذلك "[2] .

كما حث أدباء الجمعية المسلمين على التمسك بالدين الإسلامي ، لأنه مصدر وحدة واتحاد ، وأن لا يلتمسوا الوحدة في غيره ، و في ذلك كتب الإبراهيمي يقول : " فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيقة ، و لكن التمسوها في القرآن تجدوا الأفق أوسع ، والدار أجمع ، والعديد أكثر و القوى أوفر "[3] .

ودعا كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الالتفاف حول الإسلام والعروبة، لأنهما عاملان أساسيان من عوامل الاتحاد بينهم ، كما دعوهم إلى نبذ تلك النظرة العصبية والحزبية بينهم ، و من ذلك ما كتبه الابراهيمي في مقالة بعنوان " دعوة مكررة إلى الاتحاد " في جريدة البصائر ، العدد 15 سنة 1948 ، إذ كتب يقول " و اتخذنا من الإسلام و العروبة الجزائرية محورا للدعوة إلى الاتحاد ، و موئلا نسوق إليه المتفوقين من أهله ، لا تحريكا للعصبية الدينية أو الجنسية ، و لكن لأنها الجوامع الطبيعية لرجالنا العاملين ، و الصفات التي تربطهم بالأمة، و الأصول التي ائتمنتهم الأمة على المطالبة بحقوقها فيهما "[4] و لكن الوحدة التي ينشدها أدباء جمعية العلماء لا يمكن تحقيقها إلا وفق شروط تحددها الطبيعة الانتمائية للشعب الجزائري بصفته شعبا عربيا مسلما ، و على رأي الطيب العقبي فـــ " ليس من الممكن جمع كلمة الأمة وتوحيد أفكارها ما دامت مختلفة في عقائدها ، متباينة في مشاربها و أهوائها "[5].

---

[1]- أسعد السحمراني : مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، ص 82.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي : الآثار 90/1.

[3]- المصدر السابق ، ص 93.

[4]- البشير الإبراهيمي : الآثار 336/2.

[5]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 356.

كما ناضلت الصحافة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين من أجل توحيد الصفوف بين البرابرة و العرب ، مفندين في ذلك كل المزاعم الفرنسية التي كانت لا تنفك تنشرها في الأوساط الأمازيغية و حتى العربية ، مذكرين – أي كتاب الجمعية – أن البربر والعرب شعب واحد ، و دينهم دين واحد ، و أنهم ينتسبون إلى عروق واحدة لأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، فها هو البشير الإبراهيمي يفند مزاعم السياسة الاستعمارية فيكتب قائلا : "... و من أباطيل الاستعمار و تهافته ، أنه يسمي السوداني المتجنس بالجنسية الفرنسية ليومه أو لساعته فرنسيا ، و يلحقه بنسبه و يساويه به في حقوقه ومميزاته ، ثم ينكر على البربري – مثلا – أن يكون عربيا بعدما مرت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرنا وزيادة، و بعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلا من أجداده على الاستعراب "[1] .

هكذا كان مبدأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (نحن برابرة عربنا الإسلام) ، وهم في نظرهم هذه إنما يستوحون قول النبي صلى الله عليه و سلم في خطبة الوداع : "لا فضل لعربي على عجمي و لا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ... كلكم لآدم و آدم من تراب". و لم يكن الفتح العربي الإسلامي للشمال الإفريقي احتلالا لأرض البربر ، بل كان تخليصا لهم من حكم الرومان الجائر ، و انتزاعا لهم من براثين الوثنية و المجوسية وتوجيها للفطرة نحو التوحيد ، و قد عبر عن ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي في مقاله (اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة ليس لها ضرة) و المنشور في العدد 41 من جريدة البصائر سنة 1948 ، فقال : " ... وقد كذب وفجر كل من يسمي الفتح الإسلامي استعمارا . و إنما هو راحة لهم من الناصب، و رحمة من العذاب الواصب ، و إنصاف للبربر من الجور الروماني البغيض"[2]، كما نبه إلى تلك المخططات الاستعمارية الرامية إلى غرس الفرقة و الخلاف بين العرب والبربر ، فـــ " القبائل مسلمون عرب ، كتابهم القرآن يقرؤونه بالعربية ، و لا يرضون لدينهم و لا لغتهم بديلا"[3] .

---

[1]- البشير الإبراهيمي : عروبة الجزائر ، الآثار 480/2.

[2]- البشير الإبراهيمي : عروبة الجزائر ، الآثار2/ 221.

[3]- المصدر نفسه ، ص 223.

وإلى جانب نضال جمعية العلماء و أقلامها في سبيل الوحدة و التماسك الاجتماعي، دعت الجمعية من خلال مقالات أعضائها إلى التكافل الاجتماعي ، و حث المجتمع الجزائري إلى الأخذ به ، باعتباره مبدأ نابعا من روح الإسلام و مبادئه ، لأن " الناس في مجتمعهم الذين يعيشون فيه ، يحتاج بعضهم إلى بعض في كل شؤون الحياة ، وهم في مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة لا تبدو في تمامها و كمالها إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعادته "[1].

ومن هذا المنظور الاجتماعي / الديني حث أدباء جمعية العلماء المجتمع الجزائري على الأخذ بهذا المبدأ ، لما يتركه التكافل الاجتماعي من آثار إيجابية على المجتمع ، كما دعوا إلى إشاعة مشاعر الأخوة و الألفة و الإيثار بين شرائح المجتمع و التضامن بينهم، "فإذا ارتفعت النفوس في المجتمع إلى مستوى المحبة هذه تلاقت و التفت ، و إذا تلاقت النفوس و التفت كان كل واحد للآخر كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا ، و هذا من أسباب وحدة المجتمع وتماسكه وقوته "[2] ، ومن مقتضيات التكافل الاجتماعي عند جمعية العلماء أن يشارك الجزائري أخاه في كل مناحي الحياة من فرح وقرح ومن سراء وضراء ، وقد حاول كتاب الجمعية توثيق رباط الأخوة بين أفراد المجتمع الجزائري بهدف بناء مجتمع ، " بناء قويا متماسكا فيه أعلى درجات الشعور بالمسؤولية بعيدا عن الانحلال و الأنانية و الفردية المطلقة و اللامبالاة "[3] ، فيتوحد الجزائريون بذلك و يصبحوا كالجسد الواحد في مواجهة الاستعمار و الدفاع عن القضية الوطنية .

ومن هنا يتبلور مفهوم التكافل الاجتماعي من منظورات ثلاث : اجتماعي – سياسي – ديني ، وهذا ما هو إلا صورة طبق الأصل لمفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام ، وما دعوة أدباء جمعية العلماء لهذا المبدأ إلا تطبيقا لمبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، والسمو بالمجتمع الجزائري إلى مصاف المجتمعات الإسلامية المتحضرة الراقية .

---

[1]- منير حميد البياتي : النظم الإسلامية ، ص 129.

[2]- المرجع نفسه ، ص 129.

[3]- المرجع نفسه ، ص 131.

فتحقيق الوحدة و التكافل الاجتماعي توحيد للمجتمع الجزائري و قضاء على كل مظاهر الخلاف و التفرق ، و بهما يستطيع المجتمع استدراك ما فاته و توحيد جهوده لمعالجة أمهات القضايا الوطنية المصيرية ، و على رأسها قضية الاحتلال .

2- الأسرة و مشكلاتها :

تعد الأسرة وسطا طبيعيا و اجتماعيا للإنسان ، فنظام الأسرة في أي أمة من الأمم هو الذي يربط أفرادها بالمعتقدات العامة للأمة من دين و لغة و تاريخ و أخلاق ... ، وهي النواة الأساسية لتكوين أي مجتمع من المجتمعات ، مثلها" مثل القلب في جسم الإنسان ، إن صلحت صلح المجتمع و إن فسدت فسد المجتمع "[1] ، وهي من هذا المنظور " المعهد الاجتماعي للتيار الإنساني للفرد، و السلوك الذي يتعلمه الفرد داخل الأسرة يصبح النموذج أو الطراز المطلوب لسلوكه التصرفي في القطاعات الأخرى في المجتمع "[2] .

لهذا تلعب الأسرة دورا بارزا في البناء الحضاري للأمم و الشعوب ، و عليه أولت كل الأديان و الشرائع الأسرة عناية بالغة ، و الإسلام – و هو أمتنها بناء و أوثقها روابطا اجتماعية – " حث على تكوين الأسرة و دعا الناس إلى أن يعيشوا في ظلالها"[3]، و اهتم بحمايتها من آفات الفساد و الهدم و من جراثيم البيئة و عدواها ، و عكف على صيانتها "بكل أسباب السلامة و الاستقامة و الثبوت ، ليقيم عليها بناء المجتمع المتماسك السليم النظيف العفيف "[4] ، و هذا تبعا لوظائف الأسرة الحساسة من " واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في مراحل الطفولة ، بل في المراحل التالية كلها"[5].

---

[1]- محمد الأخضر ضيف الله : محاضرات في النظم الإسلامية و الحضارة العربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985، ص 144.

[2]- مصطفى المسلماني : الزواج و الأسرة ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر ، د.ت، د.ط ، ص20.

[3]- خالد عبد الرحمن العك : آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب و السنة ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط03، 1997م ، ص 212.

[4]- المرجع نفسه ، ص 225.

[5]- المرجع نفسه ، ص 214.

ومن هذه المنطلقات صالت أقلام أدباء جمعية العلماء و جالت في رحاب قضايا الأسرة الجزائرية و مشكلاتها ، و تعمقوا فيها محاولين الرفع من قيمتها و إعلاء درجتها حتى تلحق بركب الأسرة الإسلامية كما رسمها النهج الإسلامي القويم كتابا و سنة ، فقد رأى الشيخ الطيب العقبي أن " الأمة في حاجة ضرورية إلى الإصلاح لا من ناحية الدين فقط ، بل من مناحي شتى و جهات عديدة "[1] ، و منها الأسرة التي هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ، فكيف يكون حالها إذا هي نشأت نشأة غير سوية يعيش فيها الجهل والأمية .

إذ تعد الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تهتم بشكل فعال ببناء الإنسان في مختلف جوانب شخصيته العقدية و الاجتماعية و النفسية و الخلقية ، بوصفها الخلية الجوهرية في بناء المجتمع ، ففيها تتجسد الوظائف الحيوية التي تقدمها للمجتمع من خلال قيامها برعاية الفرد على تلبية ما يحتاج إليه من خدمات و عناية و إشراف.و هذا يعني أن مساهمة الأسرة في عملية البناء الحضاري مساهمة لها دورها الخطير ، و لن يتأتى لها ذلك إذا ما كان أحد الزوجين جاهلا[2].

و قد اعتبر أدباء جمعية العلماء الزواج الركن الأول و اللبنة الأساس في تكوين الأسرة، وفي هذا إشادة بالدين الإسلامي الذي أولى الزواج عناية فائقة ، دون الكتب السماوية و الشرائع الوضعية الأخرى ، فـــ " أحكام النكاح و توابعه تعد من مفاخر التشريع الإسلامي المستند على الوحي الإلهي ، ولا يوجد دين من الأديان السماوية أوالوضعية اعتنى بهذه الأحكام ، وفصل القول فيها و بنى أصولها على الفطرة و ما تحتمل و ما لاتحتمل إلا دين الإسلام "[3].

وتحدث الإبراهيمي عن موضوع الزواج في خضم معالجته للقضايا و المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري ، لافتا بذلك أنظار المصلحين الاجتماعيين إليه كظاهرة لها من أهميتها ، داعيا إياهم إلى عدم إغفالها و السكوت عنها، عارضا في الآن ذاته انبراءه – وزملاءه – لهذه القضايا و عرضها ، إذ كتب يقول : "تعاني الأمة الجزائرية ... عدة مشاكل

---

[1]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 369.

2- منير حميد البياتي : النظم الإسلامية ،ص 364.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي : فصل الحكومة عن الدين ، عيون البصائر ، ص 131-132.

اجتماعية لا يسع المصلحين إغفالها ولا السكوت عليها بعد ظهور آثارها و تحقق أضرارها ، وستعالج (البصائر) طائفة من أمهاتها ، بتبيان نتائجها و بيان وجهة الرأي في علاجها ، سائلة جملة الأقلام و جملة الألسنة و ذوي الرأي أن يظهروها في هذا العلاج "[1].

وقد لاحظ رجالات جمعية العلماء تأخر سن الزواج لدى الشباب الجزائري إلى ما فوق سن الثلاثين ، فاعتبروها ظاهرة خطيرة لما يترتب عنها من آثار سلبية تهدد كيان المجتمع الجزائري ؛ يقول البشير الإبراهيمي – عارضا موقفه من القضية – " أعضل هذه المشاكل وأعمقها أثرا في حياة الأمة ، و أبعدها تأثيرا في تكوينها مشكلة الزواج بالنسبة إلى الشبان ، فالواقع المشهود أن الكثير من شبابنا ... و هم أملنا و ورثة خصائصنا ، يعرضون عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق "[2].

ولهذا فقد دعا أدباء جمعية العلماء الشباب الجزائري إلى التعجيل بالزواج لأن الزواج المبكر صنيع حميد يحبذه الإسلام و يشجع عليه ، فقد أثر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء "[3] . كما حذر العلماء المسلمون الجزائريون من التأخر أو العزوف عن الزواج ، لأن هذا يؤدي إلى استفحال الآفات الاجتماعية ، وفي مقدمتها ظاهرة العنوسة بين الفتيات ، وعدم استغلال الشباب في بناء الحياة الزوجية ؛ يقول الشيخ البشير الإبراهيمي : " فيضيع على الجنسين

ربيع الحياة ونسماته و أزهاره و بهجته و قوته ، و يضيع على الأمة نبات ذلك الربيع وثمر الخصب والنماء و الذكاء فيه ، ثم تضيع بسبب ذلك أخلاق و أعراض و أموال "[4]

كما أن الإبراهيمي يرى أن على الأمة الرشيدة أن تحرص على توجيه هذه الفئة من المجتمع ، وهذه الطاقات الفياضة لما فيه صلاحها و صلاح وطنها ، مؤكدا أن " الأمة الرشيدة

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي : من مشاكلنا الاجتماعية ، عيون البصائر ، ص 323.

[2]– المصدر نفسه ، ص 323.

[3]– أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القنوجي البخاري : السراج الوهاج ، صحيح مسلم بن الحجاج ، حققه : عبد الله بن ابراهيم الأنصاري ، نشر وزارة الشؤون الدينية ، قطر ، ج05 ، 1984م، ص130 .

[4]– محمد البشير الإبراهيمي : من مشاكلنا الاجتماعية ، عيون البصائر ، ص 323

هي التي تحرس شبابها في طور الشباب من الآفات التي تصاحب هذا الطور ، فتحافظ على أفكارهم أن تزيغ ، لأن هذا الطور له ما بعده من زيغ أو استقامة ، وتحافظ على أهوائهم أن تتجه اتجاها غير محمود ، و تحافظ على عقولهم أن تعلق بها الخيالات ... و تحافظ على ميولهم وعواطفهم أن تطغى عليها الغرائز الحيوانية ، لأن هذا الطور هو طور تنبهها و يقظتها "[1] .

وهذه المواقف الفكرية في جهاد الكلمة لدى أدباء جمعية العلماء تدل حتما على ذلك الوعي و النضج الفكري و الحس الحضاري لديهم ، في معالجتهم لأمهات القضايا الأسرية[2] ، وفي مقدمتها الزواج و الصداق و الطلاق ، و ما مقالاتهم إلا خير دليل على ذلك ، وهذا بغية تكوين أسرة جزائرية ترقى إلى مستوى الأسرة (الفاضلة) ، من أجل ترقية المجتمع وإخراجه من براثين الآفات و المشاكل التي طالما أثقلت كاهله وعرقلت مساره نحو ركب المجتمعات الحضارية الراقية .

3- قضايا المرأة :

لقد أحاط الإسلام المرأة بمنزلة رفيعة و أعاد لها إنسانيتها المسلوبة في جاهلية الفكر الإنساني – عبر العصور – و منحها " المساواة التامة مع الرجل و أعطاها كامل حقوقها الشرعية "[3] ، كما أحاطها بأحكام قطعية من الكتاب و السنة تحفظ للمرأة حقوقها ، ولا يجعلها خاضعة لأهواء الآباء و الأزواج و الأبناء ، و " لم يجعل للرجل عليها سبيلا في كل ما يرجع إلى دينها و فضائلها ... فأوجب على أبيها الإنفاق عليها و تأديبها ما دامت في حجره إلى أن تتزوج...فإذا تزوجت انتقل كل ما لها من حق أدبي أو مادي من ذمة الأب إلى ذمة

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : من مشاكلنا الاجتماعية ، عيون البصائر ، ص 325.

[2]- و ليس الزواج وحده ما عالجه أدباء جمعية العلماء ، بل عالجوا قضايا أصناف الشباب و رؤاهم للزواج ، و قضية الطلاق ، و قننوا مختلف الظواهر و أطروها وفق المنهج الإسلامي القويم ، انطلاقا من الكتاب و السنة .

[3]- يحي أحمد الكعكي : معالم النظام الاجتماعي في الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبان ، ط03 ، 1992 ، ص 219.

الزوج... ووصايا القرآن و السنة و أحكامهما في بر الأمهات معروفة ، وهي أظهر من الشمس "[1] .

ولا يوجد دين سماوي ولا تشريع وضعي أنزل المرأة مكانها التي أنزلها إياها الإسلام، و من هذا الأساس انطلق أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أسسوا منهجهم الفكري والإصلاحي في قضايا المرأة ، و حاولوا أن يمنحوها تلك المكانة التي منحها إياها الإسلام ، مشيدين بدور المرأة الريادي و مساهمتها جنبا إلى جنب مع الرجل في بناء مجتمع صالح ، معتمدين أساسين لإنزال المرأة المكانة اللائقة بها ، و هما أولا تعليمها ، و ثانيهما دورها في بناء الوطن .

أ–المرأة و التعليم :

انطلق أدباء جمعية العلماء من واقع المجتمع الجزائري المزري ليصوروا ذلك الوضع الذي تعيش فيه المرأة الجزائرية من جهل و أمية ، بسبب تلك العادات و التقاليد البالية التي كانت تتسم بالقسوة و التشدد في تعليم المرأة ، إلى حد أن اعتبر البعض أن تعليم المرأة يعد من الكبائر ، و نظرا لتلك الأحكام و الأفكار الخاطئة التي شاعت ورسخت في الأذهان وقتئذ ، سارت حركة تعليم المرأة ببطء كبير في الجزائر ، حيث بقيت فئة قليلة جدا من النساء الجزائريات اللواتي حظين بالتعليم في المدارس الفرنسية ، و هذا راجع إلى وضعية عائلاتهن المقيمة في بعض المدن الكبرى أين تتواجد الكثافة السكانية الأوربية .

ومن هذا المنطلق الواقعي لوضعية تعليم المرأة في المجتمع الجزائري ، بذل أدباء جمعية العلماء المسلمين جهودا جبارة في النضال من أجل تعليم المرأة الجزائرية تعليما عربيا إسلاميا ، وإخراجها من براثين الجهل و الأمية التي كانت تتخبط فيها ؛ فهي بذلك دعوة إلى التعليم للنهوض بالمرأة لا دعوة إلى تحريرها بالمفهوم الحديث[2] .

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي : الرق في الإسلام ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ، جمع و تقديم د/ أحمد طالب الإبراهيمي ، ج04 ، 1952-1954، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، 1997.ص361

[2]– أنيسة بركات درار : نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985 ، ص 20.

ولقد واجه أدباء جمعية العلماء في بداية دعوتهم الإصلاحية لوضعية المرأة صعوبات جمة وانتقادات لاذعة من لدن المحافظين الذين اتهموا الجمعية و صحافتها بإفساد المرأة ، فقد دعا العقبي جهرة إلى تعليم الفتاة في ظرف كانت فيه مثل هذه الأفكار من قبيل الأمور التي لا تقبل، و الأفكار التي لا تناقش أصلا ، لجراءتها على العادات و التقاليد التي لا ترى ذلك إلا مروقا . فجاهر الرجل بهذه الدعوة و راجع كثيرا من مظاهر التخلف المتفشية في المجتمع الجزائري إلى الجهل و الأمية و عدم تعليم البنين و البنات . فقال في سلسلة (يقولون و أقول): " يقولون عندما أقول لهم علموا بناتكم و أدبوهن على حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية حتى يتمكن لأزواجهن أن يعيشوا معهن عيشة راضية و يحيوا جميعا حياة طيبة ، إن بقاءهن على هذه الحالة خير لنا و لهن و أنا أقول لهم و أعتقد صحة ما أقول :

ما حياة المرء مع زوج له ليست أديبه

غير سجن أبـــدي عظمت فيه المصيبه"[1]

كما واجهت الجمعية صعوبات أشد من قبل السلطات الاستعمارية التي كانت تحارب التعليم العربي ، و تحبذ توجيه الفتيات إلى المدارس الفرنسية ، حيث التعليم الغربي ، بهدف إدماجهن في المجتمع (الأوربي) .

وكان الشيخ البشير الإبراهيمي يرى أن الخطوة الأولى لتحرير المرأة الجزائرية هو تعليمها تعليما دينيا و وطنيا ، كما اعتبر أن الحجاب لا يقف عائقا أمام تطورها ، وهذا ما ذهب إله الشيخ عبد الحميد بن باديس أيضا ، إذ كتب يقول " إذا أردتم إصلاحها (أي المرأة) ... فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها ، و أما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها "[2] ، وإذا كان الابراهيمي يدعو إلى ضرورة تعليم المرأة فإنه " يشترط أن يقوم هذا التعليم على أساس من المثل الدينية و القومية و الأخلاقية ، فيكون تعليما إسلاميا قويا بروحه قائما بفضيلته "[3] ،

---

[1]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 368.

[2]- أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 م ، ص 232.

[3]- عقيلة صخري : فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي ، دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث ، جامعة عين شمس ، جمهورية مصر العربية ، 1990 ، ص 194.

كما أشار أدباء جمعية العلماء المسلمين إلى فضائل التعليم على المرأة و على الأسرة ، وعلى المجتمع باعتبار أن المرأة مدرسة إذا أعدت أعد جيل صالح ، و لقد استطاع هذا الرعيل أن ينهض بالمرأة الجزائرية ، و بفضل جهوده ارتفعت نسبة تعليم النساء الجزائريات .

وهكذا لعبت الصحافة الإصلاحية دورا رياديا و بارزا في ميدان تعليم المرأة الجزائرية ، فبفضل جهودها الحثيثة شق التعليم العربي و الإسلامي طريقه إلى قلب المرأة الجزائرية ، واستطاعت أن تتجاوز سنوات الجهل و الأمية التي طالما عانت منها، واستطاعت كذلك أن تساهم في البناء الحضاري للوطن.

ب – دور المرأة في بناء الوطن :

تلعب المرأة المتعلمة الواعية دورا رئيسيا في بناء أسرة قوية و مجتمع متماسك ، كما تساهم في تغيير المجتمع نحو الأفضل و الأمثل ، فهي من الناحية الكمية نصف المجتمع، و إذا أراد أي مجتمع أن يتنصل من رواسب الجهل و التخلف و الفقر فعليه أولا – وقبل أي شيء – أن يعد المرأة إعدادا كاملا ، فبواسطتها يتم التغيير باعتبارها مدرسة لإعداد الأجيال ، و صلاح المجتمع وفساده مرتبط بها ، فإذا صلحت صلح المجتمع و إذا فسدت فسد المجتمع ، و ذلك " لأن مركز المرأة في المجتمع ممتاز و لأن الحياة كلها تتوقف عليها "[1].

ومن بين الأدوار التي تلعبها المرأة داخل المجتمع ، هو استطاعتها القضاء على العادات والتقاليد البالية المنتشرة في المجتمع ، فهي أفضل مساعد للحركة الإصلاحية ونعم العون للمصلح الاجتماعي ، فـــ " المرأة نعم العون في هذا الباب ، و ما دام عقل المرأة لم يرتق إلى معركة الحقائق و تبيين وجوه المصالح فإن أملنا في إصلاح هذه الحالة ضعيف ، والمرأة هي نصفنا " الضعيف القوي " شئنا أو أبينا "[2].

[1]– محمد البشير الإبراهيمي : الرق في الإسلام ، الآثار 362/4.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي : الصداق ... و هل له حد ؟ عيون البصائر ، ص 359.

هكذا يصف الإبراهيمي دور المرأة في بناء وطنها ؛ هو دور " الشفاء " ، وهذا نتيجة لتمتعها بقدرات مهنية و عقلية[1] ، و ما هذه النظرة إلا تبن للنظرة الإسلامية للمرأة، وهي نظرة اعتدال لا تشدد ، و هذا في حدود الضوابط الشرعية لحرية المرأة وتحررها .

ج- تربية الشباب :

إن الشباب عماد الأمة و مستقبلها ، و حرصا منها على تأطير شباب فعال إيجابيا في مسيرة الأمة انبرت الصحافة الإصلاحية لقضايا الشباب ، فصورت بداية واقعه المزري الضنك في ظل الاحتلال ، ليكون الشباب على أتم الاستعداد لما هو أعظم ، و هو المواجهة و المجابهة ، فقد كتب الإبراهيمي يقول مخاطبا الشباب : " أنتم في وضعكم الاجتماعي أبناء حياة ليس لكم في تسييرها يد ، و وطن ليس لكم في أرضه مستقر ، و جيل ليس لكم في تكوينه أثر ، وتاريخ ليس لكم في تسطيره قلم ، و قانون ليس لكم في وضعه شرك ، وحاضر ليس لكم في تدبير مستقبله رأي ، فجئتم على هذه الصورة التي لا تأتي إلا في فترات مجنونة من الزمن "[2].

كما أوصى الإبراهيمي الشباب بالإقبال على ثلاثة أمور تعتبر خلاصة في بناء جيل صالح يقود الأمة إلى بر الأمان ، و هي الأخلاق و العلم و الوطنية ؛ فالأخلاق الفاضلة المستمدة من التعاليم الإسلامية التي تحيي النفوس و توقظ الضمائر ، و تجنب الشباب الانحلال الخلقي ، وتبعث على الابتعاد عن الرذائل ، كما أن هذه الأخلاق الفاضلة تسمو بتفكير الشباب الجزائري ، و تجعله يتطلع إلى حياة شريفة و مشروعة ، و يقوم بخدمة وطنه و مجتمعه و يقدم المصلحة العامة للوطن على المصلحة الذاتية أو الشخصية ، فيرقى بذلك الشباب الجزائري إلى مستوى الشباب المحمدي ، و في ذلك يقول الشيخ الإبراهيمي : " أتمثله محمدي الشمائل ، غير صخاب ولا عياب ، و لا مغتاب ولا سباب، ، عفّا عن محارم الخلق و محارم الخالق ، مقصور اللسان إلا عن دعوة الحق أو صرخة في وجه الباطل ... قوي الإيمان بالحياة ، صحيح النظر في حقائقها ، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها ، ذلق اللسان في المطالبة بها ... أتمثله مقدما

---

[1]- فهمي سعد : حركة عبد الحميد بن باديس و دورها في يقظة الجزائر ، دار الرحاب ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ط01، ص 93.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي : كلمات واعظة لأبناء المعلمين الأحرار ، عيون البصائر ، ص 293.

لدينه قبل وطنه و لوطنه قبل شخصه، يرى الدين جوهرا و الوطن صدفا ، وهو غواص عليهما يصطادهما معا"[1].

وكانت جمعية العلماء حريصة على أخذ الشباب بزمام التعليم للأخذ بأسباب القوة، وكانت في مناسبة تربط العلم بالعلم في معادلة منطقية تجعل الأول مكملا للثاني .

أما الوطنية – و هي من الإيمان – فهي تقتضي ربط الشباب الجزائري بوطنه ، ولهذا على الشباب أن يحافظوا على وطنهم ، و يعملوا على تخليصه من أيدي مغتصبيه وتطهير أرضه من دنس محتليه ، و تبقى هذه المهمة ملقاة على كاهل الشباب الجزائري ، وعلى المصلحين تثبيت الشباب على ركائز ثلاث (الأخلاق – العلم – الوطنية) ، باعتباره زاد الغد و رأسمال الأمة، وعلى العلماء حماية الشباب من التيارات الغربية الجارفة ، لأنها تلهيه عن دينه و عقيدته ، كما تدعو إلى الإباحية والانحلال الخلقي ، في حين أنه لا ضرر من اقتباس العلوم النافعة من حضارة الغرب و ترك قشورها التي لا تسمن و لا تغني من جمود ، و في ذلك يقول الشيخ البشير الإبراهيمي : " أتمثله برا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا ، مزورّا عن الحضارة التي رمته بقشورها فأرخت أعصابه و أثنت شمائله ، و خنثت طباعه وقيدته بخيوط الوهم و مجّت في نبعه الطاهر السموم "[2] .

هكذا كانت تهدف مقالات أدباء جمعية العلماء ، تكوين شباب جزائري محمدي يقود الأمة نحو المستقبل الزاهر ، و يخلصها من دنس المحتل ، و يمضي بها قدما نحو ركب المجتمعات المتحضرة الراقية .

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر ، عيون البصائر ، ص 588.

[2]- المصدر السابق ، ص 586.

المبحث الثاني :

إسلامية التوجه السياسي

سبقت الإشارة إلى أن فكر رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يكن مجرد اشتغال على أبجديات الوعظ الديني المباشر ، لأنهم لم يكونوا رجال دين ، بالمفهوم التقليدي ، وحسب ، بل إن فلسفتهم الحضارية كانت بمثابة استلهام لكل ما هو جزائري عربي إسلامي أصيل ، فقد تشبعوا بالثقافة التراثية التي ترسم الأطر العامة لانتماء هذا الشعب و راحوا يناقشون واقعه انطلاقا مما هو كائن بغية الوصول إلى ما يجب أن يكون.

وبقدر اشتغال الرعيل الأول من رجال الإصلاح في الجزائر على الواقع الديني والثقافي للأمة، بقدر ما كان اهتمامهم بواقعها السياسي ، باعتبارها أمة قهرتها الفرقة التي غذاها المحتل الدخيل ، فبعد أن احتل الأرض لم يذخر جهدا في محاولة طمس معالم هوية هذا الشعب ، بيد أن المقاومة لم تنطفئ جمارها و لم يخمد أوارها ، و اتخذت المقاومة أشكالا شتى ، و إن كان البعد و الهدف واحد ، فمنها ما كان مسلحا يصد العدوان باللهب والدم ، و منها ما كان سياسيا يناقش من منطق سيادة كلمة الشعب، و منها ما كان فكريا يبتغي توعية مختلف شرائح الشعب بقضيتها الأولى ألا وهي أن الأرض التي تطهرت بكلمة " التوحيد " قبلا يجب أن تطهر اليوم بسلوك " الوحدة " ، وهو الخيار الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وشكلت منه أحد دعامات سيرورتها النضالية ضد جور المحتل وخور المتخاذل وخيانة العميل.

فالواقع السياسي للجزائر في تلك الحقبة كانت ترسمه بعض الأحزاب السياسية التي بدأ يتبلور لديها مفهوم العمل السياسي ، خصوصا بعد الحرب العالمية الأولى ، التي تعد من أشد الأحداث تأثيرا " في التحول العميق الذي مس الجزائر اقتصاديا و سياسيا وثقافيا واجتماعيا . كانت تلك الأحداث بمثابة الصدمة العنيفة التي ردت الوعي إلى الجزائريين فانتزعتهم من غيبوبة الشطحات الصوفية التي سادت القرن التاسع عشر لتلقي بهم في تيار حضارة القرن العشرين "[1] . وظهرت على الخارطة السياسية أحزاب سياسية و منظمات في باريس مناهضة لسياسة التفرقة العنصرية و الاستعمار الفرنسي[2]، ومن أبرز الأحزاب والجمعيات التي أفرزتها

---

[1]- د/ محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية ، 1925 -1975 ، ص 26-27.

[2]- ينظر : عبد المجيد عمراني : النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية ، 1954-1962، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1995 ، ص47.

الحركة الوطنية السياسية في تلك الفترة " حزب الشباب الجزائري " الذي ترأسه الأمير خالد الجزائري[1] ، و كانت جريدة " الإقدام " هي الجريدة الناطقة بلسان الحزب[2] ، ويذهب معظم المؤرخين أن هذا الحزب تأسس بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ، ثم ظهر بعده " حزب الإخاء الجزائري " في جانفي 1922 خلفا لحزب الشباب الجزائري الذي حله الاستعمار الفرنسي ، ثم ظهر الحزب الليبرالي برئاسة الدكتور " بن التهامي " والذي كان برنامج حزبه لا يختلف كثيرا عن برنامج الأمير خالد إلا في نقطة واحدة ؛ هي دمج الجزائر بفرنسا دمجا كاملا، ومنح الجنسية الفرنسية للجزائريين بغض النظر عن التمسك بالأحوال الشخصية الإسلامية ، ثم ظهرت الفدرالية الشيوعية الجزائرية التي تأسست سنة 1924 ، ثم تأسس حزب " نجم شمال إفريقيا " في المهجر ، و بالضبط في العاصمة الفرنسية باريس ، في مارس 1926 ، بزعامة " مصالي الحاج"، ثم ظهرت فدرالية نواب مسلمي الجزائر التي تأسست في 18 جوان 1927 برئاسة " بن التهامي " ، وقد كان لهذه الأحزاب السياسية الوطنية دور ريادي ، لكونها ساهمت إلى حد كبير في إيقاظ الضمائر و نشر الوعي بين أبناء الجزائر ، و قد اختلفت مطالب هذه الأحزاب في هذه الفترة بين الدعوة إلى المساواة التامة بين الجزائريين والفرنسيين في شتى الحقوق والواجبات ، و الدعوة إلى الاستقلال التام عن فرنسا كما هو عند حزب نجم شمال إفريقيا، و في ظل هذه الأوضاع السياسية التي عرفتها الجزائر ، و تزامنا مع احتفال الاستعمار بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر ، تأسست جمعية العلماء الجزائريين في 05ماي 1931 بنادي الترقي بالعاصمة ، بقيادة " عبد الحميد بن باديس " ، " و كان الجو الذي نشأت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو الجو الذي بلغ فيه الاستعمار الفرنسي

---

[1]- هو الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري ، ضابط و صحفي من رجال السياسة، ولد في دمشق عام 1875 ، انتقل مع أسرته إلى الجزائر وهو في مقتبل العمر ، نفته الحكومة الفرنسية إلى الاسكندرية سنة 1925 ، توجه إلى دمشق حيث قضى بقية حياته و توفي فيها سنة 1936م.

(ينظر : عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، لبنان، ط02 ، 1980 ، ص 99-100.).

[2]- ينظر : أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985 ، ص 40.

ذروة شدته "[1] ، و لهذا اعتبر بعض المؤرخين أن تأسيس جمعية العلماء كان بمثابة رد فعل على عيد فرنسا ، و كذلك ردا على تصريحات أحد قادة الاستعمار الفرنسي الذي قال ، بالحرف الواحد سنة 1930 ، : " إن عصر الهلال في الجزائر قد ولى ، و إن عصر الصليب قد بدأ وسوف يستمر للأبد "[2] ، و كذلك قال أحدهم بهذه المناسبة : " إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، و أن نقتلع العربية من ألسنتهم"[3]، و لهذا كان من بين الأهداف الرئيسية لجمعية العلماء هو إحياء مقومات الشخصية الجزائرية ، و هذا ما ذهب إليه محمد الطاهر فضلاء حين قال : " إن جمعية العلماء قد أحيت الجزائر ، و بعثت فيها عربيتها التي كادت تغيب وإسلامها الذي كاد يقضى عليه"[4] ، و في ظل جمعية العلماء تأسست أحزاب أخرى أهمها " حزب الشعب الجزائري " بقيادة " مصالي الحاج" بعد أن حل الاستعمار الفرنسي حزبه الأول " نجم شمال إفريقيا " ، و" حزب أحباب البيان و الحرية " بزعامة " فرحات عباس " الذي اتخذ من " مجلة المساواة " الصادرة في مارس 1944 ، الناطق الرسمي له ، التي رسمت أهدافه التي تتلخص في العمل على تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين[5]، وما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى " بدأ الشعب الجزائري يحتج و يطالب بحقوقه الشرعية مثل جميع شعوب العالم في تقرير مصيره"[6]، ففاجأتهم فرنسا بمجازر رهيبة عرفت بـــ "مجازر 08 ماي 1945 " رغبة منها في خنق الوعي السياسي المتصاعد لدى الجزائريين ، فكانت هذه الأحداث بمثابة نقطة انعطاف حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية التي انحسرت مطالبها بعد هذه الأحداث في الاستقلال التام عن فرنسا ، و في ظل هذه الظروف هبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنافح بضراوة عن حق الشعب في تقرير مصيره ، و من أهم مظاهر العمل السياسي للجمعية:

---

[1]- محمد الطاهر فضلاء : محمد البشير الإبراهيمي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1967، ص 148.

[2]- جريدة الأطلس الأسبوعية ، ع 107 ، أكتوبر ، 1996 م ، ص 11.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي : الآثار 07/1.

[4]- محمد الطاهر فضلاء : محمد البشير الإبراهيمي ، ص 150.

[5]- ينظر : عبد الرحمن عواطف : الصحافة العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985 ، ص 44.

[6]- عبد المجيد عمراني : النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية ، ص 47.

أ– المؤتمر الإسلامي :

نشر عبد الحميد بن باديس فكرة عقد المؤتمر في جريدة "لاديفانس" في عددها الصادر يوم 02 جانفي 1936 ، و كان أول من فكر فيه ، وذلك قبل فوز الجبهة الشعبية بأشهر قليلة ، وعند نجاح هذه الأخيرة أصبح عقد المؤتمر ميسورا ومؤكدا ، و في ذلك يقول الشيخ البشير الإبراهيمي : " يسجل التاريخ المنصف فكرة عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فقد كان نشر في جريدة (لاديفانس) في عددها الصادر في 3 جانفي 1936 آراء له في السياسة الجزائرية "[1] .

وقد لقيت فكرة ابن باديس استحسانا كبيرا في الأوساط السياسية و الثقافية ، كما أيدتها شخصيات بارزة في الجزائر ، و لقد تزامنت فكرة ابن باديس في عقد المؤتمر الإسلامي مع الأحداث السياسية التي عرفتها فرنسا ، و خصوصا فوز الجبهة الشعبية بالانتخابات التشريعية الفرنسية و إشرافها على تشكيل حكومة جديدة ، و يرى الإبراهيمي أن فكرة ابن باديس في عقد المؤتمر لم تكن لترى النور لو لم تفز الجبهة الشعبية بالاستحقاق الانتخابي، وبعد فوزها أصبح عقد المؤتمر أكيدا ، يقول الإبراهيمي في ذلك : " و أما وقد فازت الجبهة الشعبية في الانتخابات التشريعية وأصبحت أزمة الحكومة الفرنسية بيدها ، فقد أصبح عقد المؤتمر ميسورا ومؤكدا في أن واحد "[2] ، و قد وجهت جمعية العلماء نداء عبر الجرائد و المجلات لكل الشرائح الموجودة في المجتمع الجزائري لحضور هذا المؤتمر دون إقصاء أو تهميش لأحد ، كما قامت بتشكيل لجان تحضيرية –كان الإبراهيمي على رأسها – تضم " الشباب والعمال ورجال الصنائع و الفلاحين وقدماء المحاربين في قسنطينة و الجزائر وتلمسان و بعض مدن القطر "[3] ، كما دعت جمعية العلماء الحاضرين في المؤتمر أن ينظموا مطالبهم الخاصة ويقدموها إلى هيئة المؤتمر لإعادة صياغتها من جديد[4] .

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي : الآثار 173/1.

[2]– المصدر نفسه ، ص 173.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي : الآثار 1 ، ص 174.

[4]– ينظر :– صالح فركوس : المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م – 1962 م) ، دار العلوم ، عنابة ، الجزائر ، 2003 ، ص 236.

وقد تمت صياغة مطالب المؤتمر ، التي صودق عليها بالإجماع ، و تم طبعا في كراسة سميت " كراس المؤتمر الإسلامي الجزائري " ليقدم إلى الهيئات المعنية ، يصحبها وفد من أعضاء المؤتمر.

وقد تلخصت مطالب المؤتمر في[1] :

- إبطال القوانين الاستثنائية المختصة بالأهالي المسلمين .
- ضم الجزائر إلى حكومة باريس و إلغاء الولاية العامة بالجزائر .
- احتفاظ الجزائريين بمقوماتهم الوطنية .
- فصل الدين عن الحكومة .
- إلغاء جميع القوانين الصادرة ضد اللغة العربية ، مع الحرية التامة في التعليم و الصحافة .
- جعل التعليم في القطر الجزائري إجباريا على البنات و البنين .
- تشييد المدارس و توحيد التعليم بين أبناء الجزائريين و أبناء الأوربيين على السواء .
- الإكثار من المشاريع الخيرية ، و بناء المستشفيات لإسعاف المرضى .
- الشروع في تأسيس دوائر اقتصادية و تأسيس خزائن لمساعدة العاطلين عن العمل .
- المساواة في الأجر بين الجزائريين و الأوربيين .
- توزيع الإمدادات المالية التي تمد بها الميزانية الجزائرية على الفلاحة و الصناعة والحرف والتجارة .
- تأسيس جمعيات لمساعدة الفلاحين و تشييد معاهد لتعليمهم و تدريبهم على العمل .
- توزيع الأراضي الحكومية غير المستثمرة على فقراء الفلاحين و العمال .
- العفو عن الساسة المعتقلين .
- توحيد الانتخاب بين الجزائريين و الفرنسيين نيابيا و محليا .
- تمكين جميع المنتخبين من ترشيح أنفسهم للنيابة .
- تعميم حق الانتخاب لكل مسلم جزائري و إعطاء حق التمثيل البرلماني للمسلمين .

[1]- ينظر : محمد بوزوزو : عيد العروبة ، جريدة البصائر ، السلسلة الأولى ، العدد 30 ، 1936، ص 03.

إن دعوة الجمعية لعقد المؤتمر و المطالب التي جاء بها لهي دليل على التوجه السياسي، وتجلى ذلك من خلال صرختها الموجهة للإدارة الاستعمارية من أجل إصلاح حال الأمة ، و بهذا فإن الجمعية دخلت عهدا جديدا حيث برزت كقوة سياسية متماسكة ، وخاصة عندما لبت دعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس لعقد المؤتمر الإسلامي بالجزائر مختلف الطوائف و الأحزاب السياسية الجزائرية على اختلاف مذاهبها و مشاربها .

وفور انتهاء المؤتمر و صياغة المطالب أرسلت مع وفد إلى باريس يوم 23 جويلية 1936 برئاسة " بن جلول " و ثلاثة علماء من الجمعية هم : بن باديس والإبراهيمي والعقبي[1].

وبالرغم من أن وفد المؤتمر عاد من باريس خاوي الوفاض ، و لم يحقق النتائج المنتظرة منه، إلا أن هذا لم يقلل من شأن المؤتمر ، بل يمكن القول أنه حقق الأهم حيث استطاع المؤتمر أن يوحد كلمة الحركة الوطنية الجزائرية برمتها كما استطاع أن يسمو بالفكر السياسي للجماهير الجزائرية ، فانتشر الوعي السياسي لدى الشعب الجزائري و"تمكنت القوى الوطنية – على الرغم مما بينها من اختلاف – أن تجمع الجماهير على جملة من المطالب كانت في ذلك الوقت تعبيرا حيا عن مدى التغيير الذي طرأ على العقلية الجزائرية "[2] ، و لهذا يمكن اعتبار أن المؤتمر الإسلامي فتح الأبواب أمام الحركة الوطنية الجزائرية عموما لكي تستكمل مسيرتها النضالية في مجال المطالبة بالحقوق الوطنية ، كما فتح هذا المؤتمر آفاقا جديدة لجمعية العلماء في ميدان السياسة ودخولها المعترك السياسي ، و بهذا شكل المؤتمر الإسلامي منعطفا حاسما في تاريخ جمعية العلماء ، و أحدث تحولا كبيرا في العقلية السياسية للعلماء .

ب – موقف جمعية العلماء من مشروع بلوم فيوليت :

من أخطر المخططات الإستعمارية التي دبرت ضد الجزائريين ما أطلق عليه "مشروع فيوليت " الذي يدعو الأهالي للتجنس بالجنسية الفرنسية لتكون لهم حقوق سياسية، و قد وقع

---

[1]– أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر ، ص 248.

[2]– محمد زرمان : معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي ، منشورات جامعة باتنة ، الجزائر ، 1998 ، ص 61.

بعض الجزائريين في فخ هذا المشروع طمعا في الحصول على تلك الحقوق ، وقد جاء مشروع فيوليت كرد فعل على مطالب المؤتمر الإسلامي ، الذي أقر من خلالها الحقوق السياسية .

وفي خضم هذه الدعاية المغرضة رفعت جمعية العلماء أقلامها منددة بهذا المشروع وفضح ما يرمي إليه من نوايا مبيتة ضد أصالة الشخصية الجزائرية ، و من ذلك ما كتبه الشيخ أبو اليقظان ذاهبا إلى أن حكم المتجنسين كحكم المرتدين ، و تطبق عليهم الأحكام التي تطبق عن المنحرفين عن جادة الدين الإسلامي ، لأن " الكلام على مسألة التجنيس وبيان فسادها وخطورتها من الوجهة الدينية و الوطنية كالكلام على ظلام الليل و مرارة الحنظل و سم العقرب و فرقعة الديناميت "[1].

و قد أثار هذا المشروع ردود فعل في أوساط الحركة الوطنية ، بحيث عبرت نخبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن موقفها من مشروع بلوم فيوليت ، المقدم إلى مجلس النواب بتاريخ 30 ديسمبر 1936 بالموافقة ، و بالرغم من موافقة الجمعية إلا أنها وضعت استثناءات أخرى ، ففي نظرها أن الأمة الجزائرية تتمتع بجميع المميزات لجنسيتها القومية و أن من المستحيل دمجها في فرنسا[2] .

ورغم معارضة جمعية العلماء للدمج و التجنيس اللذين يعتبران محوا للشخصية الوطنية ، فالجنسية القومية في اللغة التي يعرب بها و يتأدب بآدابها ، و العقيدة التي يبني حياته على أساسها و ذكريات تاريخية التي يعيش عليها و ينظر مستقبله من خلالها والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في المقومات و المميزات ، أما الجنسية السياسية فيرى العلماء المسلمون أنها تعني حصول الشعب الجزائري على ما للشعب الفرنسي من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية[3]، أو هي المساواة بالمفهوم الشامل لهذه الكلمة .

---

[1]- د/ محمد ناصر : أبو اليقظان و جهاد الكلمة ، ص 49.

[2]- إبراهيم مهديد : الحركة الوطنية في القطاع الوهراني خلال الثلاثينيات (النهضة و الصراع السياسي) ، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، جامعة وهران ، معهد التاريخ ، 1986 م، ص 136.

[3]- إبراهيم مهديد : الجزائريون في القطاع الوهراني (الجذور الثقافية للهوية الوطنية و النشاط السياسي) ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة وهران ، معهد التاريخ ، 1999 ، ص 253.

ورغم هذا فقد أبدت الجمعية تحفظها اتجاه القرار ، وذلك لأنه " لا يمنح رضا الأمة الجزائرية الكامل ، و أنه لن يقبل إلا كخطوة أولى نحو المساواة الكاملة بين الفرنسيين والجزائريين "[1].

وقد حاربت جمعية العلماء قضية الإدماج و ذلك لأنهم رأوا أنه " يعني اعتبار الجزائريين فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية التي يتمتع بها الفرنسيون داخل بلادهم وخارجها . وقد باءت هذه السياسة بالفشل ، و قضت عليها جمعية العلماء حين أصدر علماؤها فتوى دينية شرعية ، بأن التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية طواعية للحصول على حقوق المواطن الفرنسي (التجنيس) يعتبر ارتدادا عن الدين الإسلامي ، وبالتالي يعني الكفر الذي يترتب عليه حرمان المتجنس من الصلاة عليه عند وفاته ، و من دفنه في مقابر المسلمين "[2].

ويتبين لنا من خلال ما سبق أن أرضية العمل / النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين كانت لها علاقة قوية بالإسلام ، باعتباره دينا يحوي فكرا و شريعة و حركة ومنهجا في الأسلوب و الهدف .

ج – أحداث 08 ماي 1945:

تعتبر أحداث 08 ماي 1945 أحداثا خالدة في تاريخ الجزائر المعاصر ، و هذا نظرا لبشاعة المجازر التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري ، كما تعتبر منعطفا حاسما في تاريخ نضال الحركة الوطنية الجزائرية . و أحداث الثامن ماي تركت جرحا عميقا في نفوس كل الجزائريين ، بما فيهم رواد حركة النهضة في الجزائر ، الذين راحوا يطلقون العنان لأقلامهم مستنكرين تلك الأعمال الوحشية التي راح ضحيتها خيرة أبناء هذا الشعب وزهراته ، كما كانوا من خلال مقالاتهم يشرحون الدوافع التي جعلت فرنسا تقبل على فعلتها الشنعاء .

فقد كتب الشيخ البشير الإبراهيمي متحدثا عن الخلفيات التاريخية لهذه الأحداث ، معيدا إيانا إلى ما قبل الحرب العالمية و الوعود التي تلقاها الشعب من قبل السلطات الاستعمارية،

---

[1]– إبراهيم مهديد : الجزائريون في القطاع الوهراني ، ص 253.

[2]– د/ محمد عباس : الإبراهيمي أديبا ، ص 12.

حيث قبل الشعب أن يزج بأبنائه في هذه الحرب التي لم يكن له فيها ناقة ولا جمل ، مقابل الحرية والاستقلال التي وعدت فرنسا أن تمنحها للشعب الجزائري في حالة انتصارها وحلفائها؛ يقول الشيخ : " ... أمة كالأمم حلت بها ويلات الحرب، كما حلت بغيرها وذاقت لباس الجوع و العري و الخوف ... و قدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، و قتلوا من غير شرف ... أما هذه الأمة فكانت تقاتل خيالا من أمل و دماء من الحياة وصبابة من رجاء ، و خاب من وعد "[1].

بيد أن فرنسا التي تحررت من ربقة المحتل بسواعد من تحتلهم لم تستسغ مطالب الشعب الجزائري بأن يتنسم نسائم الحرية كغيره من الشعوب الحرة ، و كافأت من قاتلوا لأجل حريتها بمجازر وحشية ، لا لذنب اقترفوه إلا مطالبتهم بالحرية ؛ يقول الشيخ البشير الإبراهيمي : " ... فلما سكن الإعصار و تنفست الأمم في جو من السلم ... عاودت الاستعمار ألوهيته و حيوانيته في لحظة واحدة ، يحاد الله بتلك و يغتال عباده بهذه ، وعاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدون حياته بحياتهم ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود ، ويحدثهم بلغة الدم و بمنطق الأشلاء أنه إنما أقام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم وليرمم جداره بهدم ديارهم "[2] .

فأحداث الثامن من ماي كانت بالنسبة لجمعية العلماء حرب إبادة حقيقية موجهة ضد الشعب الجزائري غير متكافئة الأطراف ، و كأن " الحرب انتهت مساء أمس ببرلين ، وابتدأت صباح اليوم بالجزائر ، "[3].

لقد شكلت أحداث الثامن من ماي منعطفا حاسما و جديدا في مسار الحركة الوطنية حيث استطاعت هذه الأحداث أن تكشف للمطالبين ، أحزابا كانوا أم جمعيات ، النوايا الحقيقية للاستعمار، والأساليب الوحشية التي ما فتئ يستعملها في حربه ضد الشعب الجزائري الأعزل، كما مكنت هذه الأحداث الحركة الوطنية من مراجعة أوراقها في تعاملها مع الاستعمار

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : عيون البصائر ، ص 370.

[2]- المصدر نفسه ، ص 370-371.

[3]- المصدر السابق ، ص 371.

الفرنسي ، و الابتعاد عن الطرق السلمية والعمل السياسي الروتيني في المطالبة بالحقوق الوطنية، واستبداله بالعمل الثوري المسلح ، و الاتجاه نحو المطالبة بالاستقلال التام عن الكيان الفرنسي .

ج- الثورة و الاستقلال :

لقد كان مطلب جمعية العلماء الأساس و الرئيس في نضالها ضد المستعمر هو إجلاؤه من هذه الأرض و تحرير العباد من سلطته ، و هذا ما يستشف من نضالها الحثيث من أجل النهوض بالأمة في شتى المجالات ، و محاربة الاستعمار و أعوانه ، وقد تجلى ذلك واضحا من موقف رجالاتها إزاء الثورة ، فقد استبشر رئيس الجمعية وأحد أبرز أعضائها – الشيخ البشير الإبراهيمي – باندلاعها خيرا ، و هو في المشرق العربي ، وسرعان ما استجاب لهذا النداء ، وقام في القاهرة بمشاركة الفضيل الورتلاني بإصدار بيان للشعب الجزائري حثه فيه على المشاركة في الجهاد من أجل تحرير البلاد من الهيمنة الاستعمارية، كما أن الإبراهيمي كان يتوقع اندلاع الثورة لأنها هي الأمل الوحيد في إعادة الجزائر إلى عزتها و كرامتها ، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ؛ يقول الشيخ الإبراهيمي : " انفجر بركان الثورة المباركة في الجزائر اليوم الأول من نوفمبر الحالي ، و قد كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر نترقب هذه الثورة و نتوقعها، نترقبها لأنها الأمل الوحيد في تحريرنا من التعسف الفرنسي الذي لا يعرفه إلا من ابتلي به ، ونتوقعها لأن هذا هو وقتها ، و لأن فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة ، ولا يفتح آذانها إلا هذا الصوت "[1] .

وحاول الإبراهيمي شرح أسباب هذه الثورة ، معتبرا الاستعمار هو المتسبب فيها، فهو الذي هيأ الأسباب و الظروف لقيامها ؛ يقول : " إن الصراع القائم الآن في الجزائر مصدره الأصيل وعلته الأساسية هو الاستعمار و آثاره الطبيعية فيه من استعباد وإذلال وقضاء على

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : في قلب المعركة (1954-1964) ، جمع و تصدير : أبو القاسم سعد الله ، شركة دار الأمة، الجزائر ، ط01، 1994 ، ص 24.

الحريات و امتهان لكرامة الإنسانية ، و زاد نار الصراع لهيبا التي لفقتها الأوهام الاستعمارية ، وهي أن الجزائر ثلاث مقاطعات فرنسية "[1] .

فهذا الاستعمار الذي تحاربه الثورة اليوم هو الذي حارب الإسلام و اللغة و هدم المساجد وحول بعضها إلى كنائس ، و هو الذي قضى على الروابط الأخوية بين أبناء الوطن الواحد ؛ وفي حديثه عن مفهوم الثورة تطرق إلى مفهومين متلازمين لمعنى الثورة و معنى الثائر : " الجزائر الثائرة بالمعنى الأول على الاستعمار الفرنسي الذي جثم عليها قرنا و ربع القرن وسامها سوء العذاب و رماها بالمخزيات الثلاث : الجهل والفقر والمرض ، و استأثر بخيراتها الوفيرة ، وقضى بأساليب يعجز عنها الشيطان على كل أسباب القوة فيها ... "[2].

ولما انعقد في العراق أسبوع الجزائر في ماي من سنة 1957 ألقى الإبراهيمي على مسامع الحاضرين خطبة أشاد من خلالها بدور المجاهدين الجزائريين في كفاحهم الباسل ضد الوجود الفرنسي، كما حث الشعب العربي بعامة و الشعب الجزائري على وجه الخصوص بدعم الثوار بالمال و السلاح لتحقيق النصر المبين ، وألا يقتصر دعمهم بالكلمة و الخطب و المقالات والأقوال و الشعارات لأنها لا تسمن ولا تغني من جوع، حيث يقول : " إن ثورة الجزائر شبت عن طوق الأقوال و أصبحت في مرحلة في غناء فيها للخطب و إن طالت ، و لا للأقلام وإن صالت و جالت ... فليرح خطباء العربية وشعراؤها و كتابها ألسنتهم و أقلامهم من التغني بالثورة الجزائرية و أبطالها وليوجهوا عنايتهم إلى التي هي أوفى بذمام الأخوة ، وهي مد الأيدي لإعانة أولئك الأبطال المجاهدين"[3].

كما اعتبر الإبراهيمي هذه الثورة مفخرة لكل العرب ، لأنها ثورة عربية إسلامية في وجه محتل أجنبي؛ إذ يقول : " إن ثورة الجزائر في حقيقتها العليا ثورة ذهبية في تاريخ العروبة الطويل ، وقبسة نورانية من مشرق الإسلام ، ونفحة علوية من أرواح الفاتحين الأولين "[4] ، كما اعتبر أن الدفاع عنها واجب مقدس على كل العرب ، لأن إخوانهم الجزائريين تجمعهم

1- محمد البشير الإبراهيمي : في قلب المعركة (1954-1964) ، ص 42-43.

2- المصدر نفسه، ص 158.

3- المصدر نفسه ، ص 122-123.

4- محمد البشير الإبراهيمي : في قلب المعركة ، ص 126.

بهم عقائد الدين الإسلامي و خصائص العروبة،وأنهم حين يستصرخونهم و يستنجدون بهم فإنهم يستنجدون بالأرحام و العروق[1].

ومما تقدم يمكن القول أن جهاد جمعية العلماء الطويل في سبيل إنجاح الثورة الجزائرية يجلي بوضوح فكر الجمعية السياسي من خلال مقالات رجالاتها الحماسية ، وما كتبه أولئك الرجال إلا دليل على الدور الريادي الذي لعبته جمعية العلماء في مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث ، و نخلص أن اهتمام أدباء جمعية العلماء بقضايا الجزائر السياسية عامة كالمؤتمر الإسلامي (1936) و أحداث الثامن من ماي (1945) والثورة الجزائرية (1954) ما هي إلا دليل قاطع لمساير فكر هؤلاء الرجال لكل الأحداث و القضايا التي عاشها الشعب ، مشاركين بآرائهم و مواقفهم فيما فيه صلاح هذه الأمة جمعاء.

1- محمد البشير الإبراهيمي : في قلب المعركة ، ص 125.

الفصل الثاني :

المضامين الإسلامية لأدب المقال عند جمعية العلماء

المبحث الأول

الإنسان و الكون في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين.

خلافة الله في الأرض تلكم هي الرسالة الأسمى للإنسان في الإسلام، و قد أتاح الله للإنسان قدرا من الإدراك الواعي غير المحدود إلا بقدرة الإنسان ذاته ، و القرآن الكريم مليء بآيات تحض الإنسان و تدفعه دفعا إلى استكشاف مغاليق الطبيعة و الكون، و أن يستخدم كل ما سخره الله له في كل ذلك من خيرات إذا أحسن التصرف.و لكي يخطو الإنسان في مسالك هذا الطريق و هو آمن من العثرات فقد رسم الإسلام له المنهج القويم للتصرف الصالح ، فالإنسان في المفهوم الإسلامي" مخلوق نيطت به أمانة التكليف وهو في نفس الوقت بصير على نفسه لأنه أهل لهذه الأمانة و هو على قدر نهوضه بمقتضيات هذه الأمانة لم يحدد مصير نفسه و حسب بل ربما حدد مصير مجتمعه ، أيضا و لهذا كان من الخطورة أن يخلى بين الإنسان و أمانة الله تخليه مطلقة ، لأن الأمانة ليست أمرا هينا و إنما هي مجاهدة دائمة للنفس الأمارة بالسوء"[1].

ولقد اختلفت الفلسفات و المذاهب و العلوم الاجتماعية و النفسية في فهم الإنسان ومعرفة سره ووجوده و هدف حياته و رسالته و مسؤوليته و طبيعة أمانته.و بالرغم من كل ما قالته في شأن الإنسان ، فإنها لم تستطع أن تضعه في مكانه الصحيح و لا في موضعه الأصيل الذي أراده له الله خالقه و منشئه و باعث الحياة فيه ، فبعضها يراه حيوانا و بعضهما يراه سيد الكون و بعضها مطلق الحرية و بعضها يرى أنه وجد صدفة وأنه كائن عارض و أنه يعيش في دائرة الجبرية أو الحتمية التي تجعله غير مسؤول عن شيء مما يأخذ أو يدع وبعض الأديان القديمة تقرر أنه آثم بحكم ولادته لأنه جاء من الخطيئة و البوذية و الهندية تقول أنه مجبور بالتناسخ و بينما تقول الفلسفات كل هذا و ذاك يقف الإسلام موقف السلامة و الدقة والصدق في نظرته للإنسان فهو ذلك الكائن الكريم الذي " له في الدنيا تترتب على ماله من عقل و قدرة واختيار و إدراك لمعنى الخير والأمر و النهي ، ليس بالكائن الساقط أو المعاقب ولا هو كائن عارض في هذا الكون ، بل هو محور الكون المادي و خليفة في هذه الأرض ليعمرها باسم الله مهتديا بإرشاده على أساسه العلم بالحق و إفاضة الخير و البر، وحياته محددة

[1]- زاهر عزب الزغبي : رؤية إسلامية ، الله ... الإنسان ، الخليقة ، مجلة الأزهر ، ج05 ، س51، رجب 1399 هـ/ يونيو 1979 م ، ص 1293.

قبل هذه الدنيا وبعدها و هو في الدنيا يؤدي رسالة و أمانة و يجاهد ويكافح و يخضع الطبيعة ويجاهد نفسه في داخل خطة الخالق الحكيم ثم ينتقل إلى عالم آخر هو عالم الحساب و الجزاء بعد عالم الاختبار والابتلاء"[1].

بل إن الفلسفات الوضعية لتعترف بقصورها عن إدراك الإنسان و جوهره و حقيقة وجوده و في ذلك يقول ألكس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" "إننا أي في الغرب لا نفهم الإنسان ككل ، إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة و حتى هذه الأشياء ابتدعتها وسائلنا فكل واحد منا كون من موكب الأشباح يسير في وسطها حقيقة مجهولة "ومعنى هذا أن الفهم الفلسفي و العلمي الحديث للإنسان حاول أن يدركهم الإنسان و هو مقطوع الصلة بكل الأوضاع حوله و الأجيال قبله ، ففسره عند طريق الجنس مرة و مرة عن طريق الاقتصاد والإنتاج ، و في كل مرة يقرر أنه لا يوجد كيان ثابت للإنسان ويعتبره حصيلة الظروف المتغيرة و أن التغير يشمل أخلاقه وعقائده وأفكاره و سلوكه[2].

فالله إذا سوى الإنسان و خلقه على أحسن تقويم و سخر له كل ما في الكون من خيرات جعله أيضا بما عمله من تكليف صاحب عزيمة و إرادة و فكر و صاحب فطرة متوازنة أيضا؛" فطرة الإنسان من روح وطين متوازنةۚ﴿إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[3]. و فطرة الكائنات الأخرى أيضا التوازن و آية توازنها ذلك النظام الدقيق المضبوط الذي لا يحتل قيد شعره"[4].

فالإنسان في التصور الإسلامي مؤلف من هذه الجملة الحسية المصورة ومن تلك الجملة النفسية المؤلفة من الحالات المتداخلة كالانفعال و الإدراك و التعقل و الإرادة فهو إذن جسم وعقل "[5].

---

[1]- أنور الجندي : معلمة الإسلام ، ج01 ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط02 ، 1989، ص 117-118.

[2]- المرجع نفسه ، ص 119.

[3]-سورة ص / الآية 71-72.

[4]- محمد الحسناوي : القرآن الكريم أول مصادر التصور الإسلامي للفنون ، مجلة الأدب الإسلامي، س03 ، ع11 ، محرم – صفر-ربيع الأول 1417 هـ / أيار (مايو) – حزيران (يونيو) – تموز (يوليو) ،1996م ، ص 48.

[5]- الجرجاني : التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ص 29.

ولم يجعل الإسلام سيادة الإنسان في هيكلة المادي و نموه الحيوي بل في سيادة القيم الإنسانية ويبسط الإسلام طريقا وسطا أمام تقنية لا تتجرد فيه الروح من البدن ولا يتجرد البدن من الروح بل يكون جامعا لهما على أساس التكامل و هي ليست متوازنة بحسب ولكنها مجاوبة أيضا و يرى الإسلام أن كل محاولة ترى إلى الفصل بين المادي و الروحية إنما هي محاولة التدمير الإنسان نفسه[1]

لقد اعتنى الإسلام بالإنسان في محيط الإنسانية بوحدتها و هي الفرد فعمل على بناء شخصيته و تقويمها ورسم لها طريق التعرف في حرية و عزة و كرامة لأن هذا الفرد كوحدة تمثل النواة ككل مجتمع إنساني ابتداء من الأسرة إلى الأمة إلى المجتمع الإنساني بأسرهو تقويم شخصية الفرد و تربيتها على العزة و الكرامة و الحرية أمر جوهري للنهوض بالبشرية كلها والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تنبئ عن تكريم الله للإنسان إذ يقول تعالى﴿وَلَقَد كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا [2]﴾

فالله الذي خلق الإنسان حين سواه بشرا من طين جعل منه كائنا قادرا على السلوك العقلي و الحكم على الأشياء و التقرير الإرادي و الاختيار الأخلاقي و القرآن إذ يقرر هذه الحقيقة يدعمها بحقيقة أخرى و هي إن الله خلق الإنسان ليكون وكيله أو خليفته في الأرض وقد أقيم الإنسان في هذه الأرض لا يسيطر على سائر المخلوقات و إذا ليسفرها أيضا وينتفع بكل كائن منها و بكل عناصر و قوي الطبيعة فيها.

وهذه هي نظرة الله القويمة في عباده و الإنسان مطالب بالتدبر في هذه الحياة حتى لا يزيغ عند الطريق الحق الذي رسمته العقيدة الإسلامية كتابا و سنة ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ

[1]- أنور الجندي : معلمة الإسلام ، ج01 ، ص 34.

[2]- سورة الإسراء / الآية 70.

لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [1]

فالانسان المتدبر بعقله هو الذي يأمن بعقله و فكره أن يضلل في الحياة كما أمن بهما أن يضلل في الدين و في الحياة كما في الدين تضليل[2] ،والإنسان مطالب بأداء رسالة التي خلق لأجلها ألا وهي العبودية مصادقا لقوله تعالى:"وما خلقت الجن الإنس إلا ليعبدون. و خلافة الله في الأرض أي تعميرها تبعا لقوله عز وجل ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [3].

تلك هي فطرة الإنسان التي خلقه الله عليها و التي تقتضي منه التحري النهج الأقوام في حياته النهج المتزن الذي يتوافق و فطرته حتى يحقق بذلك درجة الكمال الإنساني في الروح والخلق و المادة و العقل "[4].

ولقد خاطب الله الإنسان و كرمه و جعله خليفة في الأرض لذا وجب التعرف على المفهوم الإسلامي للإنسان في القرآن الكريم و كل ما يخالف هذا المفهوم لاعتبار له عند الإنسان المسلم كما يقتضي ذلك حقيقة الإيمان فمن أبجديات العقيدة الإيمان بأن الإنسان خليفة في هذه الأرض و بأنه مؤتمن على منهج الله السماوي و شريعته الربانية و هذا ما هو مقرر بالنص المقدس فقد قال تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [5] . و قد ذكرت كلمة الإنسان في القرآن خمسا و ستين مرة[6].

---

[1]- سورة الجاثية / الآية 12-13.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي : الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر ، عيون البصائر ، ص 588.

[3]- سورة البقرة / الآية 30.

[4]- زاهر عزب الزغبي : رؤية إسلامية ، مجلة الأزهر ، ج05 ، س 51 ، ص 1293.

[5]- سورة البقرة / الآية 30.

[6]- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط04، 1994 ، ص 119-120.

ومن مجموع الآيات التي ذكرت فيها كلمة " إنسان" نستشف المفهوم الإسلامي لهذا الكائن و نقف على طبيعته و رسالته ليرتسم لنا النموذج الأمثل للإنسان الذي احتفى برر الأدب الإسلامي و هو النموذج ذات الذي تحج به المجتمعات الإنسانية فـــ "الإنسان الذي يتحدث عنه الأدب الإسلامي هو ذلكم النموذج الطبيعي الذي صوره القرآن الكريم وكتب السيرة و تناولته أحاديث الرسول وحفلت بكتب التاريخ ذلك الإنسان الذي يداول الضعف والقوة و لحظات السمو و الانخفاض و يتماوج بين أسباب السعادة و الشقاء الإنسان ليس ملاكا فزعت عنه الغرائز و الرغبات و لكنه كائن حي يخطأ و يصيب يبتسم ويدمع يتقدم ولكن الأهم من ذلك كله هو مسيرة الإنسان من الضعف إلى القوة و من الخطأ إلى الصواب ومن الجمود إلى الحركة ومن السلبية إلى الايجابية ومن دائرة الأنانية الضيقة إلى الآفاق الرحبة من التضحية و الإيثار و الحب الكبير و التسابق إلى رضا الله وإقرار الفضيلة و الصدق والأمانة كمثل يحتذى "[1].

إنه ليس جسدا خالصا و لا روحا خالصة بل هو هذا أو ذاك هو نفحة من روح الله وهو قبضة من طين الأرض هو مزيج من هذين العنصرين غير المنفصلين[2] فهو إنسان لا هو بالحيوان ولا هو بالملاك هو يشتمل على شيء من طبيعة الملاك و لكنه يتصرف فيه كذلك بطريقة الإنسان[3].

والأدب الإسلامي أيضا يحتفي بالوجود ، إذ " يلفت النظر لرؤية عظمة الخالق سبحانه وتعالى و إبداعه في جمال مخلوقاته " أفلم ينظروا إلى السماء كيف بنيناها وزيناها و ما من فروج و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب "[4]

---

[1]- نجيب الكيلاني : آفاق الأدب الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط01 ، 1985 ، ص 37.

[2]- د/ لخضر عرابي : الأدب الإسلامي ، ماهيته و مجالاته ، دار الغرب ، الجزائر ، 2003 ، ص 186.

[3]- محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ص 54.

[4]- محمد الحسناوي : القرآن الكريم أول مصادر التصور الإسلامي للفنون ، مجلة الأدب الإسلامي، س03 ، ع11 ، ص 48.

فالأدب الإسلامي يثبت من هذه الرؤية الجمالية بمقصود الإسلامي للوجود أو على الأقل لا يصطدم بالمناهج الإسلامية من الكون و الحياة و الإنسان و لا ينحرف عن هذه المفاهيم[1].

تلك هي نظرة الإسلام للكون الوجود و هي نظرة لا تقتصر عند حدود التأمل وحسب بل تسمو لبلوغ غاية الخلق و مغزاة فقد أفهمنا ربنا هذه الأسباب تعد سنته في خلقه ورحمته التي قام عليها عمران هذا العالم الأرضي و بات علمنا بهذا التنظيم اللاهي علما ضروريا عاما في كل عصر و أمة لا يشيد عنها أحد إلا في أحوال استثنائية و لا يختلف فيها سبب عن سبب عرفت سببته و لا يخرج عنه سبب من المسببات"[2].

فالعالم /الوجود.الكون و الإنسان و كل شيء خلقه الله تعالى إنما يؤدي دور الحجز والقرنية على وجود المسبب .الموجد.الصانع.الخالق ذلك هو الله ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[3]

هذا هو الإنسان والوجود بمفهومه الشامل في التصور الإسلامي و لما كان فكر أدباء جمعية العلماء فكرا إسلاميا منبعه الصافي هو الكتاب والسنة كان حضور الإنسان في عرف كتاباتهم لا يخرج عن هذه الدائرة التي صورها الإسلام ولو أننا تتبعنا ما جاء في أدب المقال عندهم عن الإنسان لوجدناه مكلفا بأداء تلك الرسالة السامية ذات البعدين العميقين لمفهوم كينونة الإنسان العبودية و الخلافة فالشيخ الإبراهيمي حين كتب عن الشباب وهو أزهى مراحل عمر الإنسان كتب يقول " أتمثله متساميا إلى معالي الحياة الشباب في طلبها طاغيا عن القيود

---

[1]- محمد الحسناوي : القرآن الكريم أول مصادر التصور الإسلامي للفنون ، مجلة الأدب الإسلامي ، ص 48.

[2]- العربي التبسي : مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع و تعليق : د/ شرفي أحمد الرفاعي ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة ، الجزائر ، ط01 ، 1402هـ / 1981م ، ص 118.

[3]- سورة البقرة / الآيات 28-29.

العائقة دونها جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانها منعقد العظمات تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب و شهامة الفؤاد و النشاط الجوارح"[1].

هذه هي رسالة الإنسان تتمثل في الإقدام على الحياة من غير تفريط و لا إفراط فالإنسان في نظر الإسلام مستخلف في الأرض لطبيعته الأصلية الجامعة بين الروح والجسم والعقل والقلب.وهي طبيعة متكاملة لا تضارب فيها و لا صراع و لذلك فقد أقر الإسلام رغباته المادية وأشواقه الروحية.وجعل له ضوابط تحول بينه و بين الانحراف إلى اعتزال الحياة أو الانهيار و التحلل و أقام له منهجا وسطا كريما يجعله قادرا على أداء المسؤولية و القيام على أمانته ومواجهة ما تجابهه به القوى المختلفة من تحديات ، ولذلك فقد جعل سعيه في الحياة مرتبطا بالجزاء في الآخرة وإعطاء المسؤولية الفردية و الالتزام الخلقي لكي يواجه العالم من منطلق الكرامة و جعل مسيرته خالصة لله"[2].

فالحياة نبراس للخلافة ومؤدى العبادة و الإقبال عليها إقبال على إرادة الله الحي الذي لا يموت ، و تجسيد لمبدأ العبودية الحقة ، فالحياة عبادة وإقرار بخالق الحياة .

والقرآن حافل بدعوة الإنسان إلى فتح أحضانه للحياة ، و"من أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها يسعى القرآن إلى تحريك هذه الحواس المتبلدة لتنفعل بالحياة في أعماقها ، وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء و الأحياء "[3] ، و الإنسان في القرآن "يعيش مع الكون في لقاء دائم جميل حبيب ، لقاء يلذ النفس و يمتع الحس و يطلق الروح نشيطة طليقة تسبح لله"[4].

ذلك هو الإنسان –كما يصوره الشيخ البشير الإبراهيمي – " متين الإتصال بالله ، مملوء القلب بالخوف منه ، خاوي الجوانح من الخوف من المخلوق ، قوي الإيمان بالحياة، صحيح النظر في حقائقها ، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها "[5]

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي : الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر ، عيون البصائر ، ص 586.

[2]– أنور الجندي : خصائص الأدب العربي ، ص 25-26.

[3]– محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ص 144.

[4]– المرجع نفسه ، ص 145.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي : الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر ، عيون البصائر ، ص 588.

ثم إن أطوار الحياة كلها لا قيمة لها دون السعي إلى تحقيق رسالة الحياة السامية التي تجعل من الإنسان ذا نفع و ذا أمانة يؤتمن عليها ، وهي خلافة الله في أرضه ، وإلا فـــ"ما قيمة الشباب ؟ وإن رقت أنداؤه ، و تجاوبت أصداؤه و قضيت أوطاره وغلا بين أطوار العمر مقداره ، و تناغمت على أفنان الأيام و الليالي أطياره ، و تنفست عن مثل روح الربيع أزهاره، و طابت بين التهاب اللذات و اقتطاف المسرات أصائله و أسحاره . بل ما قيمة الكهولة ؟ و إن استمسك بنيانها و اعتدل ميزانها ، و فرّت عن التجربة و المراس أسنانها ، ووضعت على قواعد الحكمة و الأناة أركانها . بل ما قيمة المشيب ؟ و إن جلله الوقار بملاءته وطواه الاختبار في عباءته و امتلأت من حكمة الدهور و غرائب العصور حقائبه ، و وصلت بخيوط الشمس لا بفتائل البرس جماعته و ذوائبه . ما قيمة ذلك كله ؟ إذا لم تنفق دقائقه في تحصيل علم و نصر حقيقة و نشر لغة و نفع أمة وخدمة وطن "[1].

فقيمة حياة الإنسان لا تتحدد بأطوارها ، بل برسالتها و إنجازاتها ، و القيمة الفعلية للإنسان هي ترفعه عن أدرلن المادة و الانحلال ، فـــ " الأدب الإسلامي يصور الإنسان في أرفع حالاته ، و ذلك حين ينتصر على شهواته ، و يصوره في أخس حالاته و ذلك حين تتغلب عليه شهواته "[2].

وهو كذلك عند الشيخ البشير الإبراهيمي " عفّ السرائر ، عفّ المظاهر ، لو عرضت له الرذيلة في الماء ما شربه و آثر الموت على أن يرد أكدارها ، ولوعرضت له في الهواء ما استنشقه و آثر الموت اختناقا على أن يتنسم أقذارها "[3]. و هو قانون أخلاقي يحفظ للإنسان إنسانيته و فطرته السوية التي خلقه الله عليها ، و هو أساس وطيد في الفكر الإسلامي ، ومن ثم في الأدب العربي ، فهو محور الدائرة لكل القيم و مفهوم الأخلاق في الإسلام يقوم على قيم ثابتة راسخة لا تتغير بتغير الزمن والبيئات "[4].

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر ، عيون البصائر ، ص 588-589.

[2]- د/ لخضر عرابي : الأدب الإسلامي ، ص 187.

[3]- - محمد البشير الإبراهيمي : الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر ، عيون البصائر ، ص 591.

[4]- أنور الجندي : خصائص الأدب العربي ، ص 32.

و لقد كان الإنسان في أدب المقال عند جمعية العلماء قضية نافح عنها رجالات جمعية العلماء نضال المستميت ، فيصور " شرف الإنسان و سمو نفسه حين يستنير بنور الله ويتسلح بالإيمان فيكون طيب السريرة ، نبيل المقاصد ، صبورا في الملمات ، لا ييأس من رحمة الله و لا تغير طباعه المحن و الشدائد ، لإيمانه بأن الحق قوة لا تقهرها نزوات الأهواء و لا صولة البغي "[1]..

ثم إن نضال الجمعية نضال من أجل كمال إنسانية الإنسان ، مقتديا في هذا بسيد الخلق – عليه صلوات الله و سلامه – فهذا البشير الإبراهيمي يصور الشباب كما يتمثله خاطره المعمور بنفحات التأثير الإسلامي ، فيقول : " أتمثله محمدي الشمائل ، غير صخاب و لا عياب ، و لا مغتاب و لا سباب ، عفا عن محارم الخلق و محارم الخالق ، مقصور اللسان إلا عن دعوة إلى الحق أو صرخة في وجه الباطل ، متجاوزا عما يكره من إخوانه ، لا تنطوي أحناؤه على بغض ولا ضغينة "[2] .

والنبي – صلى الله عليه و سلم – هو الإنسان الكامل ، فقد تجسدت فيه السمات الإنسانية ، وجعلت منه على مدى الأزمان مثلا أعلى في تكامل الشخصية و سموها ، وقد بلغت شخصيته – صلى الله عليه و سلم – منتهى الكمال الإنساني في الخلق والخلق، ومنه كان الإبراهيمي ينشد هذه الصورة ، صورة الإنسان الكامل ، أو " المثل الأعلى للإنسان المتطلع إلى الكمال في القول و العمل و الأخلاق و السلوك "[3] .

والأدب الإسلامي لا يخرج في مفهومه و نظرته للإنسان عن هذه الأطر ، فهو "يعنى بداهة بهذا الكائن المجهولة روحه فيصف شخصيته الأصيلة و فطرته السليمة ، كما يصور مجالات النبوغ الذاتي و طرائق النضج العقلي و الفكري و النفسي "[4].

---

[1]– التهامي نقرة : في ضوء القرآن و السنة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ط01 ، 1976 ، ص 72.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي : الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر ، عيون البصائر ، ص 588.

[3]– د/ التهامي نقرة : في ضوء القرآن و السنة ، ص 85.

[4]– د/ عبد الحميد بوزوينة : نظرية الأدب في ضوء الإسلام ، ج03 ، الأدب و المذاهب الغربية ، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن ، ط01 ، 1411 هـ / 1990 م ، ص 130-131.

والإنسان ينشد الحرية ويمقت الاستعمار ، ينشد العدل و يمقت الظلم و الاستبداد ، وقد "وقف الإبراهيمي بصلابة في وجه الاستبداد لأنه يحكم القوة في كل شيء ، ولأنه لا يلد إلا الإباحية . و الإباحية شر من الاستبداد ، لأنها تحكم الهوى على العقل ، فيستحيل بذلك الحق باطلا ، كما وقف الإبراهيمي كذلك ضد سنة التمايز و الاستئثار ، ورأى أن بعض جوانب الحضارة الحديثة كانت سببا في بعثها من جديد ، و ذلك عندما جعلت صاحب رأس المال يستغل العمال في تنمية ثروته دون الاهتمام بظروفهم في العمل و في المجتمع"[1].

يقول البشير الإبراهيمي شارحا حقيقة الإنسانية : " تفاوتت الأمم على اختلاف الأطوار والأجيال في فهم هذه الحقيقة أولا و العمل بها ثانيا ، وكان اختلافهم يرجع إلى سببين ذهبا بفريقين من الناس إلى سوء المصير ، فضلوا و أضلوا عن سواء السبيل . السبب الأول نزعة الاستئثار الطبيعية التي نشأ عنها الاستبداد الفردي والشعبي ، والاستبداد شر ما سيست به الأمم ، و هو الذي طرح الإنسانية في مهاوي الشقاء ، و قد مضى الاستبداد غير مأسوف عليه و لكنه أنتج في العالم نتاج سوء وأثمر ثمرا مرا ، ذلك النتاج هو ثاني السببين ، ذلك النتاج الذي قرر مزدك الفارسي تعليمه الفاسد فكان كمن حلل السم أو نفث الغازات في الهواء والماء ، العنصرين المقومين للحياة ، فلا كان مزدك و لا كانت تعاليمه . و السبب الحقيقي لهذا البلاء المتناسل هو تحكيم الهوى على العقل ، و أهواء النفوس إذا غلبت غطت على الحقائق وأحالت النور ظلاما و اليقين وهما و الحق باطلا "[2]

والطابع الإنساني لا يخلو – في رأي الإبراهيمي – من هنات رافقته في تاريخه الطويل ، وكانت تلك الهنات أما للمفاسد التي وقع فيها الإنسان في مراحل تطور حياته، فالوهم والتقليد – مثلا – كانا باستمرار سببا في التضليل و تشويه الحقائق والعصبية وليدة الأنانية ، وحب الذات كانت سببا في تمزيق الجماعات و المجتمعات ، يقول الإبراهيمي : " لا ننكر أن

[1]– محمد العيد تاورتة : نثر الشيخ الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939 ، جمع و توثيق و دراسة ، رسالة ماجستير في الأدب العربي ، جامعة قسنطينة ، معهد اللغة و الأدب العربي ، 1980، ص 540.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي : الإنسان أخو الإنسان ، آثار الشيخ البشير الإبراهيمي ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط01 ، 1398 هـ / 1978م ، ص 19.

مسألة تأخر البشرية لم تأخذ حقها من التطبيق تمام الأخذ إلى الآن و لم يعمل بمقتضياتها التي أشرنا إليها تمام العمل إلى الآن ، و إنما يمتاز عصرنا الحاضر بترقي العلوم و الصنائع و التوسع في متمات العمران وكمالياته و الاطلاع على الكون و مخبآته و استثمار مواهب الطبيعة وخيراتها ، و نشأ عن ذلك ترق في الأفكار وشعور عام لجميع الطبقات على تفاوت بمقدار التعلق بالعلوم ، ونشأ عن ذلك التفاوت رجوع إلى نزعة الاستئثار و الامتياز ، فنشأ عن ذلك الإنكباب على الماديات و المسابقة في ميدانها ، فنشأ عن ذلك شعور المقصر بقصوره ، فنشأ عن ذلك تدافع و اختلاف في المصالح ، فنشأ عن ذلك احتكاك و اتصال بين الأمم المتباعدة يسرته سهولة المواصلات التي هي من ثمرات العلم "[1] .

بيد أن هذا الإنسان لا بد له من التدبر في هذا الكون ، و هو ما يعبر عنه علماء الكلام في الإسلام بـــ " حدوث العالم " ، و كل ما فيه من سماوات و أراضين و ما في كل منها من جمادات و أحياء .

وحدوث العالم اتخذه هؤلاء العلماء مقدمة منطقية في البرهنة على وجوب وجود الله، فـــ " العالم حادث و كل حادث لا بد له من محدث ... و هذا المحدث إما أن يكون واجب الوجود أو جائزه ، فلو كان جائزه لجاز عليه العدم ، فإن تحقق عدمه ظل العالم في حاجة إلى محدث ، و إن لم يتحقق عدمه لكان حادثا ولاحتاج هو أيضا إلى محدث و محدثه إلى محدث ، فإن رجع إلى الأول مباشرة أو بالواسطة فدور ، و إلا فإن تتابع المحدثون إلى ما لا نهاية فتسلسل ... و كل من الدور و التسلسل باطل ، فبطل ما أدى إليه ، و هو أنه غير واجب الوجود ، و ثبت أنه واجب الوجود "[2].

هكذا يرتسم الكون / الوجود في المنهج الإسلامي ، وجود له موجد هو الخالق سبحانه وتعالى ، عكس ما تذهب إليه بعض المذاهب الغربية الإلحادية ، و منها الماركسية .

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 19-20.

[2]- زاهر عزب الزغبي : رؤية إسلامية ، مجلة الأزهر ، ج05 ، س 51 ، ص 1289-1290.

المبحث الثاني

تجليات العقيدة في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين

يعد الأدب الإسلامي أدب عقيدة لا أدب عبث، فهو الذي يرسم العقيدة و ترسمه، ينهل منها فتجمله و تزينه بالمعاني الرائقة المتسامية، و ليس غريبا أن نجد للعقيدة الإسلامية دورا فعالا في توحيد قرائح الكتاب و الأدباء، لما تتضمنه من نهج قويم وتعاليم رشيدة، تفيد الإنسان و توجهه نحو "الكمال الإنساني"، لأنها عقيدة ربانية متكاملة وليست مجرد اجتهادات أو استدلالات بشرية، إن أصابت فهي لا تسلم من النقص أو التبعية.

إن الأدب الإسلامي يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة الإسلامية من مبادئها في تصوراته وأشكاله،" فالإيمان بالله تعالى وكتبه و رسله وملائكته و قضائه و قدره و اليوم الآخر أمور لا مجال للشك فيها على الإطلاق في أساسيات الأدب الإسلامي. و يتبع ذلك تبعية مباشرة الالتزام بالأخلاق الحميدة و التعامل مع الناس بلطف"[1]،و بالرغم من دعاوى الكثيرين بضرورة فصل الدين عن الأدب، إلا أن التجربة أثبتت أن الفطرة متعلقة بالعقيدة و لا يمكن فصل هذه عن تلك، إذ "و حينما ينظر الباحث في عزل العقيدة عن الفكر يذكر، في تاريخ النقد، فكرة فصل اللفظ عن المعنى و محاسبة كل منها على حدة، كما يخطر بباله، الصراع الذي ثار بين بعض المذاهب الأدبية عن فكرة الفن الخالص (الفن للفن) والفن الواقعي (الفن للحياة والمجتمع) ...اجل إذا أطلق الفن من عقال العقيدة فسيصبح حرا من كل التزام ولا ادري إذا أمكن أن يخلو أي عمل فني –على الإطلاق– من توحيد العقيدة قل أو كثر"[2].

فالأدب ملزم بالتسلح بالعقيدة، لان "الأدب الذي لا يتسلح بعقيدة محكوم عليه بالموت–إن آجلا أم عاجلا– ومن المفروض أن تكون هذه العقيدة نابعة من صميم الشعب الذي سيكون إبداع الأديب منصبا حول مشاكله"[3].

والإنسان إنما يكتب ما يؤمن به و عما يبحث عنه، عن المفقود أو المأصول، عما يحسه نبضا يحرك كيانه، ويبعث فيه شهوة الكتابة." فالأديب أو المفكر كلاهما يستعيد بصورة أو بأخرى

---

[1]– د/ عمر عبد الرحمن الساريسي: معالم الأدب الإسلامي، مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع: ط**1**، **1421**ه/**2003**م، ص**59**.

[2]– د/عمر عبد الرحمن الساريسي : مقالات في الأدب الإسلامي، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1996م، ص51.

[3]– احمد الأشهب: حاجة الأدب العربي إلى الأخذ بالتصور الإسلامي، مجلة المسلم المعاصر،س**23**، ع**79**،ص**113**

ما سبق له من خبرات أو مهارات، و مما لا شك فيه أن الخبرات النظرية لأي فرد من الأفراد هي مجموع معلوماته العقدية و الفكرية و السياسية التي استقر عليها، والاقتناعات التي كونها في نفسه و سلوكه إزائها، و هذه الخبرات النظرية و العلمية متشابكة و غير متوازنة، يزيد بعضها أو ينقص حسب ميول الفرد و اتجاهاته و نوعية تربيته، الفردية والاجتماعية ...و لعل أول مكونات الخبرات النظرية –الإطار العام– صور العقيدة، و العقيدة هي كل ما يعتقده الفرد سواء أكان سماويا أو بشريا من صنع العقل الإنساني، و ذلك أن الإنسان مرتبط دائما بعقيدة معينة، و حاجته إليها فطرية تلازمه في كل زمان و مكان، لان فيه ميلا غريزيا إلى تبني عقيدة ما، توحد أو لا توحد، بل إن الاتحاد في ذاته عقيدة، لأنه يضع الطبيعة أو الإنسان مكان الألوهية لذلك لا يمكن أن يتجرد الإنسان من العقيدة "[1]

والإسلام بعقيدته التي تشرق على القلب فتملؤه نورا و أمنا و يقينا، و بمنهجه المثالي الذي يوجد حركية السير، و يشحذ الطاقات في الإنسان، و يقيم التوازن في كيانه، و يحقق التكامل في شخصيته،و بشرعيته السمحة، التي نظمت مجالات نشاطه المادي و الروحي،

وحدوث الأشكال الخارجية التي تقوم عليها صلاته بين الله و الفرد، وبين الفرد و الدولة، وبين المجتمع الإسلامي و المجتمعات الأخرى، و تراثه الذي تتمثل فيه الثقافة الإسلامية مميزة بطابعها وخصائصها و تصوراتها؛ فالإسلام بكل ذلك مجتمعا جدير بان يدرسه الباحثون عن الحقيقة في كل عصر و مصر، بوصفه الرسالة الجامعة الخاتمة ذات الطابع الإلهي التي لا تستبدل معالمها الأساسية بتبدل الظروف و الأهواء، و اعتبار أن مصدرها وهو القرآن جاء دستورا لا يتصدى للجزئيات وتفصيل الكليات إلا نادرا و لكنه يتناول الأحكام بالنص الجمالي الذي يساعد بمرونته واتساعه على مجاراة المصالح الزمانية وتنزيل حكمه على مقتضياتها في المعاملات المدنية و النظم الاجتماعية تنزيلا يحتمله النص[2] .

---

[1] – د/عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الادب الإسلامي، ص**21**–**22**.

و ينظر كذلك : صديق بكر علي: حقيقة الادب الإسلامي: مجلة الادب الإسلامي، المجلد 7، ع1421،25ه/ص45

[2] – ينظر: التهامي نقرة: في ضوء القرآن و السنة، ص**5**

ولما كان ذلك شان العقيدة الإسلامية فقد احتفى بها الأدب الإسلامي أيما احتفاء، و وجد فيها ضالته التي كان ينشدها لان "الإسلام يفتح المجال واسعا أمام تجربة الأديب المسلم، لأنه يرتبط بعالم الغيبيات ويلبي حاجة الإنسان الفطرية إلى كل شيء، إلى البحث عن الحقيقة ، والى الصراع مع عوامل الهدم، و إلى النضال الدائم نحو الأفضل، والى معطيات الأمن والاستقرار، و إلى الركون إلى قوة قاهرة ترعى،و إلى عدالة مطلقة تعيد للنفس المضطهدة ما اغتصب منها، والى فردوس يحقق الأمن و الاستقرار للذات التي فقدت الأمن و الاستقرار"[1]

ولما كان وعي رجالات جمعية العلماء المسلمين بأهمية العقيدة وعلو شأنها في حياة الفرد، وتأثيرها على صلاح الجماعة، فقد جعلت أدبها أدب عقيدة، تفتح منه أزاهير الإيمان والدعوة إلى الله و إلى العبودية الحقة، تلك العبودية التي تجعل الإنسان سيدا في الكون سعيدا في الدنيا والآخرة، إذ أن رحالات الجمعية و من خلال كتاباتهم كانوا يدعون إلى تقوى الله والاعتصام بسواء السبيل "وهذا ما أكده عبد المالك مرتاض بقوله (وانك لواجد هذه النزعة الكريمة في نتاجات أدب النهضة) فمعظم ما كتب يدور حول الدين أو يستمد من الدين أويدعو إلى الدين "[2]، ومن ذلك الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي كان يسعى لتحقيق غرضه المرجو وهو الجانب العقدي في الشريعة، لان العقيدة حسبه تعد الأساس في بناء الإسلام ،و الأساس الذي تقوم عليه حياة المسلمين، فمنها تنبثق نظرته إلى الحياة وعلى أساس فلسفتها يبني نظامه فيها."[3]

وكذلك كانت مقالات الشيخ ابن باديس القصصية فائحة بعطر العقيدة الصحيحة الحقة، إذ حاول من خلال هذه المقالات أن يبرز "فعالية العقيدة الإسلامية الصحيحة في النفوس وفي السلوك وبيان أثرها في نقلة الإنسان من حال إلى حال، ويبدو ذلك في حكاية (الخنساء

---

[1]- د/عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الادب الإسلامي، ص***39***.

[2]- د/محمد ناصر بوحجام: اثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1958-1971) ج1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط1 1995، ص24.

[3]- رفيقة لباد: أدبية تفسير القرآن الكريم عند عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجيستر في القرآن الكريم و الدراسات الأدبية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية،قسم اللغة و الادب العربي، 2006-2007 ص81.

وبنوها) التي تصور هذه النقلة الوجدانية التي عرفتها الخنساء بانتقالها من حال الجزع والحزن والأسى فقد أخويها في الجاهلية، إلى حال الرضى و الصبر والاحتساب عن مصابها بفقدها أبنائها الأربعة في الإسلام، شهداء في سبيل الله،وهل يفعل ذلك غير الإيمان الصادق الصحيح؟"[1]

كما نوه الشيخ ابن باديس في مقالات القصصية بالخلق الكريم، إذ "إن التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ثمرة من ثمار الإيمان الصادق و العلم النافع، و لا تصلح أعمال المرء و تثمر جهوده و تستقيم أموره إلا إذا ولجت المكرم إلى قلبه من الباب الواسع، ثم انعكست على سلوكه برا و عدلا و إحسانا، كما يبدو ذلك في هذه المواقف السلوكية الرائعة:"(هكذا تكون التراهة) و(وأنا اغتنمتها أيضا) "[2].

وجمعية العلماء إنما عملت بأصلية كتاب الله و سنة رسول الله –صلى الله عليه و سلم– ودعت إلى الله على بصيرة و جلت على نصاعة هذا الدين كل ما لحق به من تحريف المحرفين ، فمبدؤهما كان قويا صافيا من الكدر، خاليا من التعقيد، فعملت على تحقيق أمر الله في أول وحيه بالقلم ودعت إلى العلم، و إلى النفس و النفيس في سبيل القرآن و لغته[3]، وقد نافح رجالات جمعية العلماء المسلمين على العقيدة الحقة و حاربوا ما حاول أصحاب الطرفية الترويج له من بدع وضلالات، فقد كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس مقالا عنيفا يرد فيه على بعض الطرقيين بتونس تحت عنوان "امن عاصمة الزيتونة يذاع هذا الضلال"، و يقول في مطلعها: "من العجيب المؤسف ،أن يقف جهول طرقي ، من مرعى الطرفية ،أمام المذياع،فيلقي على العالم سخافات في مدح من لا يعرف له اثر في دين ولا دنيا ، إلا ما كان

[1]– محمد بن سمينة: في الأدب العربي الحديث بالجزائر –الفنون الأدبية– في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ،مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003، ص22-27.

[2]– المرجع نفسه ، ص 67.

[3]– ينظر:محمد الطاهر فضلاء:دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دار البعث للطباعة و النشر،قسنطينة،1914،ص79-80

في رؤوسهم الجمال، المنتسبين إليه، المغالين فيه، ثم يتجاوز تلك السخافات إلى الشرك الصريح، و الكفر البواح... "[1]

و لم يكن هذا بدعا من نشاط الجمعية التي كانت ترى في الدين الإسلامي الدعامة الأساسية لمقومات الشخصية الجزائرية ، من دونها لن تقوم للجزائر قائمة، فهضم الكتاب المشبعون بالروح الدينية الصرفة مقاصد جمعية العلماء و لم ينجه احدهم تعلمه ، إذا استطاع أن يساهم بكل ما يملك من قوة فكرية و وسائل فنية متاحة، يمكن ان تمنح للأمة وعيا جديدا، يدعو إلى المحافظة على كيانها و شخصيتها المقدسة التي تجاهلها الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للجزائر وعهد إلى محاربتها "[2].

وقد كتبت جريدة البصائر متهجمة على الطرقيين و سبلهم:" المرابطون هم حيوانات الاستعمار الداجنة، فهم اليد التي تنفد الأوامر المشؤومة و الجسر الذي يفتح له الطريق، و ما انفكوا يناقضون الله في ظهورهم بمظهر الأنقة أمام الشعب و العبودية إزاء المستعمرين والرؤساء الإداريين الطغاة."[3]

فجمعية العلماء اتخذت من أدب المقال منبرا حرا للدعوة : إلى الدين الخالص،و أسس التوحيد الكامل، "فدرس الأساتذة و كتب الكتاب و غنى الشعراء حتى اعتقد الناس أن ما يدعو إليه العلماء المصلحون هو خصومة بينهم و بين الطرقيين، و ليس عقيدة إسلامية عامة، وطالب بعض المصلحين من رؤساء الزوايا و أبنائها أن يحولوا بعض محلاتهم الدينية إلى مراكز خيرية و مدارس أخلاقية تسعى لإيصال الخير و نفع العموم لا لنفعهم وحدهم "[4]

---

[1]- د/ عبد المالك مرتاض :فنون النثر الأدبية في الجزائر(***1931-1954***)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ***1983***، ص***382***

[2]- د/ أحمد طالب : الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة (***1931-1947***)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ***1989***، ص***31***.

[3]- نقلا عن بو صفصاف عبد الكريم : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية(***1931-1945***)، دار البعث، قسنطينة ،الجزائر ،ط***1*** ***1401*** ه/***1981***م،ص***190***.

[4]- المرجع نفسه ، ص***198***.

وقد حاول الكتاب و زعماء الإصلاح في الجزائر نشر تعاليم العقيدة السمحاء عن طريق مقالاتهم و قصصهم و أشعارهم، بل حتى سجلاتهم الكتابية مع شيوخ الطرقية و مريدي الضلال الاستعماري، وكذا بعض فتاوى المشايخة في المغرب و المشرق، ومن ذلك ما كتبه الشيخ عبد الحميد بن باديس ردا على الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي في هيئة كبار العلماء بالأزهر، اذ يقول :"...أفخفي هذا على فضيلته حتى اخذ يستدل بآية الاستغاثة العادية التي تكون بين المخلوقين على الاستغاثة التعبدية التي لا تكون إلا لله. إن نقاء هذا على مثله لعجيب."[1]

كما انتفض الشيخ البشير الإبراهيمي ضد قوانين المحتل التي بغت تحويل نمط الرقابة من رقابة عقدية تمنهج حياة المسلمين بالجزائر، وتحويلها إلى نصوص و مواثيق استعمارية غريبة عن الجزائري و ثقافته العربية الإسلامية، فكتب يقول:" وهو في هذا الوطن قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية وعبث بحرمة المعابد و حارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية، و البيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير و لا تفكير"[2].

فالاستعمار إنما يحارب عقيدة هذا الشعب و ثقافته، فسخر قوى الضلال و الإلحاد ليطفئ جذور الإيمان المتقدمة في النفوس ليطمس بذلك كل مقومات الشخصية الجزائرية، فما كان من الإبراهيمي إلا أن يفضح أساليب هذا المحتل و ينعته بالكفر و الإلحاد، وانه لا يرضخ إلا للقوة التي يجب أن يتمتع بها الجزائريون، وهي إيمانهم بقضيتهم، وبأنهم أصحاب حق لابد هم مستردوه.

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:"إن الاستعمار لا يؤمن بالله حتى نسأله الإنصاف لدينه الحق ، ولكنه يؤمن بالقوة فلنحذر عواقب الاغترار، فان هذه الأمة في مجموعها قوة بعددها ، وبالمعاني التي استيقظت فيها، و بإيمانها بحقها، وبتصميمها على استرجاعه، فإذا

---

[1]- عبد الحميد بن باديس: الاستغاثة بالمخلوق، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ،ج**3**، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث، قسنطينة، ط**1** ،**1405**ه/**1983**م ،ص**248**.

[2]- محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر ،ص**22**

تعامى على هذه القوات كلها فان تقلبات الدهر ستفتح عينيه منها على ما يكره، وان الله للظالمين لبالمرصاد."[1]

تلكم هي العقيدة الراسخة و الإيمان القوي الذي يجب أن يشحذ الهمم و النفوس، وتلك هي صفة الاستقامة التي يجب أن تتوفر في الأمة الجزائرية، لكي تستطيع أن تقف في وجه عدوها دون الانصياع لغيرها، وفي ذلك يقول الشيخ محمد الزاهري:"ولا يمكن بحال أن ننتظر من المسلمين عملا صالحا ولا خلقا برا شريفا، ما لم يدخل الإيمان في قلوبهم حقا، وما لم يتقوا هذا الإيمان فيهم حتى تطفح به أنفسهم هدى و نورا وهنالك ينصرون الله و هنالك ينصرهم الله"[2]، وذلك وعد الله الذي نزله في كتابه بالحق إذ قال تعالى :﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وفي ذلك تأكيد من الكاتب على الإيمان بالله و بنصرته لعباده و دينه، و ذاك لب العقيدة الربانية التي تنبني على الإيمان الكامل و التسليم المطلق بشرائع الله التي شرعها على عباده وهي شرائع حياتية تؤسس وفق منهج رباني، و على رأي الشيخ الإبراهيمي :"فان الله تعالى ما شرع هذه الشرائع عبثا إنما شرعها لحكم جليلة أعلاها جمع الأمة على الدين لتجتمع في أمورها الدنيوية و توحيدها في عبادة الله تتربى على الاتحاد في مصالحها العامة المشتركة"[4].

كما أن الشيخ أبو اليقظان "كان يمتاز أبدا بدعوته الجهيرة للدفاع عن حمى الإسلام، وبمعايشته الحية عقلا و نفسا مع التطورات الخطيرة التي كانت تمر بها بلاد الإسلام والمسلمين. متطلعا إليها بعين مولعة، وقلب كسير، لا تضيق به النظرة عند موضع الخطوة ولكنها تتعانق مع كل مسلم، متجاوزة السدود و القيود."[5]

---

[1]- المصدر نفسه ،ص181-185.

[2]- محمد السعيد الزاهري :الإسلام في حاجة إلى تبشير، دار الكتب، الجزائر، د.ط ، د.ت، ص***79-80***

[3]- سورة الروم/ الآية ***47***

[4]- محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر ، ص12

[5]- محمد ناصر : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ***198***، ص***117***

فقد كتب الشيخ أبو اليقظان يدعو الأمة إلى الاتحاد تحت راية الإسلام يقول "...يا لله العجب أيتألب أعداء الإسلام ويتحدون على تقويض معالمه وبينهم فراسخ من اختلاف اللغات والأديان والمذاهب والمنازع والمشارب ، ونختلف نحن على صيانته وحمايته والذود عن بيضته ودفع الكيد و الأذى عنه وقد جمعت بيننا روابط الوطن واللغة و الدين ووحدت بين أهوائنا علائق المصالح والآلام ؟ وحدوا صفوفكم رعاكم الله، واجمعوا جهودكم، وضموا قواكم، وسيروا إلى الإمام بقلوب مفعمة إيمانا و نفوسا طافحة صدقا وإخلاصا، فان الحال حرجة للغاية، و الأمر في شدة الخطر"[1].

وأبو اليقظان في حماسته الشديدة للدفاع عن الإسلام و المسلمين كان يثير الحمية الإسلامية، ويستفز الغيرة في نفسه ما قد يبدو للكثيرين هينا يسيرا، فقد كان شديد التيقظ لأعداء الإسلام من مستعمرين وغيرهم، شديد الحساسية تجاه أراجيفهم و اتهاماتهم، فإلى جانب مواقفه المعروفة من غلاة المسحيين و المعمرين و المستشرقين الكائدين للمسلمين الجزائريين، نجد له مواقف مشابهة للدفاع عن المسلمين أينما كانوا من البلاد الإسلامية العريضة[2].

ومن ذلك موقفه الصريح الحازم من كاتبة فرنسية تدعى –مدام سيلاربي– . فقد كتبت هذه الصحفية اثر رحلة لها إلى تونس عما رأته من تكاثر الشاحذين و المتسولين ، ساخرة مزدرية بالإسلام، مدعية بأن أولئك الأشكال هم تحت راية محمد"*صلى الله عليه و سلم*، فثارت ثائرة أبي اليقظان و عد ذلك من تلك الكاتبة تغليطا، و تسفيها للحق، و قلبا للحقائق وتعصبا ضد الإسلام و المسلمين ينبئ عن الحقد الصليبي الأعمى ، مبينا لمدام سيلاربي ، كيف أن حقائق التاريخ الإسلامي و تعاليم الدين الإسلامي ليست هي المتسببة في تلك الحالة المزرية التي انحدر المسلمون في تونس أو في الجزائر أو في إفريقيا الشمالية إليها، بل لن المتسبب الحقيقي و المتهم الأول هو الاستعمار الفرنسي[3].

---

[1]– محمد ناصر : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ،ص***121***.

[2]– المرجع نفسه ،ص***122***

[3]– المرجع نفسه ، ص***122–123***

يقول الشيخ أبو اليقظان :" فلو كان لهذه إلمام بالأدب، و ذروة من الإنصاف لقالت أن هؤلاء الأشكال هم تحت راية فرنسا...فلو كان الأمر لمحمد و أتباع محمد لما تركوا أولئك على هاتيك الحال التي تسخر منها مدام "سيلاربي" و لكن عوض أن تراهم يعومون في أبوالهم، ويأكلون الخبز مما تتنازل لهم به، تجدهم يجرون ذيول العزة و الفخار بين عروش الملك، ومنابر الخطابة ...ومعامل التحليل و التركيب و مشارح التجريح ...أولئك الذين نراهم يعومون في أبوالهم هم من أحفاد موسى بن نصير و طارق بن زياد و حسان بن النعمان...وعبد الله بن رستم...و لو كان لها ذرة من العقل لرفعت العار الذي يلحق فرنسا بإهمالهم و تشريدهم في الطرقات بعدما كانوا ذوي أملاك واسعة وارض فسيحة، و لكن هو التعصب الأعمى يسدل على صاحبه حجابا كثيفا يجعله يرى الأشياء مقلوبة ."[1]

فنضال جمعية العلماء كان نضالا عقديا، و ما أدبها إلا مرآة عاكسة لمواقفها و مبادئها وقناعاتها الثابتة التي لم تتزحزح، و قد ظلت منافحة مدافعة عن الدين و الأمة، كاشفة نوايا المستعمر معرية إياه من زيف صورته "الحضارية" كما يدعي. يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:" و حورب فيكم الإسلام حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه وانتزعت منكم عقائده ومكارمه، فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد و تنشرون من الإصلاح لواء التجديد وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد *صلى الله عليه و سلم* و كما يرضى الله ، لا كما حرفه الجاهلون و شوهه الدجالون، و رضيه أعداؤه."[2]

وقد اهتم رجالات جمعية العلماء بتعاليم الشريعة الربانية و أولوها حيزا نافذا في كتاباتهم، ومن ذلك مبدأ التوحيد الخالص، حيث كان هذا المفهوم واردا في تصريحات وكتابات رجالات الجمعية الذين تشبعوا من مناهل القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، التي برزت بشكل صريح في تراثهم النثري، فكان ذلك شعلة متقدمة لشحذ همم الجزائريين، فهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس يكتب شاكرا الله عز و جل معددا أسماءه و صفاته، كالوحدانية والربوبية و الألوهية، وانفراده بالخلق، فيقول " الحمد لله الواحد الأحد في ربوبيته و ألوهيته،

---

[1]- محمد ناصر : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ص***123***

[2]- محمد الطاهر فضلاء:قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بم باديس، نشر مطبعة البعث، الجزائر،د.ط،د.ت ص***162***

مبتدئ الخلق برحمته، الداعي إليه بنعمته و محبته، شرع الشرائع بالحكمة و العدل لسعادة الإنسان، و أودعها أسرارا وفوائد يعظم منها النفع و يزداد بها الإيمان."[1]

والله مترہ عن النقص الذي يتصف به الخلق، لذا وجب أن نتعظ بالله وان نهتدي بهديه، لأنه:"رزقنا القوة في قلوبنا وعقولنا وأرواحنا و أبداننا، و أشعرنا الرحمة بأنفسنا و ببعضنا وبغيرنا، انه القوي المتين، الرحمن الرحيم."[2] .

"...وقد تكررت كلمة الرحمة في أربع مرات في موطن واحد و لم يقل لنا القهار الجبار مع انه عز و جل قهار جبار. كل ذلك لنستشعر سعة رحمة الله بخلقه، فإذا كان رب الناس الذي هو المالك يعامل عباده بمقتضى هذه الرحمة التي وسعت كل شيء، فأحرى أن يتخلق عباده بأخلاقه و تظهر عليهم آثار هذه الأخلاق في معاملة بعضهم ببعض."[3]

فالكاتب قد ساق هذا التوجيد في التربية الأخلاقية من هدي قوله تعالى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[4] وكذلك مما ورد في السنة النبوية الشريفة حيث قال *صلى الله عليه وسلم* :" من لا يرحم لا يرحم."[5]

أما صفة " القهار الجبار " فالقهار يعني أن الله قاهر لكل معتد آثم عاق من خلقه و يوقفه عند حده ، و قد استند الكاتب على هذه الصفة التي استخلصها من قول الله تعالى :﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[6] . و معنى ذلك أن الله وصف نفسه بالوحدانية، نفيا لاتخاذ الولد ، ثم وصف نفسه بالقهار ليدل دلالة

---

[1]- عبد الحميد بن باديس ، الآثار، جمع و دراسة،عمار طالبي ، ***3/529***.

[2]- عبد الحميد بن باديس ، الآثار، جمع و دراسة،عمار طالبي ***3/515***.

[3]- المصدر نفسه ***4/338***.

[4]- سورة الفاتحة/الآية ***1*** و***2***.

[5]- عز الدين بليق: منهاج الصالحين، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ،ط***3***، ***1984***، ص***251***.

[6]- سورة الزمر / الآية4

واضحة على الشركاء و الندية له ، لان كل شيء مقهور تحت إرادته ، و كذلك قوله تعالى : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[1].

أما عن الصفة الثانية التي تعرض لها الكاتب في النص السابق، فهي صفة الجبار التي هي من أسماء الله تعالى ، وهو العلي العظيم ، وقد استوحاها الكاتب من قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[2] ففي هذه الآية الكريمة نجدها تضمنت عدة صفات للمولى جلت قدرته، هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد أن الكاتب يحاول لفت نظر الإنسان البائس الفقير إلى التحلي بالتأني و الصبر ويعلم أن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون ، وانه مغير الأحوال، وانه يمهل و لا يهمل ، و سيجازى كل على حسب ما قدم ، إن شرا فشر ، و إن خيرا فخير.

يقول رمضان حمود حاثا الأمة على الصبر على الابتلاء و التمسك بالعروة الوثقى وهي الإيمان بالله و الثقة في نصرته : " صبرا أيها البائس المسكين فعين الله لا تنام ، والدهر لا يدوم على حال و مهلا أيها الغني البخيل فربك لا تخفى عنه خافية و انه عزيز ذو انتقام"[3]

فهذا التوجيه إلى التمسك بحبل الله والاعتصام به ، إنما هو وليد التشبع بتعاليم العقيدة السمحاء ، تلك العقيدة التي تجعل الإنسان يدور في فلك مشيئة ربه ، و هو لا يملك لنفسه فكا ولا عونا.

وإلى جانب الإيمان بالله ، نجد كتاب جمعية العلماء يدعون إلى الإيمان باليوم الآخر يوم الحساب و الجزاء و العقاب ، و أن الإنسان في الدار الآخرة رهن عمله ، فإن أحسن فإحسان، وإن أساء فنيران يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :" إن من أقام الدين فاستقامت له

---

[1] - سورة ص / الآية 65.

[2]- سورة الحشر / الآية 23

[3]- محمد ناصر: رمضان حمود –حياته و أثره- المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2، 1985، ص291.

الدنيا ، و انقاد إلى الله فانقاد له عباد الله ، وأخذ كتاب الله بقوة، فمشى على نوره إلى سعادة في الدارين وأرشده إلى أن سعادة الدنيا عز و سلطان ، وعدل وإحسان ، و أن سعادة الآخرة حياة لا نصب فيها و لا نهاية ، و اطمئنان لا خوف معه و لا كدر في أثنائه، و رضوان من الله أكبر."[1]

وإن مهمة التبليغ ملقاة على عاتق العلماء المتضلعين بالرسالة ، فـــ:" عهد الله في أعناق علماء الدين لعهد ثقيل ، وان أمانة الإسلام في نفوس علمائه لعظيمة ، و إنهم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدار و في تلك الدار."[2]

رسالة توضح الدلائل وتجلي المسافات والأبعاد عن الحقائق الغيبية التي اثبت القرآن الكريم صحة وقوعها ، وان الإيمان بها مثل الإيمان بالله و اليوم الآخر في ترتيب لفظي واقعي وتسلسل منطقي ، يقول الشيخ الإبراهيمي :" من دلائل قدرة الله على البعث الأخير ، ومن الحجج الدافعة على منكريه و لكنها –مع ذلك قريبة الخطورة في أذهان المتفائلين مثلي بالبعث الأول في هذه الحياة الدنيا . تلك الآية هي قوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3].لاحت لي آية البعث من القرآن عندما لاحت لي آية الانبعاث...فأجلت بصيرتي في الأولى ، عندما أجلت بصري في الثانية ، فما زادت الثانية الأولى إلا تمكينا وتثبيتا"[4] .

كما نجد من تعليمات العقيدة الإسلامية في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين هو محاولة هؤلاء الأدباء غرس الصفات المستمدة من روح الشريعة الإسلامية السمحة في قلوب الشباب الجزائري ، و كان هدي تلك الدعوة هو كتاب الله و سنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، فالقرآن " اشتمل على مجموعة من الأحكام اصطلح على تسميتها بالأخلاق ، لذلك سمي القرآن –كتاب أخلاق– لأنه يوجه حياة المسلم نحو الأفضل ، بإرشاده إلى الصفات

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي / الآثار ***4/222***.

[2]– المصدر نفسه ***3/340***

[3]– سورة يس /الآية ***78-79***

[4]– محمد البشير الإبراهيمي / الآثار ***3/235***

الحسنة التي يجب التحلي بها للظفر بالحياة السعيدة ، و تحذيره من الصفات السيئة التي يجب التخلي عنها للابتعاد عن الشقاء و التعاسة "[1].

وقد حاول رجالات جمعية العلماء استغلال كل المناسبات المتاحة لهم لشرح كل تلك الصفات الأخلاقية الحميدة وتبسيطها ووضعها في متناول الفئة المتعلمة ، لتجنيبهم تلك المغالاة التي تدعو إليها تلك الطغمة الاستعمارية بمساعدة الفئة الجاهلة ، التي تتلاعب بها الطبقة الاستعمارية الحاكمة، فتوجهها كيفما شاءت ، وحيثما رغبت خدمة لأغراضها الدنيئة[2].

ومن بين الصفات التي حبب إليها أدب المقال عند جمعية العلماء صفة التقوى ، تلك الصفة الإسلامية الأصيلة ، والتي يعدها الفقهاء "حصانة و صيانة" ، و التقوى رعاية ووقاية، والتقوى قوة وفتوة ، و التقوى بر وخير ، والتقوى إحسان و إتقان ، والتقوى وفاء وصبر."[3]

هذه هي الركائز التي تستوجب على الإنسان أن يتحلى بها ، وهذا ما أدى برجال جمعية العلماء إلى الإشادة بهذا المنشد الأخلاقي و التمسك به ، لأنه يعتبر بمثابة الزاد والذخيرة التي يستطيع استغلالها عند الحاجة، و يدافع بها عند اشتداد النوائب ، وبذلك تهدا النفس المطمئنة ويرتاح الضمير ، وعليه ترسل الرحمة ، فيكون عندها الاستقرار والهدوء والارتياح ، وذلك لان المتصف بهذه الصفة الحميدة يكون مزودا بالعظمة والقوة والسؤدد.

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :" أوصيكم بتقوى الله فهو العدة في الشدائد و العون في الملمات ، وهي مهبط الروح و الطمأنينة ، وهي مترل الصبر و السكينة و هي مبعث القوة واليقين ، وهي معراج السمو إلى السماء وهي التي تثبت الأقدام في المزالق و يربط على القلوب في الفتن."[4]

---

[1]- محمد ناصر بوحجام : اثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (***1925-1976***) ،ج***1***،المطبعة العربية ، غرداية الجزائر، ط***1***، ***1996*** ،ص***61***.

[2]- ينظر حسين بن مشيش : اثر القرآن في النثر الجزائري الحديث: ص***47***

[3]- احمد الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن ، الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1971م ، ص210-211.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ***291/2***.

فالتقوى عاد و زاد يتزود به أولئك الذين وهبهم الله القلوب النيرة و العقول الصافية، وهو ما يدعو إليه الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس حيث يقول :" و أن لا فضل لأحد إلا بتقوى الله ، و من يتقي الله فهو انفع لعباد الله ."[1]

فوجه المفاضلة بين العباد هو درجة التقوى ، قال *صلى الله عليه و سلم* : " إن أكرمكم عند الله اتقاكم. "[2] ، و التقوى إنما توجب الخير وتمنح البركة بل و المنفعة للفرد وللجماعة بأسرها.

ثم إن العقيدة الإسلامية تحترم العقائد و الملل و أصحابها ، إذ يشير الشيخ الرئيس إلى أن الإسلام "يعترف بالأديان الأخرى و يحترمها و يسلم أمر التصرف فيها لأهلها"[3] ، ويستمر ابن باديس في حديثه عما يمده الدين الإسلامي من السلوكات الخلقية لبناء التكامل الإنساني من أجل نشر الخير و نبذ الشر ، فيقول عن الإسلام بأنه :" يقرر شرائع الأمم ويهون عليها شأن الاختلاف، و يدعوها كلها إلى التسابق في الخيرات."[4]

و يستدل في ذلك بقوله عز من قائل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[5].كما دعا رجالات جمعية العلماء إلى التشبه بالأخلاق المحمدية الكريمة ، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :" كان الصحابة لاستعدادهم القوي لتحمل رسالة الإسلام بقوة يحرصون على اخذ همات العبادات من فعله *صلى الله عليه و سلم*، كما يحرصون على

---

[1]- عبد الحميد بن باديس : الآثار ، جمع و دراسة عمر طالبي 547/3.

[2]- من خطبته في حجة الوداع بعرفة.

[3]- عبد الحميد بن باديس : الآثار ،***4/111***

[4]- المصدر نفسه ،ص***111***

[5]- سورة المائدة / الآية ***48***.

التمثيل بأخلاقه والتقليد له في معاملته لله ومعاملته لخلقه، وعلى التأسي به في الأفعال والترك في شؤون الدين لعلمهم أن الفعل هو المقصد والثمرة ، وأن الأقوال في معظم أحوالها إنما هي أدوات شرح وقوالب تبليغ وآلات أمر ونهي، ووسائل ترغيب وترهيب، و إن قول قائلهم:"أنا أشبهكم صلاة برسول الله " الدليل على تغلغل هذه النظرة في مستقر اليقين من بصائرهم، وأنهم كانوا يتشددون في اخذ الصور العملية من أفعاله *صلى الله عليه وسلم* كما هي ، ويتحرجون من التقصير فيها ."[1]

تلك الصفات و المكارم جعلها الإبراهيمي من الفرائض الدينية التي لا يمكن للمسلم التخلي عنها، إذ يقول :" حثوا إخوانكم على إقامة الفرائض الدينية و الاجتماعية التي أضاعوها كالزكاة والتآمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر والمرحمة والتعاون على البر و التقوى والتآلف والتحابب، مستندين في ذلك كله على كتاب الله وحديث نبيه مستدلين بنصوصها "[2] .

فالعقيدة كانت بالنسبة لأدباء جمعية العلماء المسلمين تمثل منهاجا متكاملا ، هدفه تكامل الإنسان و استقامته ، وهي كما سبق أن أشار إليها الشيخ الرئيس تقرر شرائع الأمم و تهون عليها شأن الاختلاف ، وتدعوها كلها إلى التسابق في الخيرات ؛ و لأن رجالات جمعية العلماء كانوا على وعي تام بما يضغنه الاستعمار لهذه الأمة و يبطنه ، ومنهم الإبراهيمي ، الذي رأى المستعمر يتهم –إن صراحة و إن تلميحا– الإسلام بأنه سبب تأخر المسلمين ، فقد "بين زيف هذه الدعوى بالرجوع إلى التاريخ ، إذ يرى انه قد آمن المسلمون الأولون إيمانا كاملا لأنهم اتبعوا القرآن والسنة الصحيحة ، و آمنا بدلا من ذلك بالخرافات والخوارق الباطلة ، و يرى انه لذلك قد اختلت عقائدنا و عباداتنا و معاملاتنا وما تتبع ذلك من أخلاق وحل بدلا من ذلك

---

[1]- محمد البشير الابرهيمي : الآثار 146/4.

[2]- المصدر نفسه : ***3/ 180-181***

كله ظلام من المعتقدات والخرافات و الأوهام الباطلة ، و ما يتبع ذلك من أخلاق هي إخلال من مساوئ النفوس".[1]

تلكم هي العقيدة التي دعا إليها مشايخة جمعية العلماء المسلمين ، و ناضلوا من أجلها ودافعوا عنها ، فما كلت سواعدهم و ما وهنت عزائمهم ، بل إنهم تسلحوا بالحق و لأجل الحق ، فكان الحق سبحانه نصيرهم، فكللت دعاواهم بخروج هذه الأمة من براثين الجهل والركود إلى مشارق الحرية و الإبداع.

[1]– محمد العيد تاورتة : نثر الشيخ الإبراهيمي في الفترة من ***1929*** إلى ***1939*** ،جمع و توثيق و دراسة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي، جامعة قسنطينة ، معهد اللغة و الأدب العربية ، ***1980***، ص***451***.

الفصل الثالث

الخصائص الإسلامية لأدب المقال عند جمعية العلماء

المبحث الأول:

الالتزام والواقعية.

تمثل الفترة ما بين 1931 و1962 قمة النضج والوعي الذي حمله الأدب بقضايا الوطن والأمة، خصوصا بعد الاحتفالية المئوية لاحتلال الجزائر، والتي نظمها الاحتلال سنة 1930، وقد عكست جل الأعمال الأدبية في هذه الفترة ذاك الإحساس المرير بواقع المجتمع بعد مرور مائة عام على الاحتلال، كما حملت في الوقت ذاته نزعة أمل يشوبها التحدي لهذا الواقع، فكان أدب تلك الفترة أدبا ثوريا في مضمونه،" فالكتابات التي ظهرت في ذلك الحين كانت تعنى بصورة رئيسية بالأحداث السياسية التي كانت تهز الجزائر من الأعماق"[1]. كما أن النشاط الأدبي لعديد من الكتاب الإصلاحيين دعّم مشاركتهم الإيجابية في النضال الوطني مما خلف وضعا من الالتزام الأدبي العميق في كتاباتهم.

بيد أن الحديث عن الالتزام في أدب المقال عند جمعية العلماء ليس كالحديث عنه في الأدب الوجودي أو الأدب المتأثر بالمادية الاشتراكية أو غيره، بل هو خاصية من خصائص الأدب الإسلامي...

والأدب الملتزم هو" كل أدب يقف إلى جانب الإنسان لا فردا منعزلا، وإنما ممثلا للإنسانية كلها في تاريخها الطويل في كل زمان ومكان ليحسم صراعه الرهيب ضد الاستغلال والعبودية للوصول إلى الحرية الكاملة الشاملة في ظل مجتمع عادل انعدم فيه تمايز الناس حسب الطبقات، وتخلص فيه الإنسان من استغلال أخيه الإنسان وظلمه، ولهذا يمكن للإنسانية أن تحافظ على كيانها ووجودها واستمرارها في أحسن الظروف شريطة ألا يبتعد ذلك عن أصالته وطبيعة فنه في سبر غور النفس البشرية واستنباط ما يكنهه من عوالم غامضة وأسرار تحمل في طياتها معنى السعادة أو الشقاء"[2] .

ولما كان كل أديب صاحب فكرة أو قضية يحملها ويدافع عنها، فهو في الحقيقة يلتزم بها ويسعى إلى تحقيقها في أرض الواقع وتطبيقها، ف"ذلك الأديب المختار الواعي لا يمكن أن ينتج

---

[1] عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967) بترجمة د/ محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ن د، ت، ص 137.

[2] احمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية (في الفترة ما بين 1931 -1976)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت،.ص 23.

أدبه بلا هدف، سوف يكون- قبل كل شيء – تحقيق الضرورات الملحة التي تتطلبها اللحظة التي يعيشها وطنه تحياها أمته ويتأثر بها هو ووطنه وأمته".[1]

وقد مثل أدب رجالات جمعية العلماء أدبا ملتزما بقضايا الأمة والدين، ذلك أن الجمعية كانت" ترى في الدين الإسلامي الدعامة الأساسية لمقومات الشخصية الجزائرية، من دونها لن تقوم للجزائر قائمة، فهضم الكتاب المتشبعون بالروح الدينية الصرفة مقاصد جمعية العلماء و لم يبخل أحدهم بقلمه، إذا استطاع أن يكل ما يملك من قوة فكرية ووسائل فنية متاحة يمكن أن تمنح للأمة وعيا جديا يدعو إلى المحافظة على كيانها وشخصيتها المقدمة التي تجاهلها الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للجزائر وعمد إلى محاربتها".[2]

وأدباء المدرسة الإصلاحية في الجزائر كانوا أنفسهم أدباء فكرة، وجنود قضية تهم وطنهم ودينهم وأمتهم، آمنوا بها ودافعوا عنها واستماتوا في الدفاع عنها، وعملوا على تحقيقها في أرض الواقع رغم كل العراقيل والصعوبات التي صادفتهم [3].

وعند الحديث عن أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين، فإنه يمكننا القول إن أدبهم كان أدبا ملتزما، فكتابات الشيخ العربي التبسي تعكس أدبا ملتزما، وهذا ما يحيل على المواقف التي تميز هذه الكتابات نحو القضايا التي يناقشها في موضوعاته المستوحاة عن واقع الجزائر المستعمرة وما تعيشه من صراعات سياسية واجتماعية ومذهبية عقائدية....

وفي ظل هذه الصراعات نجد الإمام العربي التبسي قد حجر نفسه للدفاع عن مقومات هذه الأمة ودعوتها في الوقت ذاته إلى التمسك بما يخرجها من براثين التقهقر والتخلف، ويخلصها من ربقة الاحتلال والانحلال، كما ظل واقفا بجسمه وفؤاده وقلمه إلى جانب القضايا العادلة للأمة التي حاول الاستعمار جاهدا إفراغها من محتواها وصار ينظر إليها مثلما ينظر إلى أي شيء لا يصلح لشيء، فراح الشيخ من طريق كتابته يعمل سعيه إلى إعادة الروح لجسد

---

[1]- د/ أحمد هيكل: دراسات أدبية، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980، ص17.

[2] -أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية، ص 33.

[3]-كمال عجالي: الطيب العقبي أديب، رسالة دكتوراه في الأدب الحديث، جامعة قسنطينة، معهد اللغة والأدب العربي، 1997-1998، ص 485.

الأمة المنهك، ة وذلك عن طريق دعوته على العودة إلى تعاليم الدين القومي وتذكيره بتاريخه التليد وأمجاد أسلافه ولو عن طريق الإشارة.

ومن مواقف الشيخ العربي التبسي الملتزمة دعوته إلى النظر في حال هذه الأمة والكيفية التي كانت تحيا عليها ، ثم مقارنتها بغيرها عن الأمم الأخرى، وهذا يسبب بعدها عن العلم والتعلم، وفي ذلك يقول مخاطبا الشعب الجزائري في إحدى مقالاته "ألق بصرك ذات اليمين وذات الشمال في وطنك الجزائر، سهوله وحزونه وحواضره وبواديه متبيّنا كيف تجد قومك؟ وفيما يقطعون الأيام واللّيالي؟ وعمّا تنفق الأموال؟ وما هي حالة أمّتك الاجتماعية؟ وقارن بينها وبين أهل الدّنيا تجد شعبك في هذا العصر الّذي لا عيش فيه إلاّ بالعلم ونوره؟ أم من بقايا الأجيال الغابرين الّذين لم يوحى إليهم[1]

وبعد أن اتخذ موقفا عن وضع أمّته مقارنا إياها لما تحييه الأمم الأخرى ينتقل إلى دعوة أخرى هي من صميم العقيدة الإسلامية إنها الدعوة إلى مجتمع متكامل يمثّل فيه الفرد اللبنة الصغرى للمجتمع وهي دعوة للتوحيد والوحدة الّتي تنطلق من الانتظام تحت مبدأ واحد والالتفاف حول جامع أوحد، من أجله يوجد الكلّ، محذّرا من عواقب الفرقة والتشتّت، يقول الشيخ التبسي: "إنّ الشّعب الّذي لا ينتظم تحت مبدأ واحد وهذا صحتّه لا تحتاج إلى بيّنة، ولعمري لئن اتّبعت عينيك ما مضى من عهد أمّتك وما يعتورها الآن وأنت حدب على أمّتك، تودّ لها ما يودّه كل وطني من أن تقف أمتك بصف نظرائها، فستعود وقلبك مترع بالحسرات وعيناك تسكبان العبرات ما دمت تعطف على الجزائر وأهلها وإن قومك على الفطرة الأولى، لم يتزحزحوا عنها، ولا تنحوا عما كانوا عليه منذ أحقاب ولم يدركوا العالم أين بات من فيه".[2]

والشيخ العربي التبسي ملتزم بقضية وطنه وأمّته ، وهي التعلّم الّذي يخرجها من براثين الجهل والانحلال والضياع، إذ "وبعد أن انتقل إلى التّعليم ، انتقل إلى الحثّ على إحياء اللغة

---

[1] - العربي التبسي: هذه جزائركم تحتضر أيّها الجزائريون فأنقذوها، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية بالجزائر، ج1، جمع وتعليق، د.شرفي أحمد الرفاعي، دار البعث للطباعة والنّشر، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص43.

[2] -المصدر نفسه، ص44.

العربية حتى يتمكنوا من التواصل مع شرعهم من خلال تداركهم للقرآن الكريم والحديث الشريف ، وحتى يتمكنوا أيضا من التواصل مع تراث أسلافهم فكل هذا هو السبيل إلى تميزهم وتدينهم ، واجتماعهم تحت راية أمة واحدة وجهتها واحدة وهدفها واحد"[1]

ونحن إذا ما تتبعنا كتابات الشيخ العربي التبسي نجده ملتزما بهده القضية أيما التزام، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم ورمز انتماء الشعب الجزائري العربي المسلم، ومعرفة هذه اللغة تعني معرفة الدين وإدراك كنه هوية هذا الشعب.

يقول الشيخ التبسي" ولترد إلى اللغة العربية شبابها وتحيي ذكراها بكل الطرق والذرائع وليفهم الشعب العربي الإسلامي الذي تحولت لغته إلى رطانة في منطقه وخلط في مفرداته حتى أصبح لسانه مزيجا: أن لا دين ولا قومية ولا أمة ولا أي مقوم مميز للأمة إذا هي مضت في ما هي عليه من الجهل بلغتها والعزل عن تاريخها ورضت لنفسها أن تكون في حجاب بينها وبين أدب ومفاخر أسلافها، تلكم المفاخر التي باتت دارسة رسوم ...أتنتمون إلى العربية ولا تلجون لها باب ولا يأوي إلى مجالس مشايخكم نشؤكم فيروي عنهم ما خلده لكم أسلافكم من أنيق اللفظ ورائع المعنى؟"[2]

وليست مواقف التبسي غريبة عن نزعة أدباء جمعية العلماء المسلمين فقد كانوا وبدون استثناء- ناثريهم وشعرائهم- ملتزمين بقضايا الأمة والدين وفي هدا الصدد يقول الأستاذ عبد المالك مرتاض:" الكتاب الاصلاحيون والتقدميون على السواء كانوا ملتزمين بالقضايا الوطنية التزاما بلغ حد الغلو، فلم يكونوا يعالجون -غالبا- إلا ماله علاقة متينة بالحياة العامة، أي ما كان له صلة وثقى بقضايا الشعب الجزائري"[3]

فأدب العربي التبسي وكافة كتاب جمعية العلماء كان أدب قضية ، ذلك ما زان أعمالهم وخلد آثارهم، حتى تستفيد منه الأجيال اللاحقة، فقد كان ينبع من نفوس صادقة ومكافحة ،

---

[1] - خالد أقيس :آثار العربي التبسي –دراسة فنية-رسالة ماجستير ،جامعة منتوري،قسنطينة،كلية الآداب و اللغات ،قسم اللغة العربية وآدابها،2007/2006 ص110.

[2] - العربي التبسي: هذه جزائركم تحتضر أيّها الجزائريون فأنقذوها، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية بالجزائر، ج1،ص44-45.

[3] د/عبد المالك مرتاض :فنون النثر الأدبي في الجزائر،ص92.

مناضلة في سبيل قضية أمتها ودينها ,فجابهت دعاوى الطرقيين وأتباع الضلالة،كما جابهت دعاة الشيوعية الانحلالية، فقام ذلك" الصراع الفكري الذي أوقد للمقالة الأدبية نارها وضرم لها أوارها وأقام لها أسسها، فإذا في كل صحيفة أو مجلة أو مقالة تعالج موضوعا من موضوعات الصراع الفكري الذي تأجج ناره بين أدباء الجزائريين لسبب الاختلاف في الرأي أو تباين في المذهب السياسي أو تباعد في النظرة إلى حقائق الأشياء ومدلولات الأمور"[1]

والشيخ العربي التبسي أديب ملتزم صادق اللهجة فيما يكتب ، قوي الإيمان بما يفكر ويدعوا إليه ،"والحق أن مفهوم الالتزام متبدي في كتابات التبسي من خلال هذه المواقف التي تجاوزت الدعوة إلى العمل بها في إطار النص ذاته فإذا كان قد دعا إلى التعلم فهو يمارس التعليم من خلال هدا المقال وان جاء في مقاله ما هو حث على اللغة العربية فقلمه عربي مبين"[2]

والحق أن كتابات العربي التبسي ما هي إلا انعكاس لتفاعل الرجل مع مجتمعه,فبدا متحملا لمسؤولياته بكل شجاعة عن طريق تحديد موقفه إزاء معاناة هذا المجتمع والعمل على تغذيته بمثل هده الأفكار الناضجة,فالشيخ الإمام صاحب إيمان صادق بالقضايا التي يعالجها وروح مثالية وشجاعة أدبية في اتخاذ مثل هده المواقف وكدا في الدفاع عنها ولا أدل على هدا الكلام من طول نفسه فيما يطرقه من موضوعات تمتد على مجموع مقالات في شكل سلسلة سبق وأن أشرنا إليها فيما أطلقنا عليه اسم" المجموعات الكتابية" ،بل إن التأمل في كتاباته يدل على أنها مرتكزة على موضوعات بعينها لا تتعدى أربع نقاط وهده النقاط بدورها تلتقي معا لتشكل عناصر موضوع واحد مرده توجه الشيخ الإصلاحي-

فالتزام الكاتب ينطلق من وعيه وإدراكه بواقع مجتمعه، وهذا الوعي هو الّذي يجعله "يشعر بمسؤولية إزاء هذا الشعب، ويتّخذ موقفا دون غيره من المواقف" [3]، وبهذا فالالتزام "ليس توجيها أو ضغطا خارجيا، بل نوع من النّضج والشعور بالمسؤولية، والأديب الملتزم هو الّذي يعي الواقع ويستوعب القضايا الكبرى ويعبّر عن أمراض المجتمع"[4]

---

[1] د/عبد المالك مرتاض :فنون النثر الأدبي في الجزائر،ص92

[2] خالد أقيس :آثار العربي التبسي –دراسة فنية،ص111.

[3] د.محمد مصايف: النقد العربي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص238.

[4] - المرجع نفسه: ص238.

فالأسس التي يقوم عليها مبدأ الالتزام في الأدب تبدأ بوعي الكاتب بالذات الجماعية، والعربي التبسي كواحد من ناشطي الحركة الأدبية بالجزائر في أوائل القرن الماضي لم يكن يعبّر في لحظة كتابته عن شيء غير هذه الذات الجماعية التي كانت تحيا فيه روحا وفكرا واعتقادا، فنجده متعمّقا في أمراض مجتمعه وأدوائه حريصا على علاج جسد الأمّة وروحها، "فالهدف من التزام الأديب ليس هو التعبير عن أحداث المجتمع ومشاكله فحسب... بل هو تشخيص ما يضطرب في نفسية الجماهير، وتحديد الخطّ الّذي تسير عليه هذه الجماهير نحو مستقبل أفضل... والأديب لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور الأساسي في التعبير عن الحركة التاريخية لحياة الجماعة إلّا إذا اعتبر نفسه عضوا فاعلا في هذه الجماعة".[1]

والأديب المسؤول هو من يعيش هموم الحياة وآمالها وأحلامها، ويترل بأدبه إلى الجماهير الكادحة والفاعلة ليحرّكها ويوقظها، ويبعث فيها الحركة والتمرّد طلبا للحرية والأمل والحياة. ومن ثمة فالأديب هو الموجه الّذي يحمل شعبه إلى السير في وضوح وثقة وقوة نحو هدفه الاجتماعي والإنساني، بعيدا عن افتعال الأحداث والمغالاة في التعبير عنها، لأنّ الافتعال والتضخيم لا يؤدّيان إلّا إلى التمويه والتزوير، وبالتالي الحطّ" من قيمة الحدث أو القضية الّتي يدافع عنها، وهذا معاكس لما ينبغيه الالتزام.[2]

وقد عبر الشيخ العربي التبسي عن هذا الموقف الملتزم، متوجها بكلامه إلى أعضاء جمعية العلماء فقال "... إن جمعيتكم هذه قد وجدت خدمة الإسلام وبث علومه ورد الشبهة عنه ونشر فضائله و دعوة الناس إلى هدي هذه الملة، وهذه الخدمة ليست بالأمر التافه والعمل الضئيل الذي مكن أن يعمل في الليل المظلم و غفلة الناس ، ولكنه أمر هو في وضوحه وانتشاره وعمومه كاليوم الشامس لا تخفى أضواؤه و لا تحض أشعته جهة دون جهة. وإذا كان أمر الإسلام الذي وجدت جمعيتكم لخدمته كما وصفنا ، فإننا نصدق في دعوانا أن

[1] - المرجع نفسه: ص240،239.

[2] - انظر المرجع نفسه: ص 240-241

جمعيتنا خدمت الإسلام وعلومه وآدابه وأخلاقه ، وربت المسلمين على ما يأمر به الدين، مادمنا لم نقم الشواهد التي تبلغ الكوكب ضياء و إستبانة بأننا قمنا بواجبنا"[1]

إذن فالقضية أكبر من أن تهم شخصا بعينه، إنما هي قضية أمة، قضية مصير، وما هذه الكتابات إلا انعكاس لأشغال أدباء جمعية العلماء بهذه القضية و التزامهم بها، لأنها قضية مجتمع يعاني استئصالا ثقافيا، وحرب مسخ ديني، فكانت القضية إذن قضية هوية وانتماء، وهنا وجد مشايخة جمعية العلماء أنفسهم مسؤولين أمام هذا الموقف الذي يتطلب آليات دفاعية تحتمي بها الأمة من هول هذا الغزو، فتزلوا بكتاباتهم إلى الجماهير ليحركوها ويبعثوا فيها روح الحصانة ضد هذا المسخ، وإنما هدفهم هذا هدف اجتماعي إنساني مرسوم وفق ما يتطلبه واقع الجماعة ووفق ما يمكن أن تحققه كذلك.

بيد أن الملاحظة الهامة في هذا المقام، هو أن الفرق يكمن في طبيعة التزام هذا النوع من الكتابات النثرية (أدب المقال) و باقي الأنواع الكتابية الأخرى مثل القصة والرواية وغيرها... حيث أن الالتزام في أدب المقال لا يكون عن طريق محاكاة ما يجري في الحياة ومحاولة تصوير أفراحها و أحزانها، و إنما يكون عن طريق المواجهة الصريحة والخطاب المباشر، فالموقف في كل من الشكلين يتحمل مسؤوليته الكاتب كمفكر و ليس كفنان، و لهذا فإن تبعة الموقف تكون مباشرة، أي يتحملها الكاتب بنفسه مباشرة كذلك.2

ومهما تكن طبيعة الأفكار التي يقدمها أدباء الجمعية في تلك الفترة من تاريخ الجزائر، ومهما كانت طرق تقديمها، فهي بيان لارتباطهم بقضايا المجتمع وبما يدخل في بناء الشخصية الجزائرية (الدين – اللغة – التاريخ) وهي العناصر التي تشكل مقومات الهوية الجزائرية العربية الإسلامية، وهذا يعني أن أدباء جمعية العلماء كانوا متفاعلين مع مجتمعهم، لأن الأديب الملتزم بقضايا الجماعة « مؤثر ومتأثر في آن واحد، متأثر بما يستوحيه من المجتمع من موضوعات وتجارب إنسانية واجتماعية ومؤثر بما يسهم به في بلورة الأفكار والآراء التي تؤمن بها

---

[1]– العربي التبسي : جمعية العلماء المسلمين و واجب الوعظ و الإرشاد ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، ج02 ، ص22.

[2]– خالد أقيس : آثار العربي التبسي ، دراسة فنية ، ص 115.

الجماهير... فالأدب الحق لا يقف عند التلقي والتأثر، بل يتجاوز ذلك إلى طرح المشكلات والقضايا طرحا هادئا بمعنى أن تأثره بالواقع المعاش يكون على مستوى إيجابي حيث إنه يؤثر في مجريات الحياة»1

ومن ثم كانت معركة أدباء جمعية العلماء معركة من اجل الحياة من أجل البقاء وحسب، والمسؤولية كانت في نظرهم كبيرة تجاه الدين واللغة والأمة ، وهذا ما جعلهم يقفون موقفا حازما تجاه هذه القضايا، ويؤمنوا أن أي إدبار أو تخل عن القضية هو خيانة للأمة و الدين، وذلك ذنب لا يغتفر.

يقول الشيخ الطيب العقبي في هذا الصدد : « .... فليس للمقصر من عذر ولا للمتقاعس عن الرفقة غير الوزر و عظيم الخسر»2

وهكذا كان الكتاب – أوجلهم – ملتزمين كل حسب تصوره للقضية، و في هذا الصدد يقول الأستاذ عبد المالك مرتاض :"لقد كان الكتاب الإصلاحيون و التقدميون خلال هذه الفترة ملتزمين بالقضايا الوطنية أشد الالتزام ،بحيث كنت تراهم يتحمسون لكل ما من شأنه أن يكون له صلة بالحياة العامة على اختلافها ،ة فنجدهم يكتبون عنه ويتحاورون حوله ، ربما كلن حوارهم حوله يطول أشهرا معدودات ..."[3]

وهذا يبين لنا مكانة القضية في نفوس الكتاب الجزائريين عموما ، وكتاب جمعية العلماء على وجه الخصوص وكيف لا و هم محلة لواء النهضة في الجزائر ، وقضيتهم إنما هي قضية مصيرية ، ورسالتهم لا تقل أهمية عن أولئك الذين تصدوا للإستعمار، منذ أن وطأت أقدامه هذه الأرض ، جهادا و مقاومة مسلحة .

---

[1]– محمد مصايف : النقد العربي الحديث في المغرب العربي ، ص240.

[2]– الطيب العقبي : جريدة المنتقد في نظر الكتاب ، المنتقد ، ع 05 ، 30جويلية 1925 .

نقلا عن :

كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث ، جامعة قسنطينة معهد اللغة و الأدب العربي ، 1997 – 1998 ، ص 486 .

[3]– د/ عبد المالك مرتاض : فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ص 88.

فصراعهم مع الإستعمار صراع حضاري و فكري و عقائدي هدفه ترميم ما تغوض من مقومات هذه الأمة ، وبعث روح الحمية في روحها من جديد ، فإنه لا يقوم المستعمر إلا من كان واعيا بقضيته ووطنيته و انتمائه ، يقول الشيخ الطيب العقبي " فهلم أيها الشباب الناهض والمفكرون العاملون لمصلحة بلادهم هلم ، و حي على وخير العمل ، فقد برزت إليكم جريدة المنتقد ، " والأمة اليوم إلى المنتقد أحوج منها إلى المعتقد " هلم " إلى مجمع الأفكار وملتقى البحار ، هلم إلى منبر عام و ساعد مساعد لكم على نشر الفضيلة وثتل الرذيلة ، هلم إلى خير جريدة أبرزتها خير أمة أخرجت للناس، تعالوا إلينا نتعارف بميدانها، ونلتقي على بساط إكرامها ، تطارحوا الآراء و انشروا للأمة مواهبكم العالية ، قاوموا الجهل و البدع و انشروا العلم والحكمة ، حبذوا فكر المنصفين وأعمال المصلحين وانتقدوا خرافات الأفاكين وضلالات المبطلين لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا تباغضوا و كونوا عباد الله إخوانا "[1].

فالموقف إذن واضح ،و الرسالة بينة ، وما أدب المقال إلا وسيلة لطرح الأفكار النضالية التي آمن بها رجالات جمعية العلماء ، ألا وهي النهضة وتطهير الأرض وتخليص العباد ، يقول الشيخ الطيب العقبي :" اعملوا لبث الأخلاق الفاضلة في نفوس قتلها الجهل ، وقلوب في يدكم إن شاء الله تعالى مفاتيح أقفالها ، تعالوا بنا اليوم نتحد ونقترب ، فقد كفانا طول ذلك الإفتراق ، طال علينا والله أمر الغربة "[2].

فالرسالة تحتاج إلى توحيد الجهود للنهوض بحال الأمة من القعود و الركود والجمود إلى حال الحركية الفعالة ، و انتشالها من ربقة القيود إلى فسيح الحرية والإنعتاق والصمود .

ولقد التزم بحق أدباء جمعية العلماء بفكرتهم النضالية و عاشوا بها و لها ، ووقفوا حياتهم وأدبهم وفكرهم لخدمة الدين والأمة ، فدعوا إلى الخروج من ربقة التخلص الاستعماري كما دعوا إلى العلم و التعلم ، وتطهير العقيدة من الخرافات ونبذ البدع والضلالات ونادوا في شعبهم وأمتهم للنهوض بأسباب التقدم والرقي ، فركزوا على العقيدة واللغة العربية والقوانين المرتبطة بالدين ، داعين إلى العودة إلى حاضنة العقيدة الإسلامية ، ومرجعيتهم في ذلك إنما

[1]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 486-487.

[2]- المرجع نفسه ، ص 487.

العقيدة نفسها ، فقد كانت العقيدة غاية ووسيلة ، وكان الفكر وعاءا لإعادة بلورة المفاهيم ثم عرضها على الجماهير بطريقة تنبئ عن وعي تام بحال الجماعة و تشخيص دقيق لأدوائها ، مع تقديم الحلول وتبيان طرق العلاج.

ولما كان رجالات الجمعية شخصيات دينية ، فقد كانت مرجعيتهم الأولى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه و سلم – إذ كلما كانت تعرض لهم مشكلة من مشاكل مجتمعهم إلا وعرضوها على الدين وأرجعوها لأحكامه ، ومن ثم كانت كل تصوراتهم وأفكارهم حول القضايا التي يكتبون عنها ملتزمة بمبدأ الإصلاح وسلفيتهم المبنية أولا وقبل كل شيء على المصادر الأولى للثقافة و الفكر الإسلاميين ؛القرآن و السنة .

كما يتجلى التزام كتاب جمعية العلماء بقضايا وطنهم و أمتهم في توظيف كل إمكاناتهم وقدراتهم لخدمة قضايا الوطن و الدين وحل مشاكلها ، ومن ذلك تسخير الأدب الهدف في بناء الفرد و الجماعة ، وذلك باعتبار أن "مهمة الأدب السمو بالنفس و التدرج بها نحو عالم المثل الرفيعة وترغيبها بالفضيلة و تقربها من عوالم الإيثار و الغيرية ودفعها إلى ترك الأثرة والأنانية و الشهوات الحيوانية "[1] ، وتلكم كانت رسالة جمعية العلماء الذين كرسوا العمر لخدمتها وكانوا ملتزمين بتوجههم الفكري الهادف ، ذلك أن للالتزام الفكري هدف ، هو الكشف عن الواقع الراهن و السعي إلى تغييره أو قل هو السعي إلى تغيير ما ليس سليما فيه ، لأن المفكر الملتزم يعاين ما ليس حقا ولا عدلا ولا خيرا فيندد به و يعمل على تحطيمه "[2].

وهذا ما كان يفعله رجالات جمعية العلماء اللذين مهدوا لقيام نهضة أدبية وفكرية كانت بحق بمثابة ثورة ثقافية صنعت القطيعة مع ترسبات قرن ونيف من الجمود الفكري والأدبي ، والضلال الاجتماعي والديني لتعيد للأمة نشاطها وحركيتها وفعاليتها التي أثمرت بحركة تحررية مسلحة كانت بمثابة رصاصة الرحمة للوجود الاستعماري بالجزائر، وعلى رأي بنت الشاطئ ،

[1]– د/ مجد محمد الباكير البرازي : في النقد الأدبي الحديث ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، الأردن، 1407 هـ / 1986م، ص 209.

[2]– د/ أحمد أبو قحافة : الإلتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1979 ، ص 14.

فإن " كل الثورات الشعبية مرت حتما بمرحلة تعبئة وجدانية وغليان فكري تولى قيادتها جنود القلم و الكلمة مستبسلين عن التزام لم يفرضه عليه أحد "[1].

ونحن و إذ نسم أدب المقال عند جمعية العلماء بالالتزام إنما يحيلنا هذا إلى خصيصة أخرى من خصائص هذا الأدب ، وهي الواقعية " لأنه لايمكن لأديب ما أن يكون ملتزما خارج واقع يتحرك فيه "[2] ، و الأديب الواقعي يعمل دوما على أن يكون أدبه تصويرا وانعكاسا بما يغلي به الواقع الاجتماعي للجماعة ، فيصور العلاقات الاجتماعية التي ينشغل بها الناس ، و يصور القوى التي تسبب لهم الضر ويصور الروابط التي تؤلف بينهم ... كما يبن ما هو الجديد وما هو المتحرك و الناهض بين الناس في المجتمع "[3].

وكتاب جمعية العلماء لم يكونوا بمعزل عن واقع مجتمعهم ، ولا وضعوا أنفسهم في أبراج عاجية ليتناولوا قضاياهم بنظرة الفوقي أو المتعالي ، إنما كانوا أعضاء في الجماعة متأثرين بالأحداث الدائرة حولهم ، مشاركين في كل ما يهم وطنهم ، إذ لم يكد يمر حدث إلا وساحت أقلامهم حبرا وفكرا مشخصين الداء و العلة طارحين سبل العلاج لهذا الواقع المريض، كاشفين الواقع بأسلوب صريح ولغة معبرة بألفاظها ودلالاتها ، فهذا الشيخ الطيب العقبي يشرح حال الطرقية في الجزائر فيقول "لقد أوغل رؤساء البدع وأئمة الضلال منهم في إرهاقهم للأمة واستغلالهم الجمهور المستعبد لهم و المسخر لشهواتهم باسم الدين ، و لم يقفوا في استثمارهم لجهوده وامتصاص دمه ... فكان من حقه أن يستفيق ويحاول التملص و التخلص من براثن أولئك المفترسين و الطواغيت المعتدين ومن أظلم ممن يحاول إبقاء الأمم و الشعوب خاضعة لسلطة غيه و سلطان جوره و بغيه، دون أن تنتبه في يوم من الأيام "[4].

---

[1]- د/ عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ : قيم جديدة للأدب العربي القديم و المعاصر ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، ط01 ، 1966 ، ص 275.

[2]- د/ محمد عباس : البشير الإبراهيمي أديبا ، ص 341.

[3]- سيدني فينكلشتين : الواقعية في الفن ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مراجعة : د/ يحي هويدي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، بيروت ، ط01 ، 1981 ، ص 11-12.

[4]- أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، بوزريعة ، 1991 -1992 م ، ص 450.

وهذا ما كان فعلا واقعا يحياه الجزائريون ، فقد غالت الطرقية في تخدير هذا الشعب وسحبه إلى الركود والتصوف السلبي الذي يجعل من الإنسان مجرد كائن محلق في غياهب غيبيات لا تصنع من الفرد سوى جثوما على أبواب الضلال .

ولقد كان وعي العقبي بواقع مجتمعه عميقا ، إذ وإن كان قد اعتبر أن الطرقية هي أحد أشكال الاستعمار ، فإنه خلال الأربعينات قد غير من نظرته ، و لم يبق للعقبي اللهجة الحادة التي عرفها خلال العشرينات و الثلاثينات ،"ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى التعرف العميق للعقبي على التركيب الاجتماعي و الديني للجزائريين ،هذا إضافة إلى انتشار صدى الحركة الإصلاحية و تهذيب الأفكار الضالة و تقليص أعمال الشعوذة ... قد يكون للطابع السياسي الأثر الواضح في أسلوب التعامل لدى العقبي الذي أصبح يبحث عن التكتل المناصر له ، لأن مرحلة الأربعينات اتسمت بالصراع السياسي أكثر من اتسامها بالصراع الديني مثلما كان الشأن خلال الثلاثينات "[1].

فوعي العقبي بالواقع الذي آل إليه الحال في الساحة الجزائرية ، هو الذي جعله يخفف من لهجته إزاء القضية التي كتب عنها طويلا ، فكان بحق واقعيا بعيدا عن المثالية.

كما أن العقبي وحينما ازداد الصراع بين جمعية العلماء بصفتها قوة تجديد وإصلاح، وبين رجال الطرق و الزوايا ، ووصل التصادم أوجه بعد انفصال جمعية علماء السنة ، زاد العقبي في هجوماته على معارضي فكرة الإصلاح وفضح معتقداتهم و سلوكاتهم المنافية لصحيح الدين ؛ فكتب يقول :" لا تحسبوا أيها الجاهلون و الأغرار المخدوعون أن محبة الأولياء والصالحين ، هي تقديس تلك القبور التي بنوا عليها المساجد واتخذوها آلهة من دون الله أو مع الله ؛ ولا احترام الأحجار التي نسكوا لها النسائك وقربوا لها القرابين بدعوى أنها تتصرف في الكون وتعطي وتمنع و تضر وتنفع، ولا تعظيم تلك الأشجار بإلقاء الخرق عليها و إيقاد النار لتبخيرها بطيب البخور وإسراج الشموع حواليها واجتماع النساء والرجال في حالة تمجها الطباع وتنفر

[1]- أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ص 450.

منها الأذواق ، ولدبها مع ما يتبع ذلك ويصحبه من ضرب الدف والبندير والشر المستطير والفساد الكبير "[1].

وقد أفاد رجال جمعية العلماء المسلمين من محيطهم وواقعهم بكل معطياته تأثرا و تأثيرا ، ذلك أن " أي عمل إبداعي إنما يأتي على أساس عملية تحضير وإعداد طويلة تشترك فيها كل الخبرة السابقة للفن والفنان نفسه وعلاقاته المتبادلة مع من حوله وما حوله من الناس ، ومع العالم بأسره ، و بالمثل فإن عملية إدراك العمل الفني لا تحدث كظاهرة منفصلة عن التاريخ أو كواقعة معزولة خاصة بصاحبها فقط "[2].

وقد عالج أدباء جمعية العلماء الأحداث التي ألمت بالشعب الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية إذ لا يخلو عدد من صحائفهم من قضية من قضايا الإصلاح ، يقول الشيخ الطيب العقبي قضية تعلم اللغة العربية و الفرنسية معا " إذا كان من واجبنا الديني المحتم علينا تعلم اللغة العربية ، لغة القرآن وآداب الإسلام و تعاليمه السامية فإن من مصلحتنا وفائدتنا الدنيوية أيضا أن نتعلم لغة دولة البلاد و حكومتها السياسية إذ بها لا بغيرها نستطيع أن نعبر للحكومة عن مطالبنا و مقاصدنا وبها نتمكن من المفاهمة معها في نيل حقوقنا "[3].

ويعلق كمال عجالي على قول الطيب العقبي فيقول "... فهو كان واقعيا في طرحه وتصوره ، يرى أنه كان على المسلم من واجبه أن يفهم أحكام دينه فلا يتأتى له ذلك إلا بمعرفة اللغة التي جاء فيها والقالب الذي فيه تشريعا له ، فمن المحتم عليه كذلك أن يعرف اللغة التي تستدعيها حياته اليومية "[4].

وقد عكست كتابات أدباء جمعية العلماء المسلمين عمق حياة الشعب الجزائري وآماله وآلامه في فترة معينة في التاريخ الحديث ، وذلك أن فن المقال ، هو فن واقعي يأخذ من حياة

---

[1]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 482.

[2]- د/ عبد العزيز شرف ، فن المقال الصحفي في أدب طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986 ، ص 92.

[3]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 483.

[4]- المرجع نفسه ، ص 483.

الشعب مادته " فالمقالة تأخذ من هذا القسم مادتها الأقوى وهي تسمح من وراء روح فترة معينة في المجتمع ، بالرقي إلى الحقيقة العميقة و الخالدة للعبقرية الوطنية "[1].

[1]- نخبة من الأساتذة : الأدب و الأنواع الأدبية ، ترجمه عن الفرنسية الطاهر حجار ، دار طلاس ، دمشق ، 1985، ص 214..

المبحث الثاني :

الإنسانية و الشمولية

لقد دأب الدارسون في مضمار الأدب الجزائري على عد النتاج الأدبي لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من قبيل الأدب الديني الإصلاحي الذي يعتد بركائز الدعوة والإرشاد والوعظ ،أو جابهوه بمقاييس الفن النقدية التي تتمثل الأسس الفنية و الأسلوبية كدعامة لرؤيتها للأدب من غير الخوض في الأبعاد الإنسانية و الحضارية –بمفهومها الشامل –لهذا النتاج ،فوسمت ما أنتجته قرائح أدباء جمعية العلماء بوسم "أدب إصلاحي" أو" ديني"مبتعدة بذلك عن القيمة الحقيقية للأدب "الإنسانية "و "الشمولية".

ولا ينكر أحد ما لتأثير العقيدة في أدب جمعية العلماء ،ذاك الأدب الذي إنما استمد إنسانيته"من التصور القرآني للحقيقة الإنسانية،تلك الحقيقة التي احترمت الكائن البشري،وأولته الدرجة الأولى من الكرامة وأوضحت للناس أجمع أن بني الإنسان من طينة واحدة ،و أن هذه الطينة أو تلك الطبيعة تتساوى فيها جميع الأجناس"[1].

والعقيدة إنما صرحت بكرامة الإنسان ، كما عبرت "عن أصل الطبيعة الإنسانية الواحد وعن أرومتها المتحدة التي استند إليها في دعوته إلى التعاطف والتراحم والمحبة، والأخوة فخاطب بني آدم كافة بهذا النداء العميق الذي يتوجه إلى فطرة كل كائن من الكائنات الناطقة"[2]. وفي هذا قال عز وجل﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [3].

وكان هدف الشيخ عبد الحميد بن باديس من نهضته التربوية الفكرية نشر المحبة بين تلامذته وليس التعصب والكراهية ، وكل ذلك مستمد من الرؤية الشمولية للعقيدة الإسلامية

---

[1]– د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، مجلة الأصالة ، س2 ، ع7 ، ربيع الأول 1392 ه ، / ماي 1972م ، ص 39.

[2]– المرجع نفسه ، ص 39.

[3]– سورة النساء / الآية 01.

السمحاء ، وبذلك يكون الشيخ "قد ارتفع بالواقع بهذه لروح العالية فوق كل اعتبارات الجنس و المعتقد "[1].

وهذه هي الإنسانية والشمولية التي لا تعرض للصراعات المادية أو الاثنية أو المعتقدية، وتهمل الحقائق لمعنوية والقيم الأخلاقية والنوازع والتطلعات الإنسانية العليا، إنها تعرض للإنسان إنطلاقا من " صوره الكاملة بمادياتها و معنوياتها وقيمها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ، مترابطة ممتزجة كما هي في حقيقة الواقع ،مؤثرة كلها بعضها في بعض ...مع إبراز القيم الروحية و المعنوية لأن بروزها ذلك حقيقة كونية متصلة بصميم فطرة الكون المتجه بروحه إلى السائر على هداه"[2].

وبما أن الإسلام يحترم الإنسانية في جميع أجناسها و أوطانها و يدعو إلى التعاطف والتراحم ويقر التضامن الإنساني ، فان ابن باديس يتخذ خدمة الإسلام خدمة للإنسانية برمتها و ليس فقط للجزائريين وحسب ،وبذلك ترفع من مستوى المفهوم الضيق للوطنية والقومية و المحلية ليحلق في رحاب فضاءات الإنسانية .

ولو ألقينا نظرة فاحصة لجهود الرجل و اتجاهاته الفكرية في ظل تصارع قطبي الثقافة في الجزائر إبان عهد الاحتلال ، هذا الصراع الذي كان بين الفئات النخبوية للأمة ، الطائفة المتمسكة بالتراث اللغوي و الديني ، والأخرى التي اتخذت من ثقافة الآخر /المحتل ولغته وسيلة وغاية في آن واحد، الشيخ يقف موقف الفاحص لهذا الصراع و المدقق في احتدام الجدال بين الفريقين ، فيصور هؤلاء وأولئك و نظرة كل طائفة إلى الأخرى فيقول" هؤلاء يعتبرون الآخرون أحجارا ....وأولئك يعتبرون هؤلاء كفارا"[3].

فترع في فكره وتوجهه بين هؤلاء وأولئك نزعة إنسانية، فاعتبر خدمة الوطن والأمة سبيلا طبيعية لخدمة الإنسانية قاطبة لأنه لا يمكن في نظره أن نخدم الإنسانية ما لم نخدم أوطاننا وشعوبنا، فقال ابن باديس :" إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها والحدب عليها في جميع

---

[1]- د / رابح تركي : ابن باديس ، فلسفته و جهوده ... ص 277.

2-محمد قطب : مناهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 5 ، 1401 ه / 1981 ، ص 128.

3- عبد الحميد بن باديس : الآثار ج171/1

أوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو مانقصده ونرمي إليه، ونعمل على تربيتنا وتربية من إلينا عليه ، ولكن هذه الظاهرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة فوجدت التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة وإيصال هذا النفع"[1].

وابن باديس في مذهبه هذا إنما يستمد أصوله من نظرة العقيدة الإسلامية إلى الإنسان وإلى حقيقة الإنسانية التي احترمت الكائن البشري وأولته الدرجة الأولى من الكرامة والتي في ظلها يعتبر البشر بجميع أجناسهم سواسية ، يقول النبي صلي الله عليه وسلم : كلكم لآدم وآدم من تراب " [2] ، وقد كرم الإسلام الإنسانية وأجلّها، وصرّح القرآن بهذه الكرامة تصريحا واضحا جليا، إذ قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [3]، كما" عبر القرآن عن أصل الطبيعة الإنسانية الموحد وعن أرومتها المتحدة التي استند إليها في دعوته إلى التعاطف والتراحم والمحبة والأخوة، فخاطب بني آدم كافة بهذا النداء العميق الذي يتوجه إلى فطرة كل كائن من الكائنات الناطقة"[4].

فالخطاب القرآني حينما يشير إلى الإنسانية إنما يقصد البشر جميعا دون استثناء، فلا اللون يصنع الفرق ولا العرق ولا اللسان، بل إن القرآن في تكريمه للإنسان حرم كل جور قد يتعرض الإنسان من لدن أخيه الإنسان ، فقد ورد عن النبي صلي عليه وسلم أن الله تعالي قال "قل يا عبادي إني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"[5]،وقال النبي صلي الله عليه وسلم "الظلم ظلمات يوم القيامة "[6].

ومضى الإسلام في تكريمه للإنسان إلى عد الإعتداء علي الفرد اعتداء على البشرية قاطبة،كما أنّ إحياء فرد إحياء للحقيقة كلها ، يقول عز من قائل ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ

---

[1]- د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، مجلة الأصالة ، س2 ، ع7 ، ص 3.

[2]- من خطبة الوداع على جبل عرفة.

[3]- سورة الإسراء/ الآية 70

[4]- د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، مجلة الأصالة ، س2 ، ع7 ، ص39.

[5]- حديث قدسي.

[6]- متفق عليه .

أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [1]. بل إن الإسلام لما احترم الإنسانية،احترم كل ما يتصل بها من حريات، بما فيها حرية العقيدة والتفكير ، يقول الله تعالى﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ [2]، كما دعا الإسلام إلي التعايش بين عقائد الناس، وشرائعهم ، وشرع لمفهوم الاختلاف ونبذ التصارع، إذ يقول عز وجل :﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [3].

كما شرح القرآن مبدأ العدل ولو مع العدو، إذ شرع العدل مع العدو والإنصاف لذي الحق مهما كان، يقول الله تعالى ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ﴾ [4].،كما شرع الحوار مبدأ اجتماعيا و أخلاقيا وحضاريا ، يؤصل لمفهوم الحوار الإنساني والتواصل الأخلاقي بين البشر، حوار يشوبه حسن التخاطب ولطافة النقاش، بعيدا عن التطرف والتعصب واحتقار الآخر والانتقاص من شأنه ، إذ يقول تعالى ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [5].

فالإنسانية في نظر القرآن أسرة واحدة على تعدد أبنائها وتعدد أقسامها وشعوبها وقبائلها، واختلاف لغاتها وألوانها ، وفي هذا التعدد حكمة بالغة تجعله من أقوى الأسباب لإحكام صلة التعارف بينها وتنوع المساعي والأساليب لإعمار الأرض واستنباط أدوات الصناعة لما ينجم عنه تعدد الحضارات وأفانين الثقافة والكشف عن أسرار الطبيعة .

وبهذا فإن القرآن قد وضع الإنسان في موضعه الصحيح حين جعله كأفراد أسرته الإنسانية ' ابن ذكر و أنثي ' وأنه ينتمي بمختلف شعوبه وقبائله إلي هذه الأسرة البشرية التي لا فضل

---

[1]- سورة المائدة / الآية32.

[2]- سورة الكافرون ، الآية 06.

[3]- سورة المائدة / الآية 48.

[4]- سورة المائدة / الآية08.

[5]- سورة البقرة / الآية 83.

فيها لأحد علي أحد إلاّ بالتقوى والعمل الصالح ، إن نشأته الآدمية كما وردت في القرآن الكريم هي طريق الحياة من الأرض إلى السماء أو هي طريق الكائن الحي من المادة الصماء إلى الخلاق الحكيم [1]

وهكذا فهم ابن باديس أصول المذهب الإنساني الإسلامي وحللها فيما كتب، وفيما شافه به أمته ، وانتهى في تصويره للحقيقة الإسلامية إلي القول بأنها حقيقة دينية إنسانية ، فقال:"علمنا أنه دين الإنسانية ... فإذا عشت فإني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها في جميع أجناسها وأوطانها وفي جميع مظاهرها عاطفتها وتفكيرها "[2].

وهكذا هي رسالة الأدب الإسلامية روحا ومنبعا ، رسالة توجه الأدب نحو الإنسانية جمعاء ، أي أن الأدب" قد يكون موجها لبني الإنسان في لغاتهم المختلفة ، وذلك بسبب أن الإسلام هو دين البشرية جمعاء، والناس في نظره سواء دون نظر للإقليمية أوالقومية"[3].

والأدب الإسلامي أدب إنساني لأنه يؤمن الخير أصيل في حياة الإنسان ، وأن غلبة الشر مؤقتة ، وبأن النصر سيكون للقيم الإنسانية الخيرة، وعلى رأي الأستاذ نجيب الكيلاني ، فـــ"عالم الأديب المسلم ليس حكرا علي النماذج أو الشخصيات الملائكية ، إنه عالم يغص بالآحاد أو المجموعات المتنوعة المتميزة ، تماما كمسرح الحياة الذي يزخر بالصالح والطالح والملائكة والشياطين والعصاة والتقاة ، هو عالم تحضره التفاعلات والصراعات ، والغلبة فيه للقيم العليا، والانتصار المؤقت لبعض القوى الشريرة ليس هو القاعدة بل الاستثناء، ويكون ذلك عادة وفق قوانين أزلية وشروط كونية وردت مفصلة في مرجع المسلمين الأول وهو القرآن الكريم "[4].

وهذه الإنسانية في الأدب الإسلامي أنما هي " تصور فكري في تعبير أدبي ، لا يقف عند حدود الإستعانة المباشرة أو غير المباشرة بمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وإنما نلمسها في التمييز الذي أراده الإسلام لأدبه وأدبائه في التعبير عن صدى القيم في النفس تعبيرا

---

[1]- عباس محمود العقاد : الإنسان في القران الكريم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا، د ط ، د ت ، ص3

[2]- د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، مجلة الأصالة ، س2 ، ع7 ، ص 43.

[3]- د / عبد الرحمان الساريسي : مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 1424ه / 2003م ، ص63.

[4]- أبو بكر بن مصطفى : البعد الإنساني في روايات نجيب الكيلاني ، ص 46.

حيويا منبثقا في التصوير الإسلامي "[1]. ، تصور إنساني شامل متكامل لا يقف عند حدود الجني أو اللسان ، أوحته العقيدة والفكر والتصور .

وهكذا آمن ابن باديس بالإنسانية وبالوطن الإنساني الذي لا تحده حدود الجغرافيا والعرق واللسان ،ف "أحب ابن باديس الإنسانية وبغض من يبغضها أو سولت له نفسه أن ينال من كرامتنا ، و عبر لنا عن هذه النزعة الإنسانية القائمة على الحب في صورة واضحة واقعية فسها تأكيد لهذا المعنى و الإلحاح في الإبانة عنه فقال "أننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ، ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها و نبغض من يبغضها و يظلمها".

فليس هناك في نظره تناقض بين حب الوطن و حب الإنسانية ، بل أنه رد على أولئك الذين ينكرون الأوطان الخاصة لأنها بزعمهم ضد إنسانيتهم ، فالإنسان فيما يرى ابن باديس إذا أحب وطنه وغذى عقله بالمعرفة السليمة فانه يشعر بالحب العميق لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية ، و كانت الأرض كلها وطنا له و هذا هو وطنه الأكبر"[2]،وهذا ترتيب طبيعي لا طفرة فيه و لا معدل عنه ـــ كما يرى الأستاذ طالبي ـــ فلا يعرف و لا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف واجب الوطن الأصغر [3]

وكذا ديدن الإسلامية في الأدب ، فالأدب الإسلامي المعبر عن روح الإسلام الحقة "لا يحب هذا التمزيق المشوه لكيان البشر وكيان الحياة ،بل يجب أن يعرض الحياة البشرية شمولها المتكامل الذي يشمل كل جوانب النفس الإنسانية الفاعلة في هذا الوجود المنفعلة به، المتصلة دائما وراء حواجز الحس القريبة الأصيلة بفطرتها إلى الوجود الكبير"[4]

فالإسلام دين إنساني ، عام ، أو دين عالمي ، يخاطب الأمم جميعا فلا يفرق بين أمة و أمة بفارق الجنس أو اللون أو اللغة ، فكل إنسان في جوانب الأرض أهل لأن يأوي إلى هذه الأخوة الإنسانية حيث يشاء و حين يشاء ، و القرآن الكريم يعلن دعوته عامة"يا أيها الناس"

---

[1]- د/ مصطفى عليان : مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ، دار المنار للنشر ، جدة الملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1405ه / 1985م ، ص12

2- د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، مجلة الأصالة ، س2 ، ع7 ، ص 43.

[3]- المرجع نفسه ، ص 43.

[4]- محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ص 143

و"وما أرسلناك إلا للناس كافة" بدعوة صرح بها منذ أربعة عشر قرنا .

وهكذا أعلنها النبي ـــ صلا الله عليه وسلم ـــ و خلفاؤه الراشدون من بعده ، وتابعهم الأبرار في صدر الإسلام و لم يمض ربع قرن من التاريخ حتى قامت بينات الواقع على حقيقة هذه الدعوة الإسلامية الإنسانية ، فدان بالدين الجديد أناس من جميع الأقوام والسلالات،و لم تنقض على الهجرة ثلاثة قرون حتى كان في عداد المسلمين ساميون وآريون وحاميون وطورانيون ، عرب و فرس ، ترك وهنود وصينيون و إفريقيون من السود والأثيوبيين وهذه هي البنية العلمية الواقعية على "عمومية" ينفرد بها الإسلام بين الأديان الكتابية[1].

هذه المزية ـــ كما يقول العقاد ـــ ينفرد بها الإسلام بين جميع الديانات ، وهي آية العالمية والصلاح لدعوة الأمم جمعاء ، سواء منها الأمم العريقة في الحضارة والدين أو الأمم التي لم تبلغ مبلغ الارتقاء في التحضر والاعتقاد.

وقد فهم رجالات جمعية العلماء رسالة الإسلام على حقيقتها، تلك الرسالة الإنسانية الشاملة التي تقف عند حدود الجغرافيا ، ولا تعترف بفوارق الجنس والعرق ، ولا تتهشم عند مضايق اللغة أو الوطن في محدودية مفهومه وخصوصية تعريفه ، فهذا الشيخ عبد الحميد ابن باديس نجده قد " أنكر على أولئك الذين يسمهم بالأنانية لا يعترفون الآ بالوطن الضيق، كما أنكر على الذين يضربون بالأوطان الأخرى في سبيل وطنهم الكبير، وهؤلاء عنده شر وبلاء على البشرية جميعا ، ونعى أيضا على الذين لا يعترفون إلا بالوطن الأكبر وضربوا صفحا عن الوطنيات و الأديان ، و كأنه يقصد بذلك الشيوعيين الذين يصفهم بأنهم عاكسوا الطبيعة"[2].

إن الوطنية مطلوبة ، و لكنها لا تسيطر على الوجدان حتى لايعدوالفرد على غير جغرافيته وانتمائه، فـــ "الوطنية الإسلامية في نظره هي الوطنية التي لا تعترف بالوطنيات كلها و تنزلها منزلتها غير عادية و لا معدو عليها ، وترتبها ترتيبها الطبيعي حيث تبني كل واحدة منها على ما قبلها وتعتبر دعامة لما بعدها و الإنسان هو الذي يجد صورته في وطنه الصغير كما يجدها في أمته ووطنه الكبير وأخيرا يجدها في الإنسانية فالوطنية الإسلامية تحافظ على الأسر وجميع

---

[1]- عباس محمود العقاد: الإسلام و الحضارة الإنسانية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، د . ط ، د . ت ،ص 182

[2]- د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، مجلة الأصالة ، س2 ، ع7 ، ص 43.

مكوناتها و على الأمة بجميع مقوماتها وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها"[1].

فالوطن عند الشيخ" ليس قطعة من الأرض أو كومة من تراب ، انه كيان من البشر المسلمين الذين يعيشون فيه (نحن الجزائر ، و ما الجزائر الآ الجزائريون)"[2]..أما الأمة فهي" كيان إنساني إسلامي أقوى مقوماته و اخص خصائصه الإسلام، و ليس مجرد تميز عرقي... والعروبة والعربية عنده ملتحمتان مع الإسلام لا تنفكان عنه، وحاجز متين يحول دون "التذويب" الثقافي الذي تستخدمه فرنسا ليظاهر الإدماج السلبي "[3].

وفي هذا الصدد يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس "إن خدمة الإنسانية في جميع مظاهر تفكيرها و نزعتها هو ما نقصده و نرمي إليه و نعمل على تربيتنا و تربية من إلينا عليه ، ولكن هذه الدائرة الإحسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها ، فيقول ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [4]... فلما عرفنا هذا أو أكثر من هذا الإسلام ، وهو الدين الذي فطرنا الله عليه بفضله , علمنا انه دين الإنسانية التي لا نجاة لها و لا سعادة إلا به وإن خدمتها لا تكون إلا على أصوله و إن إيصال النفع إليها لا يكون إلا عن طريقه ، فعاهدنا على أن تقف حياتنا على خدمته و نشر هدايته ... فإذا عشت له فاني أعيش للإنسانية ، لخيرها وسعادتها في جميع أجناسها وأوطانها ، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها، وما كنا لنكون هكذا إلا بالإسلام الذي ندين له ونعيش له و نعمل من اجله ... أما الجزائر ف هي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص ، وتفرض على تلك الروابط لأجله ـــ كجزء منه ـــ فروضا خاصة ، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة ... وما مثلنا في وطننا الخاص، وكل ذي وطن خاص، إلا كمثل ذوي بيوت من قرية واحدة فبخدمة كل واحد بيته تتكون من جميع البيوت قرية

---

[1]- د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، ص 43.

[2]- د / محمد فتحي عثمان : عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة ، دار القلم ، الكويت ، ط 1 ، 1987 ، ص 100.

[3]- المرجع نفسه ، ص 100.

[4]- سورة الإسراء الآية 70.

سعيدة راقية... فنحن إذا كنا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها ولا للأضرار بسواها معاذ الله ..."[1].

وهكذا تكون المشاعر القومية مرتبطة دائما بالمشاعر الإنسانية عند ابن باديس ، وكلاهما مرتكزة على العقيدة الإسلامية ، ف "كتب رحمة الله في مجلة الشهاب (ج7/م12) بعددها الصادر في رجب 1356 هـ/سبتمبر 1937 مقالا تحت عنوان الوطن والوطنية جاء فيه " ....فالإنسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يري من حاجته إليهم واستمداد بقائه منهم، وما البيت إلا الوطن الصغير ، فإذا تقدم شيء في سنه اتسع بيته أفق حبه وأدت تتسع دائرة وطنه.....فإذا أغذي بالعلم الصحيح شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية وكانت الأرض كلها وطنا له.."[2]

فالإنسانية كما يراها الشيخ إنسانية شاملة لاتقضي ولا تزدريه ، وتلك هي الوطنية الإسلامية وهي الوطنية التي يصفها الشيخ فيقول :" وهذه هي وطنيتنا معشر المسلمين الجزائريين الأفارقة ، ووطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته .."[3] ، ثم إن الشيخ يختم مقاله ببيتين في الشعر يبث فيهما مشاعره نحو الجزائر والعروبة والعربية ونحو الإنسانية كافة ، وهي مشاعر ترتكز كلها في أصولها وجذورها ودعائها علي الإسلام وحده:

أشعب الجزائر روحي الفدا لما فيك من عزة عـــربـــية

بنيت علي الدين أركانـــــها فكانت سلاما علي البشرية[4].

وهذا هو الإسلام ،دين متفرد بكل عمقه وامتداده ، بكل شموله وتوازنه ، بكل استجابته لمطالب الإنسان العقلية والجسدية والروحية والوجدانية والحسية ، وبكل واقعيته التي تعرف

---

[1]- من مقال له بمجلة الشهاب ، ج 10 ، م 12 ، غرة شوال 1355ه / يناير 1937م.نقلا عن د / محمد فتحي عثمان : عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة ، ص 103.

[2]- المرجع نفسه ، ص 104.

[3]- المرجع نفسه ، ص 104

[4]- المرجع السابق ، ص 104.

وتتعامل مع الإنسان من حيث أنه(إنسان) ، مخلوق فريد وكائن متميز مكرم ، دون حكم بالنفي أو التجاهل أو الإعدام علي هذه المساحة أو تلك من تكوينه المعقد المتشابك[1].

و لم يكن أدب جمعية العلماء – في كثير من أبعاده – بمعزل عن هذه الرؤية الشمولية للأدب الإسلامي ،فقد " أوضح لنا ابن باديس أنه يهدف إلي التزيب بين جميع عناصر الإنسانية ويجاهد من أجل ذلك ويحترمها رغم اختلاف الأديان والأجناس ،وربط ذلك كله بصفته إنسانا مسلما (أنا مسلم أدين بدين الأخوة الإنسانية وأحترمها في جميع أجناسها أدياها وأسعى للتقريب بين جميع عناصرها وأجاهد فيها هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك وهو العدل والتناصف والاحترام " [2]

وبما أن ابن باديس يعتبر من المربين الممتازين ، فإنه بنى عمله التربوي علي المحبة وعلي زرعها في القلوب التي أراد أن يثبت في أعماقها حب الإنسانية بجميع أجناسها وأدياها ، وأن يعلما الأخوة الإنسانية ، ووصف نفسه بأنه زارع محبة فقال : " أنا زارع محبة و لكن علي أساس العدل والإنصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان ومن أي دين كان ، فاعملوا للأخوة ولكن مع من يعمل للأخوة ، فبذلك تكون الأخوة صادقة" [3]

وقد كان إلحاح ابن باديس علي العدل والإنصاف والإحترام المتبادل نابعا من إيمانه بالإنسانية التي يرسمها الدين الإسلامي ، إنسانية تترفع عن الحدود الوضعية لمفهوم الوطن ومفهوم الأمة ، وقد نظم ذلك الشعر فقال [4]:

قومي هم وبني الإسلام كلهم عشيرتي وهدي الإسلام مطلبي

---

[1]– د / عماد الدين خليل : الرواية الغربية و العودة إلى الوثنية ، مجلة الأدب الإسلامي ، س 2 ، ع 7، محرم – صفر – ربيع الأول 1416ه / حزيران (يونيو) – تموز(يوليو) – آب (أغسطس) 1995 ، ص 26.

[2]– د / عمار طالبي : النزعة الإنسانية و الجمالية عند بن باديس ، مجلة الأصالة ، س2 ، ع7 ، ص 43.

[3]– المرجع نفسه ، ص 43.

[4]– المرجع نفسه ، ص 44

وهكذا فالإسلام كرم الإنسان و قدر حق قدره " المخلوق المميز الذي يهتدي بالعقل إلي ما يجهل ، وبالإيمان في كشف ما خفي عليه ، وهو أخ لكل فرد من بني آدم لأنهم عشيرته التي لا يمتاز فيها أحد علي أحد في الحقوق والواجبات .."[1]

وهكذا هي رؤية جمعية العلماء للإنسانية ، مفهوم شامل واسع سعة آفاق الرؤية الإسلامية، وذلك ما انعكس جليا في كتاباتهم التي كانت تخاطب الوجدان والضمير الإنساني ، بعيدا عن التعصب أو التطرف أو إقصاء الآخر أو رفضه ، فكان بذلك أدبهم أدبيا إنسانيا واسع الأفق رحب المجال بعيد النظر .

[1]- عباس محمود العقاد : الإنسان في القران الكريم ، ص 04.

الفصل الرابع

جمالية التشكيل الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء

المبحث الأول:

أثر القرآن في أدب المقال عند جمعية العلماء.

القرآن الكريم هو كتاب العربية الأول الذي أعجز الفصحاء وأدهش البلغاء ،فوقف أرباب فن القول أمامه عاجزين ،ومن ثم راحوا يعدونه رافدا بلاغيا مهما يطعم به الأدباء كتاباتهم ويقتبسون منه ليجملوا به تعابيرهم و يحسنوا أساليبهم ،ولا ريب أن القرآن هو الأساس الأول للأدب الإسلامي ،وهو النموذج المحتذى أسلوبا ومضمونا ، وقبل القرآن لم يكن أمام العرب من نماذج فنية راقية سوى نماذج من الشعر وسجع الكهان و الخطب والرسائل التي مثلت المستوى العام الذي وصلت إليه اللغة العربية و الأدب العربي،فلما نزل القرآن قدم أرقى مستوى من مستويات البيان و المضمون معا.

فكان بذلك ارتباط الأدب العربي بالقرآن الكريم ارتباطا عضويا " لا سبيل إلى تجاوزه أو التخلي عنه أو تغييره ،وأن الصيحات التي تعلو في محيط التغريب والمحاولات التي جرت وتجري لفصل الأدب العربي عن جذره القرآني هي محاولة فاشلة"[1] ،فالعلاقة بين الأدب والقرآن علاقة ترابطية ،فالأدب لما له من مكانة قوية استطاع أن يخدم الدين وينوه بتعاليمه ، وفي الآن ذاته جعله رافدا ينهل من تعابير الأسلوب القرآني المعجز وأن يطعم به نصوصه فيزيد جمالا ورونقا أسلوبيا ،ف"القرآن قد استثمر كل الطاقات الكامنة في اللغة العربية و انشأ بين صيغها علاقات جديدة"[2].

فالذي أمد قاموس الأدباء و الكتاب هو القرآن الكريم الذي يتسم بالتنسيق بين عباراته والدقة في تعبيره ووصفه الشيء الذي يجعله أكثر إثارة للذهن والوجدان.

و لم يكن من الغرابة بمكان أن نجد للقرآن الكريم دورا فعالا في توجيه قرائح كتاب الجمعية لما يمتاز به من البيان و السحر والجاذبية ،ولما يتضمنه من معان و أفكار سليمة وتعاليم رشيدة،وفي هذا يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي :"فالقرآن كتاب يحمل في ثناياه دين الله الكامل ،وكل ما سبقه من الكتب و الصحف فهي إرهاصات له وشارات به وإشارات إليه ابتعث به نبيه الأمين محمد صلى الله عليه وسلم لهذا العالم الإنساني كله ...هاديا له إذا ضل،ومصححا لخطئه إذا أخطأ ، ومخرجا له من ظلمات الحيرة إذا التبست عليه مناهج

---

[1]- أنور الجندي : خصائص الأدب العربي ،ص 130 .

[2]- د/شلتاغ عبود شراد : أثر القران في الشعر العربي الحديث ،دار المعرفة ،ط1،1987 ،ص71.

الحياة...ومحررا له من أصناف العبودية الفكرية والبدنية التي تقلب فيها قرونا ،ومرشدا إياه إلى وسائل الكمال التي كان يطلبها فلا يجدها"[1].

ولقد كان القرآن المعين الذي اغترف منه أدباء جمعية العلماء ولجؤوا إليه في كل حين نظرا لما اشتمل عليه من نصاعة البيان وفصاحة القول فاستولى على نفوسهم واستهوى قلوبهم،فراحوا يتلهفون إليه و ينهلون من نبعه، ولقد بلغ من تأثرهم بهذا الكتاب العظيم إلى أن بذلوا كلّ ما في وسعهم من أجل إحياء مدارسته بغية تحقيق نهضة فكرية شاملة، مستثمرين أفكارهم من القرآن نفسه ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتقويم ما لمسوه من ضعف الأمة وتقهقرها.

وكان السعي من التعامل مع النص القرآني و"الاقتباس منه هو زرع الفضائل الأخلاقية وتأكيدها، وهذا راجع إلى الثقافة الدينية التي تشبع بها أدباء جمعية العلماء ونشأوا في محاضنها، فتركت الأثر البليغ في قرائحهم وتعاملهم مع اللغة لإضافة إلى احتكاكهم بحركة زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي التي اتّخذت القرآن الكريم دستورا ونبراسا يبني على أسسه منهاجها الإصلاحي الهادف إلى العودة بالأمة إلى منابع ديننا الحنيف"[2].

ومن مظاهر تأثر كتاب جمعية العلماء بالقرآن هو اقتباسهم لجمل بأكملها من القرآن، لكونها "تفي بالغرض النفسي المرغوب في الكشف عنه، وفي بعض الأحيان يكون ذلك الاقتباس بسبب الإعجاب بذلك النسيج القرآني، ومحاولة محاكاته في أسلوبه، لعل ذلك يكون عاملا مساعدا للإفضاء بما يكمن في صدورهم"[3].

ومن ذلك ما نجده عند الشيخ عبد الحميد بن باديس حينما يتحدث عن غلوّ الصوفية في جعلهم عدم طلب الدنيا من صفات الكمال، فيقول في مقالة "طلب الدنيا وحدها مذموم في الإسلام فيقول: " والمؤمن الكامل من يعرف حقّ ربّه على عباده وما شرعه من حقوق

---

[1]- محمد السعيد الزاهري :الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير،دار الكتاب ،الجزائر،دط،دت، ص40.

[2]- محمد محي الدين : ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه (عيون البصائر نموذجا)، رسالة الماجستير في الأدب العربي الحديث ،جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ،قسم اللغة و الأدب العربي،2007- 2008 ،ص48.

[3]- أثر القران في النثر الجزائري الحديث ،رسالة دكتوراه ،ص136.

بعضهم على بعض، والقيام في كلّ ذلك بذكره وشكره وحبّه والتوكّل عليه والإخلاص له، وأعلى مراتب معرفته في الآخرة هو مقام الرؤية بتجلية الأعلى في جنّات عدن، والاشتغال بذكر الجزاء عن العمل"[1].

ففي النصّ اقتباس واضح من القرآن الكريم في جملة(جنّات عدن)، إذ يقول عزّ وجلّ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾[2].

وهدف الكاتب هنا هو إثبات مقام جنّات عدن، "و في هذه الجنات موضع إقامة خالد ليجتمع شملهم فيها مع الصالحين من آبائهم ونسائهم وأولادهم ليفرحوا بلقائهم ويتمّوا لذلك سرورهم، وإن لم يكونوا يستحقون هذه المنازل العالية لأعمالهم ويكرّمون بجمع أشتاتهم وتلاقي أحبابهم، وهي سعادة ثانية تضاعف سعادة الشعور بالجنان وذلك فضل الله"[3].

كما نلمح أثر القرآن في لغة الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء ذوده عن حياض الإسلام والعروبة في الجزائر ضدّ الفرنسيين الّذين استعمروا البلاد واستعبدوا العباد، ومن حذا حذوهم لطمس المعالم الإسلامية الصافية للأمة، فيقول الشيخ في مقاله: يا لله للإسلام والعروبة في الجزائر، فيقول: "سيرى الّذين دبّروا هذه المكيدة، والّذين لم يتفطّنوا لها فشاركوا في تنفيذها لأنّهم ما أصابوا بهذه المكيدة إلّا سمعة فرنسا بالعالم الإسلامي العربي، في الوقت الّذي تنفق فيه الملايين على تحسين سمعتها فيها ومكانتها عند الجزائريين في أحرج الأوقات، وأشدّ حاجة إلى الأمم المرتبطة بها ولا يحيق المكر السيئ إلّا بأهله، فهل ينظرون إلى سنّة الأوّلين فلن تجد لسنّة الله تبديلا، ولن تجد لسنّة الله تحويلا"[4].

---

[1]- ابن باديس : حياته و آثاره ،جمع و دراسة عمار طالبي ،ج54/3.

[2]- سورة الرعد ،الآية 23.

[3]- سيد قطب : في ظلال القرآن ،دار الشروق ،القاهرة ،2005 ،ج4 ،ص 2058.

[4]- ابن باديس : حياته و آثاره ،جمع و دراسة عمار طالبي ،ج245/3.

الكاتب يقتبس هنا من قوله تعالى﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[1].

ويقصد الكاتب هنا في هذه الآية التي لم يجد في قاموسه ما يكفي ليعبر به عن الواقع وما يفي بالغرض الذي ينشده إلا بأسلوب هذه الآية ،التي يقصد من خلالها أن من يرغب في التنكيل بغيره و تسليط المكاره عليه ،فانه لا محالة عائد عليه بالوبال ،لأن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ،نتيجة عدم إيمانهم بسنن الله التي يجب الالتزام بها ،و الخروج عن ذلك يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ،مثل ما هو واقع للأمم السابقة عليهم ،والتي سلط الله عليها العذاب و الهلاك بسبب كفرها وتكذيبها للرسل كعاد و ثمود ،لأن أحكام الله في هذا الوجود لا يحدث لما تبدل ولا تحول ،وليس بإمكان أي كان من تغيير ما أقره الله على خلقه [2].

كما أننا حينما نطلع على مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي نجد أثر القرآن فيها واضحا،لفظا وأسلوبا ،وذلك لأن الشيخ تربى في بيئة قرآنية ،إذ"تربى الشيخ البشير الإبراهيمي في بيئة يشكل القرآن الكريم فيها حجر الأساس في الحياة الاجتماعية و الثقافية وتشبع به حفظا وتلاوة ،وكان أول ما وعته ذاكرته شأنه ذلك شأن كثير من العلماء وتغلغلت تعاليمه وقيمه الربانية في فكره ووجدانه ،وزاد من هذا الشغف به والتمسك به الواقع السياسي الذي كانت تعيشه الجزائر تحت وطأة استعمار استيطاني احتل الأرض ونهب خيراتها و استعبد أهلها وعمل على تكريس هيمنته بمحاربته لمقدسات أهلها وصرفهم بشتى الوسائل عن دينهم ولغتهم العربية"[3].

فالإبراهيمي وحينما يعالج الواقع الذي أحدثه الاستعمار الأجنبي من تمزق و تفرق في المجتمعات العربية و الإسلامية عامة و الجزائر بخاصة ،يقول في مقالة "فلسفة الإصلاح الدّيني"،:"وقد انقرضت تلك الفرق و انقرض بانقراضها سبب جوهري من أسباب التفرق،بل

[1]- سورة فاطر ،الآية 43.

[2]- أثر القرآن في النثر الجزائري الحديث ،رسالة دكتوراه ،ص 138.

[3]- محمد محي الدين : ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه ،ص 48.

مات بموتها شاغل طالما شغل طائفة من خيرة علماء المسلمين ببعضهم و جعل بأسهم بينهم شديدا ،و ألهاهم بما يضر عمّا ينفع "[1].

فجملة " بأسهم بينهم شديد"مقتبسة من قوله جل وعلى ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ [2].

فالعلماء اختلفوا فيما بينهم و تعارضوا و ذهبوا إلى التفكير فيما يضرّ ولا يهتدون إلى ما ينفعهم و ينفع الناس جميعا.

ويقول الشيخ كذلك في موضع آخر من مقالة "فصل الحكومة عن الدين " الذي دافع فيه عن الدين الذي كان ملاحقا من قبل الاستعمار الفرنسي الذي حل بالبلاد لكي يطمس الهوية العربية الإسلامية ،وتبديله بالدعائم التي تثبته و تقوي كيانه في الجزائر من مثل الفرنسة والتنصير ،وفي ذلك يدعو القضاة إلى الإنصاف في الحقوق و ألا يتعاونوا مع الاستعمار فيما يخص نصرة الحق الذي ينشدونه ،وأن لا ينساقوا وراء أهداف الاستعمار الذي يؤدي بهم إلى الخزي ، فيقول :"إننا نريد لقضائنا حرمة و مكانة ،ونريد لرجاله سمعة ومنزلة، ونغار عليها وندافع عنها بحمية وحماسة ، ونطالب بإصلاح القضاء ثم استقلاله،ونرى أنه لا عزة لأمة إلا بعزة قضائها وقضاتها،ولكن بعض القضاة كانوا بأقوالهم وأعمالهم عونا علينا ،وكانوا مع الإستعمار إلبا على مطالبنا ،وكأنهم ضمنوا لأنفسهم الخلود في هذه الوظائف المهنية ،فاطمأنوا لهذه (الخبزة) الذليلة ،وذاقوا وبال أمرهم حين يموا الخسف بالأمس ،وحملوا على خطة الهوان فلم يجدوا وليا ولا نصيرا"[3]

إذ يقتبس الكاتب في هذا النص من القرآن جملتين هما "فذاقوا وبال أمرهم "،وذلك من قوله تعالى ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[4].

---

[1]- البشير الإبراهيمي :الآثار ج1، ص 97.

[2]- سورة الحشر : الآية 14.

[3]- البشير الإبراهيمي :الآثار ج3 ص 244.

[4]- سورة التغابن ،الآية 05.

وكذلك قوله تعالى "لا يجدون وليا ولا نصيرا" وهي مقتبسة في سياقها من الآية الكريمة التي يقول فيها عزوجل ﴿ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾[1].

فهؤلاء القضاة "سيأتي يوم يندمون فيه حين لا يجدون من يتولى أمرهم بالحفظ والرعاية، ولا من ينصرهم من عذاب الله"[2].

وأيا من كان الموضوع الذي يعالجه الإبراهيمي بقلمه وبيانه في التوجيه والإصلاح أم في التربية والتعليم أم في السياسة والاجتماع أم في الأدب والنقد أم في غير ذلك من القضايا التي يزخر بها أدبه ،فهو ينهل من القرآن الكريم عبارات وصيغا وألفاظا تأخذ مكانها المناسب في مجرى السياق فتنصهر مع الموضوع انصهارا وتندمج في إطاره بلا نبو ولا خلل مما يجعل من الصعوبة بمكان –أحيانا–أن ينتبه إليها من ليس له إلمام بأساليب القرآن الكريم وبيانه . فعندما يتطرق الإبراهيمي إلى موضوع له صلة بالمقدسات الإسلامية و التاريخ الإسلامي ،وما إلى ذلك من القضايا ،نجد أسلوبه يتدفق ممزوجا ومصبوغا بصبغة دينية للقرآن الكريم فيها حضور كبير"[3].

وإننا إذا رحنا نستقصي أثر القرآن الكريم في أدب المقال عند الشيخ البشير الإبراهيمي لوجدناه يمثل النسبة الكبيرة من الروافد التي غذت أسلوب الإبراهيمي ،يتجلى ذلك في أشكال مختلفة أشدها ظهورا الاستشهاد منه أو الاقتباس منها وتتدرج في الخفاء لتأخذ شكل و مفاهيم وقيم أو صيغ وعبارات و ألفاظ أو نغمات وإيقاع ،حيث يتجلى فيها روح القرآن ساريا يشعر به القارئ و يتفاعل معه و كثير من النصوص القرآنية تتداخل أحيانا مع إشارات تاريخية أو أدبية أو لغوية ...حتى ليجد الدارس صعوبة في الفصل بينها لأنها أصبحت في أسلوب الكاتب تشكل نسيجا متشابك الخيوط أو قطعة ممزوجة الألوان [4].

---

[1]– سورة الفتح ،الآية 22.

[2]– محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الصابوني ،القاهرة ،ط9 ،دت، ج3، ص 224.

[3]– محمد محي الدين : ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه ، ص 49.

[4]– المرجع نفسه ، ص78.و للتفصيل أكثر أثر القران في أدب الإبراهيمي أنظر المرجع نفسه ص 46

وكذلك نجد كتابات الشيخ أبي اليقظان تتنفس فيها الروح الإسلامية المشبعة بالإيمان والتصور الإسلامي للكون و الحياة ،وهذا بهدي القرآن ،إذ تبدو فيه مهمة الكون والإنسان المؤمن ذي الفكر الرسالي ،لأن أبا اليقظان رجل سلفي التوجه ،تربى وترعرع في أحضان الإصلاح ،فعاش مدافعا عن الدين ممكنا له ،داعيا إلى التحرر من غثائية الطرقية و ميراث عصور الإنحطاط[1].

ويقر أبو اليقظان بتأثير المعاني الإسلامية في أدبه فيقول "...بما أن القصد منها مكافحة الجهل و مقاومة الأمية فهي مفرغة في قالب العلم بما فيه من تنوير الأذهان ...وبما أن الغاية منها إبادة الخرافات والأوهام ،فهي مطبوعة دائما بخاتم الدين بما فيه من تحرير العباد...وتستمد قوتها من كتاب الله و سنة رسول الله و آثار السلف الصالح[2].

كما نجد تأثير القرآن واضحا في أدب العربي التبسي ،ففي مقالة "ألا أيها النوام ويحكم هبوا "يتحدث الشيخ عن الأبعاد الإسلامية التي تحث على العمل الصالح للبلوغ إلى الأيمان الهادف إلى تنبيه العباد من غفلتهم ،فيقول :"وسيان عندي لصحة المثل أكانوا فيما قطعوا فيه الأعمار على ظل من الصواب –وما أبعدهم عنه – أم كانوا كمن يمشي مكبا على وجهه وسوف يتردى ،و إنما نغبطهم على صحة العزيمة و شدة التمسك بما تهيأ لهم أنه حق فكأنما أصل هاته الأمم مسك ، وأصل أمتنا طين "3.

فالرجل الحق هو ذلك الشخص الذي لا يجوز له أن يسير منحنيا منتكس الرأس،فيرى طريقه ولا تتعثر خطواته لأنه يسير على طريق واضح المعالم ،وقد اقتبس الكاتب من القرآن حتى يجلي فكرته و يوضح مقصده ،و الجملة التي اقتبسها هي قوله تعالى﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ 4.

---

[1]- محمد زغينة : فن المقال في كتابات أبي اليقظان : دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر 2004 ص 42.

[2]- محمد زغينة : فن المقال في كتابات أبي اليقظان ، ص43.

[3]- العربي التبسي : مقالات في الدعوة الإسلامية ، ج 2 ، ص 50.

[4]- سورة الملك / الآية 22.

ويتحدث العربي التبسي في مقال له بعنوان "لقد ضل من كان مثل هذا يهديه"،وقد كتبه في ابن عليوة وجماعته التي تنصلت عن سنة النبي صلى الله)عليه وسلم ورغبت في إضافة أشياء على الدين نتيجة غلوهم ،فيقول"...ففي مجامعهم و مجالسهم لا عالما ولا متعلما لسنة ،وإنما تجد غوغاء تهرف بكلام لا تعرف لها وجها ،وتنقلب في بدع لو خرج عليهم أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم لأيقنوا أنهم من ملة أخرى ،وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون"[1].

فقد اقتبس الشيخ قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [2].حتى يدعم بها نصه الذي يفضح به أهل الضلالة الذين حادوا عن جادة الحق.

ويعد الإستشهاد بالقرآن الكريم من أبرز ما ميز كتابات الشيخ العربي التبسي ،يقول الشيخ :"أيها المسلمون إننا في يوم حداد على ديننا لن نظلم القانون ، ولن نزعج الأمنيين ولن نعرض النظام للإضطراب و الخلل ،فعلى شعبنا أن يستعد للمشاركة في يوم الحداد ،وإن هذا اليوم سيبقى يوم حداد كل سنة حتى يتحرر الدين الإسلامي من هذا الظلم الذي خصته به فرنساالإستعمارية ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوَاْ أَمْثَلَكُم﴾ [3]

فتأثر أسلوب الشيخ بالقرآن واضح "من خلال التناص معه ،سواء كان هذا من وعي أو عن عفوية ،فيتجلى في كثرة التضمينات كلية كانت بإيراد الآية كاملة أو جزئية بإيراد بعضها فقط ، بل وحتى على مستوى ما يختاره من ألفاظ و التي أغلبها مصدره القرآن الكريم"[4].

وبهذا الأسلوب المتشبع بالثقافة الإسلامية استطاع هؤلاء الكتاب الإصلاحيون أن يبثوا أفكارهم التحررية ، في وسط الشعب الجزائري الذي تلقاها بشغف وأمعن النظر فيها بروح العقل فزودته بنوع من الإحساس الذي جعله يعيد حساباته فيما مر به ، وما هو فيه من

---

[1]- العربي التبسي : مقالات في الدعوة الإسلامية ، ج 2 ، ص 114.

[2]- سورة القصص / الآية 69.

[3]- سورة محمد / الآية 38.

[4]- خالد أقيس : آثار العربي التبسي ، دراسة فنية ، ص 169.

الإستبداد و الإذلال و القهر ، فتفطن بعدها إلى كل ما يحاك ضده، فما كان عليه إلّا أن هب للصمود في الميدان للتصدي لكل المحاولات الإستعمارية.

وإلى جانب الإستشهاد بالنص القرآني الصريح ،نجد أسلوب كتاب جمعية العلماء مطعم بالرمز القرآني ، أو باستعمال القرآن كرمز فني و كوسيلة للتعبير ،لان "اللغة العادية قاصرة عن القيام بالمهمة المنوطة بها لاحتواء التجربة الشعورية و إبراز ما في اللاشعور دون إعاقة توافد الأفكار في ذهن القارئ و توكيدها ، و بالرمز تتمكن اللغة من نقل التجربة واختراق عالم اللاوعي فتتكاثر ولادتها و إيحاءاتها في معان تتوافد على ذهن القارئ كالمطر"[1].

وقد استخدم أدباء جمعية العلماء الرمز ،و خصوصا الرمز الديني ،الذي يعد كثير الحضور في أدب هؤلاء الكتاب ،وذلك باعتبار أن "الرموز الدينية تقوم على بعض الصلات الداخلية بين الإشارة و الشيء المشار إليه ،استعارة أو مجازا"[2].

وقد حاول الكتاب الإصلاحيون استلهام بعض السير لأعلام قرآنية للتنفيس عن أحاسيسهم ومشاعرهم الفكرية و الأخذ منها ببعض التعابير التي تقدم أشكالا و رموزا تحمل معان ، وبعدا عميقا يتصف به هؤلاء المرموز إليهم ،وسواء تعلق الأمر في هذا الشأن برموز الأنبياء أو الرسل أو بعض الصالحين ،لاتخاذ العبر والاسترشاد بها إلى الأهداف السامية ،ونبذ كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الانحطاط و التدهور و التفكك الاجتماعي بصدد ترسيخ الإيمان و إثبات الشخصية [3].

ومن تلك الرموز التي وقف عندها أدباء جمعية العلماء و أخذوا من قصصهم كثيرا من الرموز لشتى المواضيع و القضايا نجد قصة النبي إبراهيم عليه السلام ،تلك القصة "المميزة بالعديد من العبر المفيدة و العظات الأخلاقية السامية ،وكان من المفروض على الإنسان الوفي لدينه ، والقوي بإيمانه أن يتخذ من سيرته الحميدة سبيلا للارتقاء نحو العلى مصداقا لقوله تعالى

---

[1]- العربي الذهبي : شعريات المتخيل ، شركة النشر و التوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2000 ، ص 204.

[2]- رينيه ويليك ، أوستن وارين : نظرية الأدب ،ة ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ص 196.

[3]- انظر أثر القران في النثر الجزائري الحديث ، (رسالة دكتوراه) ، ص 150.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وكذلك قال تعالى﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[2]، فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء و خليل الله ، وقد لاقى من المحن ما لاقى في سبيل إعلاء كلمة الحق ،وقصته مع أبيه و قومه مشهورة وردت في القرآن الكريم وكذا في كتب السير النبوية.

وقد استدعت هذه الشخصية المباركة انتباه رجال الدعوة الإصلاحية في مقالاتهم فأثرت قصته في كتاباتهم وتوفوا منها الرمز القرآني ، في محاولة منهم لإحياء ذلك التراث التاريخي الناصع البياض لدحض تلك التهم و الدعايات المغرضة ، التي يحاول أعداء الله إلصاقها بأمة التوحيد .

فهذا الشيخ البشير الإبراهيمي في حديثه عن فلسطين السليبة ،يحاول أن يستعرض الخضوع والتقاعس المسلط على الأمة الإسلامية و العربية ، التي لا بد لها من أن تستقرئ ماضيها الحافل ب الأمجاد فيقول :" فكيف لا ينتخي بخيله التي وردت المشارف من هو في السر من فهر ومن الذوائب من قريش ، وما وردت إلا لإنقاذ تراث الخليل من يد الدخيل"[3].

فالإبراهيمي من خلال هذا النص يدعو إلى المحافظة إلى الإرث العظيم الذي تركه إبراهيم الخليل في فلسطين وبالمسجد الأقصى الذي استولى عليه اليهود ، وهو يستخدم في هذا النص أداة الخصر " إلا " التي خصصت قدوم تلك الكتائب العربية الإسلامية لفتح بيت المقدس ، أولى القبلتين و ثالث الحرمين الشريفين ، وهو ما يوجب على الخلف الصالح من أبناء الأمة الإسلامية الذود عن هذه الديار التي دنست من قبل هؤلاء الدخلاء ، وبذالك يصبح تراث الخليل محفوظا .

---

[1]- سورة النحل / الآية 120.

انظر : المرجع السابق ، ص 150.

[2]- سورة النساء / الآية 125.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر 2 / 514.

وبالإضافة إلى شخصية النبي إبراهيم عليه السلام ، هناك أيضا في أدب المقال عند كتاب جمعية العلماء المسلمين توظيف للرمز القرآني المتجسد في شخصية النبي يوسف عليه السلام ، فقصته الواردة في القران لها من المكانة في الوجود الإنساني ما يسمو بهذه الشخصية إلى مصاف التراث الإنساني الشامل ، إذ تشمل على العديد من العبر المتعددة الحاصلة من تلك المعاناة المرافقة لحياة يوسف عليه السلام من ذلك صفة الحسد التي اتصف بها إخوانه ، وتمردهم على أبيهم ، وتمسكم بالرفض بالنسبة للحادث انجر عنه إدخاله السجن ، وعملية الصفح عند المقدرة لإخوانه الظالمين و المبعدين له عن أهله وهو لا يزال صبيا لا يقدر على اجتياز الصعاب والمحن "[1].

والقصة كما جاءت في القران الكريم تتعرض للنفس الإنسانية الزكية في شتى الأطوار والمراحل المختلفة من العمر الزمني والعقلي والعاطفي كما أضفى عليها ثراء، هي الطريقة التي جاء بها القران وما أسدله عليها من الإعجاز البلاغي الذي أعجز أسلوب البشر "[2].

فقصة النبي يوسف تزخر بالمواقف السامية في رموز تحمل في طياتها فضائل أخلاقية عالية كالوفاء والطهر والأمانة والعفة ، وغيرها مما يستأثر النفس الإنسانية المتسامية بالفضائل الباحث عن الخلاص ، فكانت شخصية النبي يوسف عليه السلام نموذجا للتفكير الجيد والتدبر فيما يفيد واقع الأمة ، وما يجب أن يتحلى به المؤمنون بالقضية الجزائرية من الفضائل التي تحلى بها غيرهم و تستلزم الإقتداء بها .

وهو ما أدى برجال الإصلاح أن يلجؤوا إله في كتاباتهم كرمز للإقتداء به ، وخاصة عندما تتعرض لهم العديد من القضايا المطروحة ، ولا يمكن إيجاد الحلول لها إلا بالإستاد على الرموز التاريخية المميزة بأفكار سامية وتوجيهات سديدة خلاقة ، ومن ذلك ما أشار إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس حينما قال: وكذلك عرفت الأمم في تاريخها ألا تنهض إلا على صوت علمائها فهو الذي يخل الأفكار من عقالها ، ويزيل عن الأبصار غشاوتها ، ويبث الهمم من

[1]- أثر القران في النثر الجزائري الحديث ، رسالة دكتوراه ، ص 154.

[2]- محمد متولي الشعراوي : قصص الأنبياء و المرسلين ، ص 15.

مراقدها و يدفع بالأمم بالتقدم في مختلف نواحي الحياة . و لهذا نرى أعداء النهوض في كل عصر و مصر يبذلون لإخفاء هذا الصوت كل جهودهم ، ويكيدون لهم كل كيدهم "[1].

ففي النص علاقة بما نصح به يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام ، في عدم ذكر ما رآه في منامه أمام إخوته لكي لا يحسدونه و يكيدون له ، و هو ما رمز له به الكاتب إثارة منه إلى واقعية قصة يوسف التي وردت على لسان أبيه يعقوب عليه السلام ، الذي خير الدنيا و ما يقوم به الأشرار من الأعمال الهدامة لإزالة نعمة السعادة عن غيرهم بشتى السبل ، و هو ما اقتبسه ابن باديس من قوله تعالى﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ "[2] و هو الأمر الذي لاقاه أعضاء رجال الإصلاح من جمعية العلماء المسلمين الجزائرية من سجن و تعذيب و تشريد وغيره من أعمال التنكيل لإخماد أصواتهم التي تنبذ القمع و الإستبداد و تطالب بالعدل والمساواة و الحرية "[3].

كما تأثر رجال الإصلاح في مقالاتهم بقصة النبي موسى عليه السلام الواردة في القران الكريم ، فهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس يستعين بالقصص القرآني ليوضح القصد الهادف بالرمز القصصي الذي ورد في القران عن الأنبياء و المرسلين مثل ما هو الأمر في استرشاده لإشكالية معنى الإستغاثة في موضوع بعنوان " الدعاء منه عادة ومنه عبادة " والذي جاء عنه الرد على ما نشر بجريدة البلاغ العدد 282 ، عن بيان معنى الإستغاثة ومناقشتها ، "فالإستغاثة هي طلب الغوث و هو تخليص من شدة أو إعانة على دفع مشقة فهي من أقسام النداء و الدعاء ، و تكون من مخلوق لخالقه وتكون من مخلوق لمثله عادة ، فيدعو المخلوق و يستغيث به فيما هو من مقدوره ...[4].

وهو يشير هنا إلى ما ورد في القران الكريم عن لحادثة التي صادفت موسى عليه السلام مم أتاه الله الحكم و دخل المدينة على حين غفلة من سكانها ، فالتقى برجلان يتنازعان ، هذا من

---

[1]- عبد الحميد بن باديس : الآثار 4 / 204 – 205.

[2]- الآية 5 من سورة يوسف .

[3]- أثر القران في النثر الجزائري الحديث ، رسالة دكتوراه ، ص 157.

[4]- عبد الحميد بن باديس : آثاره ، جمع و دراسة عمار طالبي ، 3 / 33.

المستضعفين من بني إسرائيل و الآخر قبطي مصري فاستنجد الإسرائيلي بموسى عليه السلام ، فوكز موسى القبطي فمات،قال تعالى﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [1].

فابن باديس يستمد برهانه فيما ذهب إليه من قضية الإستغاثة " و استدلالاته مما هو وارد في قصة موسى عليه السلام .

وكذلك نجد الشيخ مبارك بن محمد الميلي يذهب نفس المذهب في مقالاته حول الشرك و... سماها " الشرك وظاهره .." وفي نص" الدعاء " الذي تعرض فيه إلى معنى الدعاء ، وتفسيراته التي منها الدعاء و السؤال و الطلب و الرغبة ، وذكر كذلك أن للدعاء أخوات في المادة ومعادن في الإستعمال تعود إلى السؤال في تضرع، والرغبة في الاستكانة، وذلك في شرح وجيز مستدلا ببعض الآراء ، ومن ضمنها ما جاء في تفسير المنار من أن الدعاء هو عبارة عن الشعور بالقلب و التوجه إلى عناية الخالق فيما يتوجه إليه سبحانه و تعالى ويرغب فيه ، ثم ينتقل إلى توضيح الدعاء العادي وصفات المدعو في توجيهه في طلب العوذ أو العون أو شيء آخر من الفرد القادر عليه مدعما ذلك بما جاء في الدعاء العادي مركزا على قول القائل:"فتقول استغثت بالحاكم من الظالم واستغثت بالجيران على اللصوص واستصرخت ذا الغيرة على الغير "[2].

وفي هذا النص نلاحظ الدلالة الكبيرة الواضحة على أن المنهج الذي اعتمده رجال الإصلاح متقارب ، وأن مصدرهم الذي يتزودون منه هو القرآن الكريم ، وما جاء فيه من

[1]- سورة القصص ، الآية 15.

[2]- مبارك بن محمد الميلي : رسالة الشرك و مظاهره ، شركة الشهاب ، الجزائر ، و.ط ، د.ت ،ص 186.

القصص القرآني ونخص بالذكر هنا لفظة الاستغاثة التي وردت في قوله تعالى﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ [1].

فالقرآن الكريم كان المصدر الأساسي و المعين الذي لا ينضب ، الذي أخذ منه هؤلاء الكتاب ولجؤوا إليه في كل حين لحل ما يعترض سبيلهم من الإشكاليات ، نظرا لما ينطوي عليه وما يمتاز به في شتى المجالات و ما اشتمل عليه من نصاعة البيان و فصاحة القول، فاستولى على نفوسهم و استهوى قلوبهم فراحوا يتلهفون إليه ، وينهلون من نبعه ، و لم يتوقفوا عند هذا الحد بل راحوا يسعون و يبذلون كل ما في وسعهم من أجل إحياء مدرسته من جديد و تبليغه إلى كافة الخلق عامة و المجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

وهكذا راح أدباء جمعية العلماء المسلمين يدعون إلى قيام النهضة بروح من الحكمة القرآنية لتقويم ما لمسوه من التقهقر و الجمود و الضعف الملحوظ في شتى المجالات السابقة للمرحلة السائدة لما قبل النهضة ، وبهذا السلوك المنتهج ، و المستمد من القرآن الكريم استطاع هؤلاء الكتاب أن يؤثروا في مجتمعهم ، وأن يرفعوا من مستوى قدراتهم الفكرية بالدعوة إلى الاعتكاف على مدارسة ما جاء في كتاب الله من صور الهداية ورموز الاقتداء والتبليغ :لي من هم في حاجة إليه ليخرجوهم من ظلمات الجهل إلى نور اليقين ، للتخلص مما تعانيه أمتهم من التقهقر و الاستعباد للتسلط عليهم من لدن الاستعمار ومن والاهم من الاستغلاليين .

[1]- سورة القصص ، من الآية 15.أنظر:أثر القرآن في النثر الجزائري الحديث ، رسالة دكتوراه ، ص 165/164.و للتفصيل في اثر القرآن في أدب جمعية العلماء أنظر أيضا :محمد محي الدين ، مرجع مذكور.

المبحث الثاني

جمالية الأسلـــــــوب

إن الأسلوب إنما هو طريقة الكاتب في استعمالاته اللغوية التي قد يكون وظيفتها إعلامية، أو تعبيرية أو إقناعية[1]. ويختلف الأسلوب من كاتب إلى كاتب تبعا لنظرة كل واحد إلى الأمور وكذا رؤيته وتناوله لها.

والمتتبع لأسلوب كتاب أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين، يجد أنه أسلوب فصيح منتقى متخير، وهذا بفضل ثقافتهم الدينية والأدبية الواسعة، واطلاعهم على أساليب الكتابة العربية، قديما وحديثا، في الأدب والصحافة، فكانت ألفاظهم واضحة لا غموض فيها ولا إبهام، ولا يحتاج القارئ وهو يتعامل إلى نصوصهم إلى جهد عظيم حتى يتسنى له الوقوف على مراسيم، أو العودة إلى المعاجم والقواسين حتى يتمكن من الوقوف على مقاصدهم وأهدافهم، فهو من سبيل السهل الممتنع، القرب المنال للرهن، الدقيق الدلالة، الحامل للمعاني يقدر الألفاظ،وذلك لأنهم كانوا يبدون عن الحقيقة الماثلة أمامهم ويقدمون أفكار ويحللون واقعا ويقترحون حلولا، و لم يكونوا من وراء كتاباتهم يهدفون لأكثر من تقديم المعنى وتوصيل المعنى، ومن ثم كانت لغتهم سهلة بعيدة عن التعمية والإبهام أو الصعوبة والتكلف، لأنهم كانوا يخاطبون جمهورا متوسط الثقافة أو قليلها، وكذلك لأن المقال من طبيعته الميل إلى البساطة والسهولة، ف"لغة المقال الصحفي تقوم على السهولة والوضوح، وهي قد تستفيد بشيء من جمال الأسلوب الأدبي، وقد يستفيد بكثير من دقة الأسلوب العلمي.. ولكن يبقى أن ما يميز المقال الصحفي هو أسلوبه البسيط الواضح السهل"[2]

فأسلوب الشيخ عبد الحميد بن باديس كان أسلوبا عميقا مميزا وذا دلالة، وذلك لان" المقالة عند ابن باديس فن بداية يترجم عن روحه الثورية وتفكيره العميق وغيرته الوطنية"[3].

---

[1]: ينظر: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، د/ عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الحيل، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م، ص92.

[2]: د/ فاروق أبو زيد: فن الكتابة الصحفية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة المملكة العربية السعودية، ط2، 1403هـ/1983م، ص181.

وكذلك ينظر:د/ السيد مرسي أبو ذكري: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص294.

[3]: د/ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، دار العرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1996، ج8، ص70.

وقد كانت مقالات الشيخ عبد الحميد بن باديس،" تمتاز بالعمق والقصر والدلالة، أما العمق فذلك يرجع إلى بعد غوره ووفرة أفكاره وشدة ملاحظته والتجائه إلى التلميح والترميز أحيانا، أما القصر فلان ابن باديس كان كثير الأشغال والترحال والدروس، وليس متخصصا للصحافة أو متنوعا للكتابة، ولذلك كان يقطع من وقته بعض الساعة فيكتب فيها مقالاته الأسبوعية لهذه الصحيفة، أو تلك، وقد بدأ الكتابة في جريدة النجاح ، ثم تفرغ قلمه للمنتقد والشهاب وهما جريدتاه. ثم البصائر جريدة جمعية العلماء، أما الدلالة فهي ترجع إلى أن ابن باديس كان يرجي إلى معان بعيدة يوجه إليها خطابه ويترك له الحرية في القرار مع لمسة لضميره ونفحة في قلبه"[1]

وتأثر الشيخ عبد الحميد بن باديس بالأساليب الإسلامية واضح في مقالاته ولا سيما الدينية منها "وتتمثل هذه المقالة(أي المقلة الدينية) بخاصة فيما كان ينشره من نظراته في تفسير القرآن الكريم وتأملاته في شرح الحديث النبوي الشريف ،فجاءت هذه المقالة في بنيتها وفي صياغتها كأحسن ما يكون التعبير وضوحا وقربا"[2]

وكذلك اشتهر الشيخ مبارك الميلي ببلاغة أسلوبه واختصار تعابيره ودقة مدلولات ألفاظه،وكانت المقالات نقدية مرة ،وبحوثا طريفة أخرى ومواجهة للخصوم ثالثة"[3]

أما أسلوب الشيخ البشير الإبراهيمي فقد كان "يجمع بين العناية بالصياغة وبين التعبير عن العاطفة و الشعور المتقد ،كما يجمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه وبين الجمال الأدبي في تعبيره ،كما ويعنى بالصور البيانية بشكل جلي ...فاللغة عنده ليست وسيلة فقط ولكنها هدف أيضا ،ومن ثم فإن أسلوبه يمتاز بهذه الصياغة الخاصة التي تراعي التوليد في المعاني والصيغ،و تهتم بالاستعارة اهتماما شديدا"[4].

---

[1]- د/ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 70.

[2]- د/ محمد بن سمينة : في الأدب العربي الحديث بالجزائر ، الفنون الأدبية في آثار عبد الحميد بن باديس ، مطبعة الكاهنة ، الجزائر ، 2003 ، ص 77.

[3]- د/ أحمد بن دياب : الأستاذ المبارك الميلي و الصحافة ، مجلة الأصالة ، س08 ، ع68-69 ، 1399هـ/1979م ، ص 98.

[4]- عبد الله ركيبي : فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 147.

وهذا يعود أساسا إلى ثقافته الغزيرة المتنوعة ، ولكنها ليست ذات طابع تجميعي تراكمي،وإنما هو يستوعب ما يحفظ ، ويحيط إلماما بما يحصل ، ويستعمل فكره لاستجلاء الحقائق ؛و عليه فهو عندما يكتب لا يستعرض مخزونه المعرفي الوافر ، أو يدلي بما حوته ذاكرته بطريقة آلية، وإنما يكتب في الموضوع الذي يسعى للتعبير عنه، بوعي وعمق فكري، ويسعفه فكره المتوقد وذاكرته الأمينة في الربط بين موقف وآخر وبين مقام وما يناسبه، كما يدرك العلاقة بين الأحداث الراهنة وما يشابهها من أحداث الماضي، فيتخذ من هذه الأخيرة وسيلة لاستيلاء جوانب القضية التي هو بصددها[1] .

وللإبراهيمي أسلوبه المتميز برصانته وأحكام بنائه وانتقاء ألفاظه الجزلة الفخمة، وحسن التأنق في صياغته فهو كما يصفه الأستاذ عبد المالك مرتاض استمرار للأساليب الفحلة القديمة وتطور لتعابيرها وطرائقها في تدبيج القول وزخرفة الكلام، لذلك يجد فيه الباحث كثيرا مما يجديه الأساليب الفحلة القديمة من جزالة الألفاظ ووضوح في المعاني وحرص على التأنق في الأسلوب ورغبة في رشه بالمحسنات اللفظية والمعنوية على اختلافها[2] .

وقد انطبع أسلوب الشيخ الإبراهيمي بالطابع العربي الإسلامي الخالص، يتكئ على التراث العربي الإسلامي في مختلف أطواره، يعرف منه في كل حين، حتى لا يكاد يخلو نص من نصوص الإبراهيمي من اثر الثقافة التراثية، اقتباسا أو تضمينا، فلا شك أن أسلوب الإبراهيمي قد أخذ عن أسلوب عبد الحميد الكاتب (ق2هـ) وابن المقفع (ق2هـ) التقسيم المنطقي للعبارة، والترادف الصوتي.....وأخذ عن أسلوب الجاحظ (ق3هـ) الإسهاب والتكرار والإتيان بالأضداد[3]. وهذه الخصائص تعد من ابرز مميزات أسلوب الإبراهيمي يستخدمها في تفصيل المجمل، أو لترسيخ فكرة أو للتأكيد على حقيقة جوهرية في الموضوع، أو التصوير والتشخيص[4] .

---

[1]: محمد محي الدين: ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه، ص202.

[2]: د/ عبد المالك مرتاض فنون النشر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983، ص336.

[3]: محمد مهداوي ، البشير الإبراهيمي والغة العربية، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1986- 1987، ص182، 183.

[4]: المرجع نفسه، ص183.

ومن مظاهر هذه الخصائص في أسلوب الإبراهيمي ما نلاحظ جليا في قوله مستهلا العدد الأول من جريدة البصائر في سلسلتها سنة 1948: اللهم باسمك نبتدئ، وبهديك نهتدي، وبك يامعين نسترشد ونستعين، ونسألك أن تكحل بنور الحق بصائرنا، وأن تجعل إلى رضاك مصائرنا، نحمدك على أن سددت في خدمة دينك خطواتنا، وثبت على صراط الحق أقدمنا[1] .

فالعبارات في النص قصيرة، وهي تذكرنا بأساليب القدماء في فن الكتابة، وفي هذا تأثر واضح بالثقافة التراثية، وكذلك نلمح هذه الخصائص في قول البشير الإبراهيمي مناقشا قضية فصل الدين عن الدولة، قضية شاذة لا يجد الباحث فيها، والمؤرخ لها نظير فيما تباشره حكومات الدنيا من شؤون أممها، مؤمنها وملحدها، ولا يجد للقوانين التي تعرفها نظيرا في قوانين الدنيا، سماويها ووضعيها، وقد يستسيغ العاقل من أعمال الحكومات أن تراقب كل شيء حذرا واحتياطا، ولكنه لا يستسيغ منها أن تتصرف في كل شيء تحكما واستبداد[2]

وفي هذا النص نلاحظ جليا تأثر الشيخ بأساليب الكتابة عند الأقدمين، من خلال استخدامه للأسباب عافية من تكرار (قضية شاذة- ليس لها نظير- لا يجد الباحث- ولا يجد للقوانين نظيرا فيما تباشره- نظير في- حكومات الدنيا- قوانين الدنيا...) ومن أضداد (مؤمنها وملحدها- سماويها ووضعيها- قد يستسيغ ولا يستسيغ...)[3]

كما أخذ عن الجاحظ – أيضا- السخرية وإطلاق الكلام من قيوده وإرساله على سجيته، كما اخذ عن أسلوب بديع الزمان (ق4هـ) وابن العميد (ق5هـ) السجع والجناس والطباق والتشبيه وإيراد الأمثال والاقتباس والتضمين من التراث عامة[4]

كما قد يزاوج الشيخ البشير الإبراهيمي في مقالاته بين القديم والحديث من مواضيع معارفه في تلاحم وانسحاب، فتأبي الفكرة قوية عميقة ثرية مما تحمله من دلالات متعددة

---

[1]: عيون البصائر ، ص15.

[2]: عيون البصائر ، ص177.

[3]: محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ص183.

[4]: ينظر المرجع نفسه، ص183-184.

المصادر والمناهل، ويمتزج فيها لمحات خاطفة من التاريخ القديم بالنظريات العلمية الحديثة[1] ،من ذلك قوله عن نكبة الأمة العربية الإسلامية في فلسطين: "يالله" مما تحمل هذا الجسم المثخن بالجراح من حصافة ومناعة، ولما يمكن فيه من دفاع ومقاومة، وهي آثار الخصائص الأصلية في الجنس العربي ولولاها لكان في الغابرين، وهي بقايا المزايا السامية من الدين المحمدي، ولولاها نختم به تاريخ طسم وجديس وعاد الأولى، ولو أن ما جل بهذه الأمة حل أيسره بأمة أخرى لانعكست فيها نظرية داروين[2]

ومن ذلك قوله عن فلسطين في موضع آخر "أيها العربي، الحق سافر، والعدو كافر، والقوي ظافر، فعلام تنافر، خصمك إلى خنافر* ؟ ويلك إن المنافرة لا تكون إلا في الشكوك، وأن الحق تحميه السيوف لا الصكوك، وويحك أن منافرة الكهنة إلى الكهنة، فالجنبة مرتهنة، مجلس الأمن فحين، والراضي بحكمه ووضعه سخيف، أنهم ليسوا من شكلك، وأنهم متفقون على أكلك[3]

ففي النص مزاوجه لطبقة رائعة الأسلوب القديم وبين الواقع الحديث، فيستلهم الكاتب عناصر الثرات لشرح واقع الأمور التنبيه إلى ما يجب ألا يكون، مستخدما السجع كأسلوب تراثي قديم وضرب المثل بالعناصر التاريخية وهو أسلوب رائق يجذب القارئ ويستحوذ على انتباهه.

ومن خصائص أسلوب الإبراهيمي أيضا موازنة الشيء بما يماثله، وذلك بغية توصيل أفكاره إلى القراء، وقد يصعب أن نجد له مقالة تخلو من عناصر الموازنة أو المقارنة، إلا أن ذلك لا يسير على شاكلة واحدة، وإنما يختلف باختلاف الحجج التي يسوقها الكاتب، والملابسات التي تحيط بالموضوع، فقد يوازن بين الحاضر والماضي، كما قد يوازن بين الأديان الثلاثة في الجزائر،

---

[1]: محمد محي الدين: ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوب، ص185.

[2]: عيون البصائر ، ص408.

*: خنافر: هو خنافر بن التوأم الحميري، كان نا به حمير، ثم أسلم على يد الصحابي الجليل معادين بن جبل رضي الله عنه، لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمن..

[3]: عيون البصائر، ص600.

ومن أبدع موازناته، تلك الموازنة التي أقامها بين العلم والعلماء عند العرب وعند الغرب، وفي هذه الموازنات يعتمد الدقة والاستقصاء والموضوعية العلمية لإبراز الحقيقة وتأكيدها[1].

فمن قبيل الموازنة بين القديم والحديث أو بين الماضي والحاضر، فنجد في قوله: عن تعدد الأحزاب السياسية إذ يقول: "...وقد أصبح هذا الشرق في تعدد أحزابه السياسية كعهده في الخلافة العباسية يوم كان كل خلاف جدلي في لفظه، يسفر عن فرقة أو فرق، وكل مجلس مناظرة بين فريقين ينفض عن ثالث ورابع..."[2]، وكذلك قوله عن أعوان الاستعمار المتسلطين على المدارس دون أن تكون لهم صلة بالتربية والتعليم: "هم يسرون في أنفسهم التوصل تسييرها إلى تدميرها... وقد فضهم الله في واحدة أو اثنين (كذا) وضعوا أيديهم عليها فعمروها لكن بالتخريب، فكانوا في ذلك كمسيلمة الكذاب، تفل في بئر حلوة فأصبح ماؤها أجاجا"[3]

ومن قبيل موازنته بين الأديان السماوية الثلاثة في الجزائر ،مقالته (الأديان الثلاثة في الجزائر)، حيث يقول فيها "تتجاور في الجزائر أديان ثلاثة، أصلها من السماء... وأساسها التوحيد وإن شاها أهلها بالتثليث أو الوثنية، و كتبها وحي إلهي ، و لكن وصفها بعضهم بالتحريف والتبديل ، وخلطها بعضهم بالأجنبي و الدخيل ، و عاملها بعضهم بالتأويل والتعطيل ، أما الإسلام فهو أوثقها اتصالا بالأصول السماوية وأوسعها امتدادا مع التاريخ، وأبقاها أثرا في صحائفه، وأعمقها في نفوس معتنقيه لملائمة روحه بروحهم، ولمناسبة الفطرة فيهم و فيه "[4]

وكذلك قوله موازنا بين معاملة الإسلام لأهل الديانات الأخرى و معاملة النصارى للمسلمين فيقول: و لم يشهد التاريخ أنه أكره يهوديا أو مسيحيا على الإسلام على نحو ما

---

[1] انظر: محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ص 105 – 106.

[2] عيون البصائر – ص 46 - 47

[3] المصدر نفسه، ص: 287.

[4]- عيون البصائر – ص 61.

فعلته (إيزابيلا)[1] و (فرديناند) و من خلفها من المسلمين بوم دالت دولتهم، وزالت صولتهم، أو كما فعلت الحكومات الإسبانية بعدهم في وهران و بجاية وتونس من انتهاك حرمات الإسلام،و كل تلك الوظائف وقعت في بدء الإرهاصات المبشرة بالحضارة الغربية الساندة الآن – إن الإسلام ضرب الخراج على الأرض،و لكنه لم يخرج أهلها غضبا، وضرب الجزية على الرقاب ولكنه لم يخرج أهلها غصبا ، وضرب الجزية على الرقاب ولكنه حماها من الظلم"[2].

كماأن الشيخ عرف ببيانه الحجاجي و تلوينه العقلي و أثره المنطقي ،فإذا كان البيان هو أبرز ناحية من نواحي عبقرية الشيخ في كتاباته عامة ، إذ يلبس خواطره ألوانا قشيبة من البيان، فإنه لم يترك العنان لقلمه يكتب ما يشاء ،في ثورته و هيجانه و انفعالاته ، و إنما كان يكسو تلك الخواطر بقواعد الفكر و المنطق ، فتجيء مقالاته منظمة ، مرتبة كحبات اللؤلؤ التي تنتظم في واحد ،بحيث تأخذ كل حبة حيزها المكاني فيه ،فلا تطغى واحدة على أخرى ، إذ نجد لكل مقالة عنوانا يتناسب و محتواها ، تعرض عرضا فنيا ، متسلسلا ، من المقدمة إلى العرض فالخاتمة ، فضلا على تقسيم الموضوع إلى فقرات تيسر على القارئ متابعة الفقرة والإحاطة بأجزائها ، وربما لا تخلو مقالة من الأثر المنطقي[3].

وهو يترع في كلامه الشفوي و الكتابي مترعا خطابيا في شد الأنظار و الأسماع إليه مما يضمن كلامه من قوة الإقناع و الحجج ،فهو " يمضي في آثاره الكتابية ضمن قواعد جعلته كاتبا له قضاياه الفكرية الأصلية التي توقف عندها يدعو إليها ويبشر بها ، وله منهجه الفكري الذي يتميز به حين يطرح هذه القضايا ويدلل عليها"[4] .

---

[1]- ازابيلا : ملكة قشتالة : تزوجت بفرديناند : و توحدت بهما الدولة الإسبانية ، و أسقطا الحكم العربي بالأندلس سنة 898ه / 1492م.

[2]- أنظر د/بوعلام بسايح : البشير الإبراهيمي الرائد ؛مجلة الثقافة ، ع 87 ، عدد خاص بالشيخ البشير الإبراهيمي ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 1984 ، ص 65.

[3]- محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ص106.

[4]- د / شكري فيصل : قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي ؛مجلة الثقافة ، ع 87 ، ص 191.

والإبراهيمي يستند في أسلوب الحجاج على ثلاث ركائز ثقافية تمكنه من اللغة ومن أساليب النجاة في الجدل والمناظرة – إحاطته بالفلسفة والمنطق ووسائلهما في إثبات الموقف ودحض حجج الخصوم[1].

وقد كان الشيخ ذا نزعة عقلية وميل إلى التفكير المنطقي بعيدا عن الخيال والأوهام،فكان لزاما عليه أن يستفيد من المنطق كأداة فعالة في التصدي لخصومه ولأساليب المستعمرين في الدفاع عن مقدسات أمته و حقوقها بأسلوب بارع ،يلهمهم الحجة ويبطل ادعاءهم ،وقد أسعفه عقله في وضع الأسس لأفكاره فجاءت مقنعة تؤثر في فكر القارئ ووجدانه ،والقضايا التي خاض فيها البشير الإبراهيمي بهذا الأسلوب كثيرة ومتنوعة[2].

أما أسلوب الشيخ الطيب العقبي فقد كان الجمع بين خصائص عدة ولعل أبرزها المباشرة والوضوح ،وذلك لعدم إتكائه على التشكيل البياني في تعابيره و جمله وعدم تكلفه في صياغة معانيه وأفكاره، وإنما كان يرسل كلامه على السليقة ، فأنت حين تقرا له تحس وكأن الرجل يكلمك كلاما في لغة مختارة وألفاظ مشرقة خالية من التعقيد، إن في الفكرة أوفي التعبير "بمعان محددة لا يتجاوز صاحبها الغرض المقصود الذي تحمله الكلمات نفسها من غير ظلال ولا إيحاء،وربما مثل هذا اللون من الأسلوب فرضته طبيعة الكتابة الصحفية نفسها "[3].

فكلام الشيخ العقبي واضح وفكرته دقيقة ، لا يتطلب جهدا ولا عنتا في فهم معانيه وإدراك مراميه عند القراءة على اختلاف مستوياتهم الفكرية ومؤهلاتهم العلمية، إنّ قراءة النماذج من نثر العقبي تجعلنا نذهب في يقين إلى أن ظاهرة المباشرة والوضوح تلازمه في جل كتاباته ، وقد يرجع هذا إلى طبيعته الشخصية التي تميل إلى البساطة والوضوح دون الجري وراء الغموض والإبهام و اللهاث وراء التأويل و الأسرار والألغاز في فهم الطبيعة و الدين كما شاع عند

[1]– محمد محي الدين : ثقافة البشير الإبراهيمي و أثرها في أسلوبه ، ص 207.

[2]– محمد محي الدين : ثقافة البشير الإبراهيمي و أثرها في أسلوبه ، ص 208.

[3]– د / عبد المنعم خفاجي ، د / عبد العزيز شرف : البلاغة العربية بين التقليد و التجديد ص 58.

مدعي التصوف من رجال الطرق والزوايا الذين نأوا بالفكر والفهم في معرفة الأشياء والوجود أشواطا بعيدة ، أو لأن النثر في طبيعته الحالية يميل إلى الوضوح[1].

ومن ذلك ما نجده من عرض في إشارة ذكية وعبارة لماحة من علماء الطرقية المتهافتين على جمع الأموال من الأتباع والمريدين ، و العملاء من الأئمة الرسميين في المساجد المقيدين بالوظائف و المرتبات ، فقال: ما كان الأنبياء يسألون الناس عن تبليغ الدين أجرا و لا يطالبون المتبعين لهم (دون تقديم الزيارة و الأجر) بالخدمة لهم و القيام بمصالحه الخاصة بهم "[2].

كما يتميز أسلوب الطيب العقبي بالتعريض ، وذلك أن لهذا النوع من الكلام موقعا شريفا ومحلا كريما ، وهو مقصور على الميل مع ترك اللفظ جانبا ، وذلك نوع من علم البيان لطيف"[3]، وقد كان يلجأ إليه الكاتب عندما يريد أن يجابه مخاطبه لداع اقتضته الضرورة و تطلبه الموقف ، والعقبي في ظروفه تلك من استعمار ورقابة وسطوة رجال الطرق ونفوذ الأئمة الرسميين ، و غطرسة النواب ، كان يعمد بين الحين و الآخر إلى مثل هذا الأسلوب ، و إن لم يكن كثيرا في نثره ، لم عرف به من جرأة وصراحة وشجاعة ، بلغتا حدا بعيدا في حياته ومواقفه[4].

هذا بالإضافة إلى خاصية الخطابية التي تنيز بها الشيخ الطيب العقبي ، حيث تتوفر ألفاظه و عباراته و تكاد تفتقر إلى سمع القارئ ، و هو يكلم خصمه بأدوات النداء و الأمر والاستفهام و الدعاء و التساؤل ، و من ذلك قوله:باسم الله أعوذك يا حافظي يا أزهري ماذا جرى لك ؟ أكثر من قراءة أي الحفظ لا تكن في غرفتك وحدك ... هداك الله ماذا تقول ؟ أين كنت ؟ ماهذه الدروس الأزهرية التي أصبحت تلقيها علينا ، أبمثلها رجعت إلى وطنك؟ من أقراك كل هذه العلوم ؟ على من أخذت العهد من علماء الأزهر فيها ؟ أنب إلى ربك، ارجع إلى

---

[1]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 439.

[2]- الطيب العقبي : الأمة في حاجة إلى الإصلاح ، السنة ، ع 5، 8 ماي 1933نقلا عن المرجع السابق ، ص 440.

[3]- د / محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها و تطورها و إعلامها ، من 1903 – 1931، ج2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1398ه / 1978م ، ص 203.

[4]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 441.

رشدك، أأنت المتكلم أم غيرك ؟ بربك قل لي ،أجبني فقد ارتبت في أمرك،أعلمي أنت أم خرافي ؟أشرقي أنت في عقيدتك أم غربي ، لا أدري، و لست أخال أدري"[1]

ومن الأساليب الخطابية التي جاءت في فترت الطيب العقبي أسلوب القسم ، فقد كتب يقول بعد الاعتداء الذي تعرض له الشيخ محمد سعيد الزاهري في وهران ، "وتالله هالنا هذا النبأ العظيم وأحزننا ماتجده مثل هذه الحوادث من حين لآخر بهذا القطر البائس المسكين وعز علينا ما نزل بأخينا الأستاذ الزاهري "[2].

ومن جملة ما اتسم به أسلوب العقبي في نثره أيضا السخرية و التهكم ، و هي طريقة يهدف إليها الكتاب لتحقيق أهداف فنية أدبية ربما لا يؤديها الأسلوب الجاد "[3]، و قد كثر أسلوب التهكم و السخرية في مقالاته المتسلسلة (يقولون و أقول) في الشهاب و البرق ، ومما جاء في إحداها :"يقولون :إن أوليائهم قد أتوهم في عالم النوم و الرؤيا و أخبروهم بأنهم كلهم على الأربعة أركان خصوم لي و أعداء ،و أنهم يعملون على ضربي بمدافعهم الضخمة التي صنعت ببيت الخيال و ضمير السر الخلقي في معامل لا يعلمها إلا الراسخون في (علم الباطن) من الجماعة الذين أكملوا الخدمة (السربيس) ،وأخذوا التقاعد في هذا الفن (لنطريط) ،فهم يوحى إليهم مناما ويقظة،وبذلك الوحيد يحكمون ،وقال بعضهم أن الأجل المضروب لي في ذلك الفسحة التي أعطوا فيها (قونجي) ينتهي إلى،إقبال فصل الشتاء هذا !! فقلت لهم :ما أعجز آلهتكم التي تعبدون !! يستعدون كل هذا الإستعداد لضرب واحد مثلي بلغ من الضعف المنتهي ويكفي لقتله وإزهاق روحه أن يضرب بحجر واحد أو عصا ؟؟فلمن هذا الاستعداد كله وهذه المدافع يا ترى؟[4].

---

[1]- – كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ،ص 441.

[2]- المرجع نفسه، ص 443.

[3]- محمد ناصر بو حجام ، السخرية في الأدب العربي الحديث ، رسالة دكتوراه ، في الدولة في الأدب العربي ، جامعة الجزائر معهد اللغة و الأدب العربي ، 1441ه/ 1994م ص208.

[4]- كمال عجالي ، الطيب العقبي أديبا ، ص 445 – 446.

ويكثر هذا الضرب من الأسلوب في كتابات الطيب العقبي ،ولعل هذا يعود حدة طباعه وجرأته على خصومه[1].

كما برزت في أسلوبه خاصية الترسل ،فقد كان الرجل يخاطب ويكتب لنقل أفكار وتحقيق دعوة إصلاحية وكسب جمهور ، فجاء أسلوبه بألفاظ فصيحة سهلة لا غرابة فيها ولا غموض ،وصياغات واضحة مباشرة تقريرية لا تعقيد فيها ولا التواء ،يعتمد الدقة في تقديم المعاني والموضوعات وبسط الأفكار ،فكما كان واضحا في أفكاره ،كان واضحا في عباراته،كما وظف الأسلوب الإنشائي بخطابيته الصارفة و عباراته القوية المجلجلة آن كان يحث ويحض ويحفز ،و ابتعد عن الصياغات التصويرية بأدواتها البيانية و قلت في نثره القيود الشكلية كالسجع الملازم ،فجاء أسلوبه مرسلا [2].

وبالرغم من أن السمة العامة لأسلوب العقبي –الترسل–نجده بين الحين و الآخر يميل إلى التنغيم بوسائل مثل الطباق و الازدواج و السجع ،و أسلوب العقبي المترسل في عمومه،لا يخلو من بعض المحسنات البديعية التي نجدها في ثنايا نصوصه كالجناس والطباق والمقابلة ...ولكنها في غير تكلف و تصنع لأن ميزة نثره عدم الاحتفال بالشكل أكثر من الفكرة والمعنى ،وما وجد لديه من المحسنات فهو عفو الخاطر[3].

أما الشيخ العربي التبسي ، فقد كان كثير الإنفتاح على التراث بكل أشكاله – شأنه شان البشير الإبراهيمي – و ارتكز في كتاباته على الموروث من التراث ، وقد كان هذا الإرتكاز واعيا ، يقصد إليه الشيخ حتى يجعل من نصوصه قوية الحجة ، بينة الهدف ، أو بغية التأثير في المتلقي الذي نتصور أنه كثيرا ما يتجاوب مع هذا الموروث الذي يمثل ماضيه التليد و حضارته المفقودة و عزه الغائب ، إضافة إلى أن هذا الموروث كان يمثل ماضيه التليد و حضارته المفقودة، و عزه الغائب إضافة إلى أن هذا الموروث كان يمثل سلاح المقاومة الثقافية التي كان يخوضها مشايخ الحركة الإصلاحية .

---

[1]-- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 444 – 449.

[2]- المرجع نفسه، ص 450، (بتصرف) .

[3]- انظر المرجع نفسه ، ص 450 – 455.

ومن الخصائص الفنية لأسلوب الشيخ العربي التبسي (السردية) وذلك لأن كتابات التبسي سواء كانت تعاليق صحفية أم كانت نوعا آخر من التعبير ، فإنها جميعا نتاج صحفي في عصر التبسي ، و على ذلك فانه يمكن القول بانه مهما يكن من أمر ؟ أ كان هذا الأسلوب (السرد) من متطلبات ماتنشره الصحافة أم لا ؟ فأنت لا تستطيع القول بأنه الطابع العام الذي يغلب على كتابات الشيخ ، غير أننا نستطيع التأكيد على أنه من أكثر الأساليب ظهورا في نصوصه، كما نلاحظ أنه كان يتفاوت في الظهور من نص لآخر"[1].

وأسلوب الكتابة في نصوص العربي التبسي من الناحية الزمنية ، تبدا من الحاضر ليعود الكاتب في تفاعله من التاريخ إلى الماضي ، و لعل هذا المسار الزمني في أسلوب السرد عنده يظهر أكثر ما يظهر في انسجام افتتاحية نصوصه مع المناقشة في عرض الموضوعات ، بينما تبقى النهاية أو الخاتمة مجال اشتغال الزمن المستقبل بما يمثله من تصوير ، يأتي كنتيجة مناقشة موضوع ، يمثل صلبه واقع المجتمع المعيش ، او حالة الجزائريين الإجتماعية آنذاك[2].

ومن ذلك قول الشيخ ، و هو يقدم صورة حية عن الواقع الجزائري ابان عهد الإحتلال ، ".. و الأمة الجزائرية لا يقال عنها أنها في أيام احتلالها لم تؤسس المؤسسات ، و لم تقدم للإنسانية في هذا الوطن أي خدمة عقلية أو دينية أو اجتماعية ، بل يقال عنها شر من ذلك ، إذ هي عوقبت شر عقوبة عرفها تاريخ العصر الحديث ، فقدت ما بين يديها ، وسلب منها ما أنشاه الأوائل لهذه النواحي ، وما أسسوه لخدمة العلم قبل الإحتلال ، اغتصبت أوقافها ، ونزعت منها مساجدها و منعت حق التصرف فيها ، و فرضت عليها قوانين من شر ما يعرفه التشريع الإسباني ، فالتعليم الديني والدنيوي سلطت عليه قوانين لا إنسانية ، وكلف سنها وتنفيذها أولئك اللذين كلفوا بتشريع وتنفيذ قوانين الجرائم "[3].

فمن خلال هذه الصورة / اللوحة السردية ، حيث يتداخل الوصف مع السرد نجد العديد من الأفعال الدالة على الوصف سوداء في ذاتها أو في ارتباطها بما يأتي بعدها من كلام ومنها

---

[1]- خالد أقيس : آثار العربي التبسي ، دراسة فنية ، ص 188.

[2]-المرجع نفسه، ص 188-189

[3]- العربي التبسي : دين في ذمة الله ،مقالات في الدعوة الإسلامية في الجزائر ، ج 1 ص151.

(اغتصب ، ونزعت ، ومنعت ، وفرضت ، وسلطت ...)وهذا الغرض عرض الجزائر ووصف واقعهم المعيش في ظل الهيمنة الاستعمارية .

ويمكن القول أن أسلوب السرد الذي ميز كتابات العربي التبسي قد اتخذ أبعادا قليلة ووجدانية وأسلوبية ، أما البعد التحليلي فيرع إلى كيفية عرضه للأحداث سواء من خال سرده لتاريخ الحضارة العربية و كيف نشأت و تطورت ، أم من خلال الإشارة إلى طبيعة الحياة كما كان يحياها الجزائري المسلم في تلك الفترة (فترة إنتاج النصوص) وعلاقته بالحضارة الغربية الاستعمارية ، أم من خلال الحديث عن هذه الحضارة نفسها ، ينما الوجدانية تكمن فيما يتركه مثل هذا التحليل في نفسية المتلقي ، وهو ما يولد انفعالا دراماتيكيا يشكل سلسلة من الاختراعات للتراع بين الحضارة واللاحضارة ، أو بين الفوقانية و الدونية ، أو بين الانتصار والهزيمة أو بين الفوز والفشل ، فالتناوب الدراماتيكي الذي يلخص كل عراك اجتماعي يقوم على الاقتراب مرات عديدة من الهزيمة والموت والفشل، فالتراع بين الأنا (الإصلاحية) والآخر(الاستعماري) عبارة عن نشوة عراكية دراماتيكية بين المتخاصمين[1] ، أما الجانب الأسلوبي الجمالي فمرده إلى الوصف زيادة على الانفعالات الناتجة عن فنون الأسلوب والمعلومات التاريخية و النفسانية و الفلسفية ، و هي بالتالي تؤدي إلى لذة تعلمية أو لذة جمالية يشعر بها القارئ[2] ، و هذا نتيجة ما تنقله من خواطر وأفكار فلسفية و أخلاقية[3].

فأسلوب السرد في كتابات التبسي عموما قد اتخذ صيغة الإخبار، سواء كان الإخبار صرفا أم وصفا ، و ذلك لأن العربي يتكلم باسمه الشخصي ، ويغلب على كلامه طابع الموضوعية[4].

ومن الخصائص الأسلوبية أيضا لمقالات العربي التبسي نجد خاصية السخرية والتهكم،وهي خاصية يكاد يشترك فيها كل أدباء جمعية العلماء ،وذلك راجع إلى طبيعة نضالهم الإصلاحي

---

[1]- ينظر جوزيف ميال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2 ، ص 18 – 19.

[2]- المرجع نفسه ، ص 21.

[3]- المرجع نفسه ، ص 21.

[4]- خالد أقيس : آثار العربي التبسي ، دراسة فنية : ص 195.

القائم على دحض مزاعم الاستعمار وأتباعه من الطرقيين والأئمة الرسميين ،والسخرية في أسلوب العربي التبسي ،أسلوب يلتجئ إليه حينما يريد أن يلفت النظر الطرقية قصد إنزال مشايخها منازلهم وفضح ألاعيبهم التي يغالطون المجتمع بها"[1].

والسخرية أسلوب يجذب القارئ ويذهب به بعيدا في أعماق المعنى ،وذلك لأنها " وسيلة فاعلة للإقناع ،لأنها تذهب أبعد من اللغة "[2]،وأحيانا تأخذ طابع الهجاء و التحكم الذي يراد به نسب عيب إلى شخص أو تفحيم عيب في شخص ، وهو وسيلة إلى تهذيبه وإصلاحه ، فهو نوع من الزجر و الردع شبيه بالعقوبة ،ولكنه أخف منها وقعا ، ومبعث التهكم الرغبة في الإصلاح[3].

وقد استعمل الشيخ العربي التبسي هذا الأسلوب حتى في عناوين مقالاته ك {لقد سمعنا باطلك فأين حقك}[4] ، و{إن كنت حاملا فلدي غلاما }[5]وكذلك {قد ضل من كان مثل هذا يهديه}[6] ، ومن الصور التي نجد الشيخ يسخر فيها من الطرقية و يتهكم عليهم ،قوله"طلع علينا كتاب "جريدة البلاغ "عدد44 ،يضرب أصدريه وينفخ مذرويه ،ويقول ها أنا فاعرفوني واستمعوا لما جئت به ، فأصبحنا نسمع له فإذا به محموم يهذي أو ممسوخ يتخبط"[7].

وكذلك قوله في نفس الموضع {مقال:لقد سمعنا باطلك فأين حقك} :"ولا يفوتني أن أذكر إلى كتاب العلويين طالبا منهم أن يعرضوا كتاباتهم إلى علماء المعاجم اللغوية والصناعة النحوية ، فإنه أصاب اللغة العربية منهم ،ما لو علمه سيبويه في قبره و الأصمعي في مضجعه

---

[1]- خالد أقيس : آثار العربي التبسي ، دراسة فنية ، ص 199.

[2]- حسناء سليمان : بنية الخطاب السردي ، مجلة علامات ، م 14 ج 54 ، 2004 ، ص 276.

[3]- أحمد محمد الحوفي : الفكاهة في الأدب ، أصولها و أنواعها نهضة مصر للطباعة و النشر ، جمهورية مصر العربية ، 2001 ، ص 201.

[4]- العربي التبسي : مقالات في الدعوة ، ج 1 ، ص 81.

[5]- المصدر نفسه ، ص 89.

[6]- المصدر نفسه ، ص 105.

[7]- المصدر نفسه ، ص 81.

لقاما من تحت التراب ، ورفعا قضية في إحدى محاكم الجنايات على هؤلاء الكتاب الذين أفسدوا لغة العرب و الإسلام"[1].

والشيخ العربي التبسي كان يتدرج أحيانا في كتاباته من تصعيد هجائه إلى حد يصل به إلى مصاف الهجاء اللاذع ، حيث يوظف الشيخ التبسي في تحليلاته لعلمية التي تشرح خصومه من الطرقيين ، فيما لا يخلو من طرافة تفحم الخصوم بإعجازه ،وتكسب القارئ بإضحاكه وإفهامه بمزالق الطرقيين ،حتى تتضح في ذهنه مآخذهم و تناقضاتهم وبعدهم عن المنطق و العقل.

وأخيرا يمكن القول أن الخصائص الأسلوبية في أدب المقال عند أدباء جمعية العلماء تكاد تكون مشتركة لديهم جميعا ،وهذا في رأينا يعود لعنصرين رئيسين و هما ولا ثقافتهم الدينية والتراثية التي يشترك فيها جميع هؤلاء الكتاب ، وكذلك إلى الهدف المشترك بينهم وهو إصلاح ما فسد من شؤون لمجتمع الجزائري و أمور دينه ودنياه.

[1]- العربي التبسي : مقالات في الدعوة ، ج 1 ، ص 85.

الخاتمة :

لقد ناضلت الجمعية في سبيل النهضة الوطنية على مختلف المناحي و المستويات متخذة من القلم رمزا و سلاحا ضد حيف الاستعمار و تضليل عتاة الطرقية الذين ألقوا بعقول الشعب فيس غيابات الدجل و السلبية ، كما اتخذوا من اللغة العربية غاية ووسيلة لضحد أتباع الاستعمار المتفرنسيس اللذين رأوا في هذه اللغة سببا من أسباب التخلف والتقهقر الحضاري .

ونستشف مما تقدمت الإشارة إليه في هذا البحث أن الجمعية لعبت الدور الأساس في نهضة هذا الشعب وتنوير ضمير الأمة و بعثه من سبات قرون رزح إبانها تحت طائلة التجهيل والتعتيم الديني والثقافي والحضاري، فكان الأدب نبراسا تستنير به الضمائر والقرائح في إدلاجها نحو الانبعاث و النهضة المفضية إلى الانتفاضة ضد كل القيود التي كانت تكبل الأنفس والعقول .

إن أدب كتاب الجمعية لم يكن أدب ظروف و مناسبات – كما قد يتراءى للبغض – وإنما هو أدب عميق الرؤية واسع الفضاءات ، يبحث في جوهر الإنسان ، مستمدا توجهاته من لب العقيدة الصحيحة و هدي السلف ، فكان بذلك أدبا أصيلا غير مبتور الوشائج والصلات ، يغترف من فيوضات النبع الإسلامي و يعبر عن واقع حال الأمة بغية التعديل وليس التوصيف فحسب .

تلك كانت كانت رسالة هذا الأدب و غايته ، الوقوف على مكامن الخلل و الزلل ورسم معالم الطريق التي لا يضل سالكها و لا يهلك مرتادها ، طريق العودة إلى الأصول والتشبث بالهوية بغية صنع الآن و الغد ، فالدرب موصول بالأمس لا تنفك رباطاته و لا تتقطع أواصره.

و منه نستخلص أن أدب المقال عند كتاب جمعية العلماء المسلمين ذو خصائص نجملها كالتالي :

– إن أدب الجمعية لم يكن أدبا إصلاحيا ضيق الأفق قصير الرؤى ، و لم يكن أدب خطب ومواعظ ، بل كان أدبا إنسانيا يستمد خصائصه من شمولية العقيدة و سعة أفق الإنسانية .

– لقد أدرك هذا الرعيل من الكتاب موطن الداء الذي نخر جسد الأمة و عاث فيها تخلفا واندحارا ، فراحوا يسكبون من أدبهم ترياقا يفتك بالداء و يعجل الشفاء ، فكانت نهضة فكرية أثمرت جنباتها عن نهضة سياسية و اجتماعية أفرزت هي الأخرى حركة ثورية ضد ما يمت للاستعمار بصلة ، حتى تمكن هذا الشعب من حريته و رفرفت أعلامها شامخة فوق الرؤوس .

– لقد كان أدب الجمعية بحق ممثلا لتوجه الأمة في انتمائها و هويتها ، باعتباره تعبيرا صادقا عن كينونتها ، و مستمدا من خصائصها الوجودية ، لا أدب اتباع لما راج في الساحة الفكرية حينئذ من مذاهب غريبة عن توجهات الأمة و واقعها ، و لم تكن تلك المذاهب لتعبر حقيقة عن حالها ، كالشيوعية و الوجودية العبثية و غيرها من المذاهب الأدبية التي كانت تعكس صراع مريديها مع ذواتهم و تخبطهم في حلقة التيه الفكري والاضطراب الديني .

بل كان أدبهم نابعا عن العقيدة الإسلامية مفضيا إليها ، خدموا العقيدة فخدمتهم وناضلوا لأجلها فأمدتهم بآفاق التبصر بأحوال الأمة و أدوائها ، فكان أدبا نورانيا يناقش عمق الوجود و جوهر الإنسان ، فخلد أدبهم و خلّدهم .

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **الحديث النبوي الشريف**

أ- **المصادر** :

- **العربي التبسي** : مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع و تعليق: د/ شرفي أحمد الرفاعي ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة ، الجزائر ، ط01 ، 1402هـ / 1981م.

- **عبد الحميد بن باديس**: آثار الامام عبد الحميد بن باديس ،ج***3***، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث، قسنطينة، ط***1*** ،***1405***ه/***1983***م.

- **مبارك بن محمد الميلي** : رسالة الشرك و مظاهره ، شركة الشهاب ، الجزائر ، و.ط ، د.ت.

- **محمد بوزوزو** : عيد العروبة ، جريدة البصائر ، السلسلة الأولى ، العدد 30 ، 1936.

- **محمد البشير الإبراهيمي** : آثار الشيخ البشير الإبراهيمي ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط01 ، 1398 هـ / 1978م.

- **محمد البشير الإبراهيمي** : آثار محمد البشير الإبراهيمي ، جمع و تقديم د/ أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، 1997.

- **محمد البشير الإبراهيمي** : عيون البصائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، مطابع الشرق ، بيروت.

- **محمد البشير الإبراهيمي** : في قلب المعركة (1954-1964) ، جمع و تصدير : أبو القاسم سعد الله ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، ط01، 1994.

- **محمد السعيد الزاهري** :الاسلام في حاجة الى تبشير، دار الكتب، الجزائر، د.ط ، د.ت

ب – المراجع :

– **أبو الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القنوجي البخاري** : السراج الوهاج ، صحيح مسلم بن الحجاج ، حققه : عبد الله بن ابراهيم الأنصاري ، نشر وزارة الشؤون الدينية ، قطر، ج05 ، 1984م

– **أبو القاسم سعد الله** : تاريخ الجزائر الثقافي، دار العرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1996

– **أحمد أبو قحافة** : الإلتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1979

– **أحمد الخطيب** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985

– **أحمد الشرباصي** : موسوعة أخلاق القرآن ، الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط***1*** ، ***1971***م

– **أحمد طالب**: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة –في الفترة ما بين 1931م/1976م،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،د.ت

– **أحمد محمد الحوفي** : الفكاهة في الأدب ، أصولها و أنواعها نهضة مصر للطباعة و النشر ، جمهورية مصر العربية ، 2001

– **أحمد هيكل**: دراسات أدبية، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980م

– **أسعد السحمراني** : مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط02، 1986 م

– **التهامي نقرة** : في ضوء القرآن و السنة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ط01، 1976

– **الجرجاني** : التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د.ط ، د.ت

– **السيد مرسي أبو ذكري** : المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982

- **العربي الذهبي** : شعريات المتخيل ، شركة النشر و التوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ط 1، 2000
- **أنور الجندي** : معلمة الإسلام ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط02 ، 1989
- **أنيسة بركات درار** : نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985
- **ثريا ملحس** : القيم الروحية في الشعر العربي
- **جوزيف ميال شريم** : دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 2
- **جمال سعورة** : مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986ط
- **خالد عبد الرحمن العك** : آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب و السنة ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط03، 1997م
- **رابح تركي** : ابن باديس ، فلسفته و جهوده
- **سعد فهمي** : حركة عبد الحميد بن باديس و دورها في يقظة الجزائر ، دار الرحاب، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 1983
- **سيد قطب** : في ظلال القرآن ،دار الشروق ،القاهرة ،2005.
- **سيد قطب**:في التاريخ...فكرة ومنهاج، دار الشروق.القاهرة،ط5،1402هـ/1992م
- **شلتاغ عبود شراد** : أثر القران في الشعر العربي الحديث ،دار المعرفة ،ط1،1987
- **صالح فركوس** : المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م – 1962 م) ، دار العلوم ، عنابة ، الجزائر ، 2003
- **طه حسين** : مرآة الضمير الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .
- **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط02 ، 1980 .

- **عائشة عبد الرحمن** – بنت الشاطئ : قيم جديدة للأدب العربي القديم و المعاصر ، مطبعة النهضة –الجديدة ، القاهرة ، ط01 ، 1966

- **عايدة أديب بامية**: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967) بترجمة د/ محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط،دت.

- **عباس محمود العقاد**: الإسلام و الحضارة الإنسانية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د . ط ، د . ت

- **عباس محمود العقاد**: الإنسان في القران الكريم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، صيدا ، د ط ، د ت

- **عبد الباسط بدر**:مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي،دار المنارة للنشر،جدة،السعودية،ط1405،1هـ/1985م

- **عبد الحميد بوزوينة** : نظرية الأدب في ضوء الإسلام ، ج03 ، الأدب و المذاهب الغربية ، دار البشير للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط01 ، 1411 هـ / 1990 م

- **عبد الرحمن عواطف**: الصحافة العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1985

- **عبد العزيز شرف** ، فن المقال الصحفي في أدب طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986

- **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية(***1931-1945***)، دار البعث، قسنطينة ،الجزائر ،ط***1 1401*** ه/***1981***م

- **عبد المالك مرتاض** :فنون النثر الأدبية في الجزائر(***1931-1954***)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ***1983***

- **عبد المجيد عمراني** : النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية ، 1954-1962، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1995

- **عبد المنعم خفاجي** ، د / عبد العزيز شرف : البلاغة العربية بين التقليد و التجديد

- **عدنان رضاً نحوي**:الأدب الإسلامي إنسانيته عالميته

- **عز الدين بليق:** منهاج الصالحين، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ،ط***3***، ***1984***
- **عماد الدين خليل** : في النقد الإسلامي المعاصر،مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط1971،1.

- **عمر عبد الرحمن الساريسي** : مقالات في الأدب الإسلامي، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1996م
- **عمر عبد الرحمن الساريسي:** معالم الأدب الإسلامي، مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع: ط***11421***ه/***2003***م
- **فاروق أبو زيد:** فن الكتابة الصحفية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة المملكة العربية السعودية، ط2، 1403هـ/1983م
- **فاروق خورشيد** : بين الأدب و الصحافة ، منشورات إقرأ ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت
- **لخضر عرابي** : الأدب الإسلامي ، ماهيته و مجالاته ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2003
- **محمد إقبال عروي** : جمالية الأدب الإسلامي ، المكتبة السلفية ، الدار البيضاء،ط1، 1986.
- **محمد الأخضر ضيف الله** : محاضرات في النظم الإسلامية و الحضارة العربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985
- **محمد الطاهر بن عاشور** : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط2، 1985 م
- **محمد الطاهر فضلاء** : محمد البشير الإبراهيمي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1967
- **محمد الطاهر فضلاء**:دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دارالبعث للطباعة والنشر،قسنطينة، 1941.

- **محمد الطاهر فضلاء**:قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس، نشر مطبعة البعث، الجزائر،د.ط،د.ت

- **محمد بن سمينة** : في الأدب العربي الحديث بالجزائر ، الفنون الأدبية في آثار عبد الحميد بن باديس ، مطبعة الكاهنة ، الجزائر ، 2003

- **محمد زغينة** : فن المقال في كتابات أبي اليقظان : دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر 2004

- **محمد حسن بريغش**:الأدب الإسلامي -أصوله وسماته -مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1416،2هـ/1996م

- **محمد زرمان** : معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي ، منشورات جامعة باتنة ، الجزائر ، 1998

- **محمد عادل الهاشمي**:في الأدب الإسلامي-تجارب ومواقف-دار القلم ، دمشق،دار المنارة،بيروت،ط1 ، 1407هـ/1987م.

- **محمد عباس** : البشير الإبراهيمي أديبا

- **محمد عبد المنعم خفاجي**، د/ **عبد العزيز شرف**، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الحيل، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م

- **محمد علي الصابوني** : صفوة التفاسير ، دار الصابوني ،القاهرة ،ط9 ،دت

- **مصطفى عليان** : مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ، دار المنار للنشر ، جدة المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1405ه / 1985م

- **محمد فتحي عثمان** : عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة ، دار القلم ، الكويت ، ط 1 ، 1987

- **محمد فؤاد عبد الباقي** : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار المعرفة ، بيروت، ط04 ، 1994.

- **محمد قطب** : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 5 ، 1401 ه / 1981

- **محمد متولي الشعراوي** : قصص الأنبياء و المرسلين
- **محمد مصايف**: النقد العربي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984،
- **محمد مصايف** : دراسات في النقد و الأدب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988
- **محمد مصايف** : جماعة الديوان في النقد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1982 م
- **محمد ناصر** : المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها و تطورها و إعلامها ، من 1903 – 1931، ج2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1398ه / 1978م
- **محمد ناصر** : ابو اليقظان وجهاد الكلمة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ***1987***
- **محمد ناصر**: رمضان محود –حياته و اثره– المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط**2**، ***1985***
- **محمد ناصر** : الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية ، 1925 -1975
- **محمد ناصر بوحجام** : أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1925-1976) ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ط01 ، 1992م
- **محمد يوسف نجم** : فن المقالة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، بيروت، دت.
- **مجد محمد الباكير البرازي** : في النقد الأدبي الحديث ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، الأردن ، 1407 هـ / 1986م
- **مصطفى المسلماني** : الزواج و الأسرة ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر، د.ت ، د.ط ،
- **منير حميد البياتي** : النظم الإسلامية ، دار النشر ، عمان ، الأردن ، ط01 ، 1994م
- **نجيب الكيلاني** : آفاق الأدب الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط01 ، 1985
- **نجيب الكيلاني** : مدخل إلى الأدب الإسلامي ، مطابع الدولة الحديثة ، الدوحة ، قطر، ط01، 1403 هـ / 1974 م
- **نجيب الكيلاني** :الإسلامية والمذاهب الأدبية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط،1985.

- **نخبة من الأساتذة** : الأدب و الأنواع الأدبية ، ترجمه عن الفرنسية الطاهر حجار ، دار طلاس ، دمشق ، 1985
- **يحي أحمد الكعكي** : معالم النظام الاجتماعي في الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبان ، ط03 ، 1992

المقالات و الدوريات :

- **أحمد الأشهب** :حاجة الأدب العربي إلى الأخذ بالتصور الإسلامي ،مجلة المسلم المعاصر،السنة 23، ع89
- **أحمد بن دياب** : الأستاذ المبارك الميلي و الصحافة ، مجلة الأصالة ، س08 ، ع68-69 ، 1399هـ/1979م
- **بوعلام بسايح** :البشير الإبراهيمي الرائد ،مجلة الثقافة ، ع 87 ، س 15 ، شعبان – رمضان ، 1405 هـ / مايو – يونيو ، 1985.
- **حسناء سليمان** : بنية الخطاب السردي ، مجلة علامات ، م 14 ج 54 ، 2004
- **زاهر عزب الزغبي** : رؤية إسلامية ، الله ... الإنسان ، الخليقة ، مجلة الأزهر ، ج05، س51 ، رحب 1399 هـ/ يونيو 1979 م
- **عبد الحفيظ بورديم**.في مصطلح الأدب الإسلامي، مجلة كلية الأدب ،ع1، المجلد الثاني،نوفمبر2000
- **علي خذري** : مفهوم الشعر في نظر نقاد الحركة الإصلاحية الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، (جامعة باتنة) ، ع11 ، ديسمبر 2004 م
- **عماد الدين خليل** : الرواية الغربية و العودة إلى الوثنية ، مجلة الأدب الإسلامي، س2، ع 7 ، محرم – صفر – ربيع الأول 1416ه / حزيران (يونيو) – تموز(يوليو) – آب (أغسطس) 1995

- **عمار طالبي** : النزعة الإنسانية و الجمالية عند ابن باديس ، مجلة الأصالة ، س02 ، ع07، ربيع الأول 1392 هـ / ماي 1972 م

- **محمد الحسناوي** : القرآن الكريم أول مصادر التصور الإسلامي للفنون ، مجلة الأدب الإسلامي ، س03 ، ع11 ، محرم – صفر-ربيع الأول 1417 هـ / أيار(مايو) – حزيران (يونيو) – تموز (يوليو) ،1996م.

- **محمد بلبشير**: الأدب الإسلامي والمنحى النفسي،مجلة حوليات التراث (جزائرية) كلية الآداب والفنون ، جامعة مستغانم ، ع1،جوان 2004م

– الرسائل الجامعية :

- **إبراهيم مهديد** : الحركة الوطنية في القطاع الوهراني خلال الثلاثينيات (النهضة و الصراع السياسي) ، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، جامعة وهران ، معهد التاريخ ، 1986 م

- **إبراهيم مهديد** : الجزائريون في القطاع الوهراني (الجذور الثقافية للهوية الوطنية و النشاط السياسي) ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة وهران، معهد التاريخ ، 1999

- **أحمد مريوش** : الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1991-1992م

- **بن مصطفى أبو بكر**:البعد الإنساني في روايات نجيب الكيلاني:عمالقة الشمال – عذراء جاكرتا و الظل الأسود، رسالة ماجستير في الأدب(مخطوط)،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،قسم اللغة والأدب العربي،2000م-2001

- **حسين بن مشيش** : أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث ***1925-1962*** رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة باتنة ***2007-2008***.

- **خالد أقيس** :آثار العربي التبسي –دراسة فنية-رسالة ماجستير ،جامعة منتوري،قسنطينة،كلية الآداب و اللغات ،قسم اللغة العربية وآدابها،2007/2006

- **رفيقة لباد:** أدبية تفسير القرآن الكريم عند عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير في القرآن الكريم و الدراسات الأدبية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية،تسم اللغة و الأدب العربي،جامعة تلمسان ***2006-2007***

- **سعد أبو الرضا**:الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح ،مجلة الأدب الإسلامي س2،ع7،محرم –صفر–ربيع الأول ،1416هـ/حزيران –تموز–أغسطس،1995م

- **شكري فيصل** : قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي ، مجلة الثقافة ، ع 87 ، س 15 ، شعبان – رمضان ، 1405 هـ / مايو – يونيو ، 1985.

- **صديق بكر علي**: حقيقة الأدب الإسلامي: مجلة الأدب الإسلامي، المجلد 7، ع1421،25

- **عقيلة صخري** : فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي ، دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث ، جامعة عين شمس ، جمهورية مصر العربية ، 1990

- **فرح مجاهد عبد الوهاب** : من مكتبة الأدب الإسلامي ، فن الأدب الإسلامي للدكتور إبراهيم عوضين ، مجلة الأدب الإسلامي ، م04 ، ع03 ، رجب – شعبان – رمضان 1417هـ / تشرين الثاني (نوفمبر) – كانون الأول (ديسمبر) 1996م – كانون الثاني (يناير) 1997م

- **كمال عجالي** : الطيب العقبي أديبا ، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث ، جامعة قسنطينة ، معهد اللغة و الأدب العربي ، 1997-1998

- **لخضر عرابي** : أغراض القصص القرآني عند سيد قطب ، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب (مخطوط) جامعة أبي بكر بلقايد ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،قسم اللغة والأدب العربي ،1422هـ/2001م

- **محمد العيد تاورتة** : نثر الشيخ الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939 ، جمع و توثيق و دراسة ، رسالة ماجستير في الأدب العربي ، جامعة قسنطينة ، معهد اللغة و الأدب العربي ، 1980.

- **محمد زغينة** : أبو اليقظان ونثره ، رسالة دكتوراه دولة في الأدب الحديث ، معهد اللغة و الأدب العربي ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 1997-1998 م

- **محمد كناي** : الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث ، قضاياه المعنوية و الفنية ، (1925-1962) ، رسالة ماجستير في الأدب العربي ، جامعة الجزائر ، معهد اللغة والأدب العربي ، 1993-1994

- **محمد محي الدين** : ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه (عيون البصائر نموذجا)، رسالة الماجستير في الأدب العربي الحديث ،جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان،كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ،قسم اللغة و الأدب العربي،2007- 2008

- **محمد مهداوي** ، البشير الإبراهيمي والغة العربية، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1986- 1987

-**محمد ناصر بو حجام** ، السخرية في الأدب العربي الحديث ، رسالة دكتوراه ، في الدولة في الأدب العربي ، جامعة الجزائر معهد اللغة و الأدب العربي ، 1414ه/ 1994م

هـــ – الكتب المترجمة :

- **جان لاكوست** ، فلسفة الفن ،ترجمة وتعريب:فايزكم نقش ،عويدات للطباعة و النشر.

- **رينيه ويبليك ، أوستن وارين** : نظرية الأدب ،ة ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت

– **سيدني فينكلشتين** : الواقعية في الفن ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مراجعة : د/ يحي هويدي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، بيروت ، ط01 ، 1981.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الإهداء

كلمة الشكر

المقدمة..... أ-و

المدخل : المقاصد الإسلامية و مفهوم الأدب عند جمعية العلماء..... 18-01

أ- مفهوم الأدب الإسلامي..... 09-04

ب- خصائصه..... 11-09

ج- الرؤية الإسلامية و مفهوم الأدب عند جمعية العلماء..... 18-12

الفصل الأول : الإصلاح و الرؤية الإسلامية في أدب المقال عند جمعية العلماء 50-19

أ- المبحث الأول : إسلامية التوجه الاجتماعي..... 37-20

ب- المبحث الثاني : إسلامية التوجه السياسي..... 50-38

الفصل الثاني : المضامين الإسلامية لأدب المقال عند جمعية العلماء... 80-51

أ- المبحث الأول : تجليات العقيدة..... 63-52

ب- المبحث الثاني : الإنسان و الكون..... 80-64

الفصل الثالث : الخصائص الإسلامية لأدب المقال عند جمعية العلماء.. 108-81

أ- المبحث الأول : الالتزام والواقعية..... 96-82

ب- المبحث الثاني : الإنسانية والشمولية..... 108-97

الفصل الرابع : جمالية التشكيل الإسلامي لأدب المقال عند جمعيةالعلماء... 140-109

أ- المبحث الأول : أثر القرآن..... 124-110

ب- المبحث الثاني : جمالية الأسلوب..... 140-125

الخاتمة..... 143-141

قائمة المصادر والمراجع..... 155-144

الفهرس العام..... 157-156

Abstract:

Many are talking about the lassociation Algerian Muslim Ulema,his though, his struggle.but the emphasis is often directed at the pedagogical and historical and other studies focused on the reform of thought, and other studies dealt with the thoughts réformistes.on are also studies the literary works of the Shuyukh assoiciation, but many of them tended to the study of an angle or more aspects of literature from a writer on the unit, and characterized some studies inclusion and understanding of all aspects of intellectual property of the Association. and many of them are based on studies the aesthetics of literature, which is generally-judgments of the literary production of this generation to the journalists who characterized as works is totally different from the work littéraire.et c ' For all these reasons this work has kque pr release some light on the authenticity of the various corners of the literary heritage of the Association of Algerian Muslim Scholars.

Key words:

Islamic literature, humanistic approach-Algerian Muslim Scholars Association-morality.

Résumé :

Beaucoup on parler de l'lassociation des oulémas musulmans algeriens, de ses pensée, de sa lutte. Mais l'accent est souvent dirigé vers les aspects pédagogiques et historiques, et d'autres études axées sur la réforme de la pensée. et d'autres études traitées avec les pensées réformistes,on trouve aussi des études sur les œuvres littéraires des chouyoukh de l'assoiciation. mais beaucoup d'entre eux avaient tendance à l'étude d'un angle ou de plusieurs aspects de la littérature d'un écrivain sur l'unité, et caractérisé certaines études l'inclusion et la compréhension de tous les aspects de la propriété intellectuelle de l' Association. et beaucoup d'entre eux sont axée sur des études ésthétiques de cette littérature,et qui est-generalement-des jugements de la production litteraire de cette generation en la caractérisant comme œuvres journalistes qui est totalement différent de l'œuvre littéraire.et c'est pour toutes ces raisons kque vient ce travail pr dégager un peu le voile sur l'authenticité des différents angles de l'héritage littéraire de l'association des oulémas musulmans algérien.

Mots clé :

Littérature islamique-approche humaniste-association des oulémas musulmans algériens-le morale.

ملخص الرسالة :

لقد تحدث الكثيرون عن جمعية العلماء و فكرها و نضالها ، بيد أن تركيزهم كان في الغالب موجها نحو الجوانب التربوية و التاريخية ، و اهتمت دراسات أخرى بالفكر الإصلاحي ، و تناولت دراسات غيرها أعمدة جمعية العلماء ومشايخها من جوانب كتاباتهم الأدبية البحتة ، غير أن كثيرا منها اتجه نحو دراسة زاوية واحدة أو جوانب متعددة من أدب كل كاتب على حدة ، و اتسمت بعض الدراسات بالافتقاد إلى الشمولية والإلمام بكل الجوانب الفكرية عند كتاب جمعية العلماء المسلمين ، و كثير منها نحا منحى الدراسات الفنية لهذا الأدب ، و التي لا تخرج ، في عمومها ، عن إطار الإسقاطات النقدية التي تهتم أحيانا بالشكل و بالقوالب الأدبية (مقال – قصة – مسرحية ...) ، أوأن تحكم على إنتاج هذا الرعيل بأنه يدخل تحت طائلة فن المقال الصحفي ، و الذي يختلف شكلا و مضمونا عن صنوه الأدبي ، و هذا دون أن تتعمق في بحث المضمون واستقراء ما في جوهر العمل الأدبي من قيم كبرى كالقيم الإنسانية و الوجودية و غيرها..ومنه جاء هذا البحث لإماطة اللثام عن جانب من جوانب أدب جمعية العلماء المسلمين، ألا و هو إسلامية التوجه الأدبي في كتاباتهم .

الكلمات المفتاحية :

إسلامية التوجه – الأدب الإسلامي – جمعية العلماء – أدب المقال.